السلوك الاجتماعي

- الاتجاه السلوكي فى نظرية علم الاجتماع -

دكتور

جمال محمد أبو شنب

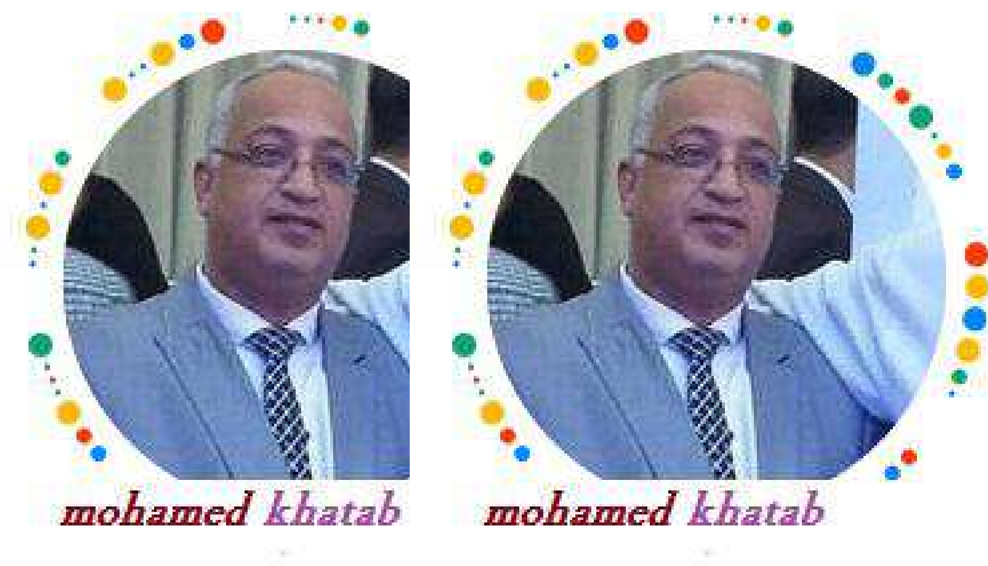
أستاذ علم الاجتماع السياسى

كلية الآداب - جامعة حلوان








mohamed khatab
mohamed khatab
mohamed khatab


مكتبة
طريق العلم


mohamed khatab
mohamed khatab
mohamed khatab


mohamed khatab
mohamed khatab
mohamed khatab





















mohamed khatab mohamed khatab mohamed khatab


mohamed khatab
mohamed khatab
mohamed khatab












mohamed khatab
mohamed khatab
mohamed khatab


mohamed khatab


mohamed khatab


mohamed khatab

السلوك الاجتماعي

- الاتجاه السلوكي في نظرية علم الاجتماع -

دكتور
جمال محمد ابو شنب
أستاذ علم الاجتماع السياسي
كلية الآداب - جامعة حلوان

٢٠٠٨م

دار المعرفة الجامعية

٤٠ ش سوتير - الأزريطة . ت ٤٨٧٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي . ت ٥٩٢٣١٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

«وعَدَ اللهُ الذين آمنُوا وعَمِلُوا الصَّالحَاتِ لَهمْ مَغْفِرَةٌ وأجرٌ عَظيمٌ»

صدق الله العظيم

سورة المائدة، الآية رقم (٩)

إهـــداء

«إلى كل زملائي من الباحثين الجادين والملتزمين
بخلق العلم وتوظيف نظرياته لصالح الإنسان
وسعادته في الحياة»

تقديم

منذ بداية إهتمام الفكر الاجتماعي بتفسير حقيقة الحياة الاجتماعية وموضوع العلاقة بين الفرد والمجتمع هو الشاغل الأكبر لهذا الفكر، وظهرت نظريات العقد الاجتماعي تبين كيف ولماذا يدخل الفرد في علاقة مع المجتمع. وأيّ كانت الإجابات التي أعطاها «توماس هوبز»، و «جون لوك»، و «جان جاك روسو» إلا أنها تعكس إهتمام الفكر الاجتماعي بهذه المعضلة.

مع بروز علم الاجتماع الوضعي كان هناك ميل للتأكيد علي أهمية الجماعة في حياة الفردوتشكيله علي النحو الذى هو عليه وكانت وحدة الدراسة في علم الاجتماع في التراث الوضعي هي الكل أو الجماعة، أما الفرد فهو خارج نطاق البحث الاجتماعي، وجاءت تأكيدات قاطعة في هذا الشأن بأن علم الاجتماع هو العلم الذى يدرس الظواهر الاجتماعية التي يمكن دراستها بعيداً عن تجسيداتها الفردية. وربما كان هناك سبب معقول وراء هذا التأكيد خاصة وأن أصحاب المدرسة الفرنسية كانوا محاطين بأنصار للمدرسة السيكولوجية في التفسير وكانت مهمة هؤلاء المؤسسين هي إبراز خصوصية للمدرسة السوسيولوجية. ولايعني هذا أن ما ذهبت إليه المدرسة الوضعية كان له الكلمة الأخيرة. لهذا ظهر إتجاه آخر في المدرسة الألمانية يؤكد على أهمية دراسة الفرد وتحليل ما يدور في عقله من موجهات قيمية تساعد على دراسة الفعل الاجتماعي. ومع إنتقال علم الاجتماع للقارة الأمريكية برزت أهمية المدخل السلوكي في التفسيرات السوسيولوجية وكثر العديد من الأعمال التي أكدت على أهمية دراسة الفرد في محيطه الاجتماعي والثقافي.

والعمل الذى نقدم له تصدى بمقدرة لمعالم تأثير الاتجاه السلوكي أو النفسي في علم الاجتماع المعاصر بوجه عام، وفي تراث المدرستين الأمريكية والألمانية بوجه خاص، ويجد القارئ في العمل معالجة مستفيضة لجذور هذا الإتجاه. في الفكر الاجتماعي وأهم القضايا والمفاهيم المستخدمة من قبل أنصار هذا الاتجاه. ومن ناحية أخرى نجد معالجة متأنية لأعمال كل من «تشارلز كولي»، و «جورج هومانز»، و

«هربرت ميد» ، و «هارولد جارفينكل» كممثلين لهذا الإتجاه السلوكي في المدرسة الأمريكية. كذلك عالج الباحث قضايا هذا الاتجاه عند كلّ من «ماكس فيبر» ، و «جورج زيمل» ، و «كارل مانهايم» كممثلين للمدرسة الألمانية.

ولاشك أن هذا العمل بكل ما يحمله من تحليل سوسيولوجي يخدم طالب الفكر الاجتماعي والنظرية الاجتماعية لما يمثله هذا الإتجاه من قضايا محورية تشغل فكر علماء الاجتماع إلى الآن. والحق أن الدكتور جمال محمد أبو شنب قد بذل الجهد في التأصيل النظري واستطاع بمقدرة أن يمسك بخيوط هذا الاتجاه منذ بداياته وحتى تأثيراته وتفريعاته المعاصرة.

وكل ما أتمناه أن يكون هذا الكتاب باكورة أعمال جادة تخدم التراث النظري في علم الاجتماع المعاصر، وتضاف للمكتبة العربية، وتساعد على تحديد الإتجاهات المعاصرة في نظرية علم الاجتماع.

أ.د محمد أحمد بيومي

أستاذ علم الاجتماع

كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

المقدمة

يعتبر الاتجاه السلوكى أحد الموضوعات الحديثة فى علم الاجتماع المعاصر. حيث يجمع فى تناوله للقضايا التى يهتم بدراستها بين المعرفة فى علم الاجتماع وعلم النفس، ويضفى نوعاً من العمق فى دراسة تلك القضايا. وبخاصة لأنه أصبح واضحاً أن الأفعال والظواهر الاجتماعية لايمكن تفسيرها من جانب واحد فقط، بل تأخذ بعض الجوانب الأخرى أهمية عند التحليل والتفسير. وباختصار فإن الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع هو محاولة تفسير الظواهر الاجتماعية من خلال التصورات النفسية للحياة الاجتماعية التى يرجعها البعض إلى غريزة حب التجمع. والتى تعبر عن قدرات الطبيعة الإنسانية وما تنطوى عليه تلقائياً من الميل والألفة وإلى تعاون الفرد مع بنى جنسه والشعور بالطمأنينة فى كنفهم وتبادل المنافع معهم. كما يفسر بعض العلماء نشأة الحياة الاجتماعية بالرجوع إلى غرائز الأبوة والأمومة والبنوة التى يرجع إليها الفضل فى خلق الروابط الاجتماعية والمشاركات الوجدانية[1].

وقد جاء اختيار الموضوع، على اعتبار أن دراسة أنماط الفعل أو السلوك والظواهر الاجتماعية في ضوء المبادئ والقوانين السيكولوجية ، ربما يثرى الفهم والتحليل والتفسير. ويتمشى أيضاً مع الروح الجديدة لعلم الاجتماع. ويخلق ميداناً جديداً له أهميته عند دراسة موضوعات علم الاجتماع وقضاياه المنهجية والنظرية. إذ يستفيد علم الاجتماع من الدراسات النفسية لأنها تدرس الإنسان من حيث هو كائن حى مفكر يعيش فى عالم مادى يتأثر به ويستجيب لهذا التأثر، وهذه الدراسات تنصب بصفة رئيسية على بحث السلوك الإنسانى والشخصية الإنسانية، والعوامل التى تدخل فى تكوين وتشكيل هذه الشخصية ذلك عن طريق ما تحدثه الظواهر النفسية من إحساس وإدراك وشعور فى الشخصية[2].

والهدف الرئيسى للدراسة هو التعريف بالاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع،

---

(١) أحمد الخشاب، علم الاجتماع ومدارسه، القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربى، ١٩٦٠، ص ٣٦.

(٢) حسن سعفان، أسس علم الاجتماع، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣، ص ٤٢١.

ومدى تأثيره في قضايا علم الاجتماع المعاصر وفي تراث المدرستين الأمريكية والألمانية. أما الأهداف الفرعية فهي: أولاً: التعريف بحقيقة الاتجاه السلوكي وجذوره في تاريخ الفكر الاجتماعي، وبدايات تطوره في علم الاجتماع. ثانيًا: الوقوف على القضايا المنهجية والنظرية للاتجاه السلوكي في علم الاجتماع في تراث المدرستين الأمريكية والألمانية. ثالثًا: الوقوف على إسهامات الاتجاه السلوكي في علم الاجتماع الأمريكي المعاصر. رابعًا: الوقوف على اسهامات الاتجاه السلوكي في علم الاجتماع الألماني المعاصر. خامسًا: إيضاح أوجه النقد التي وجهت إلى الاتجاه السلوكي في علم الاجتماع المعاصر، من خلال تراث المدرستين الأمريكية والألمانية. سادسًا: استخلاص أهم النتائج التي توضح جوانب الاتفاق والاختلاف بين التيارين السلوكيين في علم الاجتماع الأمريكي والألماني، وتأثيرهما في قضايا علم الاجتماع المعاصر سواء بالنسبة لموضوعاته، أو منهجه، أو نظريته من خلال أعمال المدرستين.

وبناء على هذا التحديد لمشكلة البحث ومشكلاته الفرعية، يمكن تصور أهمية الدراسة في هذا الموضوع، بالرغم من صعوبته المتمثلة في افتقاره إلى نظرية نفسية مقبولة بوجه عام، إذا ما أدركنا أن محاولات السعي لتطوير النظرية الاجتماعية أصبحت عرضة للاعتماد والارتكاز على اتجاهات سيكولوجية مختلفة. كما أن هناك اتفاقًا بين أغلب علماء الاجتماع على أن النظرية السوسيولوجية يجب أن ترتكز على دراسة مشاركة الفرد في الحياة الاجتماعية[1].

وعلى الرغم من أن الدارسين الأوائل ومن جاء بعدهم قد تشعبت اهتماماتهم، تتجلى أهمية الدراسة في ضوء ادراكنا أن هناك ثمة نقاط التقت فيها وجهات نظر العلماء الذين كتبوا في هذا الاتجاه، ويمكن أن تشكل نقاط الالتقاء تلك إطارًا نظريًا متكاملاً نسبيًا في دراسة الحياة الاجتماعية.

---

(١) نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، (ترجمة) محمود عوده، محمد على محمد، محمد الجوهري، محمد الحسيني، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٢، ص ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

ولهذا ربط الباحث معالجته لموضوع الدراسة، بعدد من القضايا الهامة فى مجال الموضوع والمنهج والنظرية. وتهدف هذه القضايا إلى الوقوف على إمكانية تشكيلها لإطار نظرى محدد المعالم. وبمثل إسهاماً لهذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع. ولقد راعى الباحث فى معالجته لموضوعات الدراسة السياق التاريخى والفترة الزمنية، كما راعى الإطار الفكرى الذى ينتمى إليه العلماء الذين كتبوا فى هذا الموضوع. وقد تبنى الباحث منهجًا نقديًا تحليليًا فى تناول تراث المدرستين الأمريكية والألمانية. وراعى تركيب الحقائق المستخلصة وإظهار التناقضات وجوانب الضعف وجوانب القوة والاسهامات الايجابية. ومن ثم قسمت فصول الدراسة بحيث تتفق مع الهدف المقصود منها. وروعى فى تصنيف فقرات الدراسة أن تتابع على نحو منطقى حتى تترابط أجزاء البحث. معتمداً فى ذلك على الجمع بين التعريف والتصنيف ثم التحليل والمقارنة. وفى خاتمة كل باب نعرض لوجهات نظر العلماء الدارسين ونظهر جوانب الاتفاق والاختلاف فيما بينهم.

وتنقسم الدراسة إلى ثلاثة أبواب والخاتمة على النحو التالى:

«الباب الأول»

ونبدأ فى الفصل الأول، بالتعريف بهذا الاتجاه السلوكى وجذوره فى الفكر الاجتماعى. ثم لبدايات تطوره فى علم الاجتماع من خلال اهتمامات رواده الأوائل بوجه عام، وفى الفصل الثانى، نعرض لقضايا النزعة السلوكية فى علم الاجتماع وهى: أولاً: «القضايا النظرية» وذلك من خلال المفاهيم ثم القضايا التى انشغل بدراستها تيار السلوكية الاجتماعية فى إطار مداخله المختلفة فى علم الاجتماع. وثانيًا: عرض القواعد المنهجية التى اعتمد عليها علماؤها فى نطاق الإطار الفكرى الذى ينتمون إليه. مع ملاحظة أن عرضنا لتلك المفاهيم والقضايا لدى علماء المدرستين الأمريكية والألمانية سيكون بصورة موجزة. حيث سيلى عرض ذلك فى البابين الثانى والثالث. وفى خاتمة الباب الأول، نحاول تقييم مدى

إسهام كل من دوركيم وفرويد وعالم الاجتماع النفسي جبرائيل تارد، لما لهم من أثر بالغ في إرساء الدعائم الأولية الإتجاه السلوكية الاجتماعية في علم الاجتماع. ثم نحاول تحديد القضايا المنهجية والنظرية التي شغلت اهتمام علمائها من رواد المدرستين الأمريكية والألمانية.

ويتناول «الباب الثاني»

مدى تأثير الاتجاه السلوكي في قضايا علم الاجتماع الأمريكي. واستخدام علماء المدرسة الأمريكية في علم الاجتماع لمفاهيم هذا الاتجاه السلوكي في دراسة «جوانب الحياة الاجتماعية». وأيضاً التعرف على المناهج التي اعتمدوا عليها في معالجتهم للموضوعات التي تناولوها في إطار هذا الاتجاه السيكولوجي. وذلك بغرض الوصول إلى مدى ما أسهم به رواد الاجتماع النفسي الأمريكي، في مجال موضوع علم الاجتماع ومنهجه ونظرياته. وينقسم إلى أربعة فصول: حيث تعالج في «الفصل الثالث» السلوكية الاجتماعية وفي دراسات تشارلز هورتون كولي: ومن خلال اعتماده على المدخل السلوكي في تفسير الواقع الاجتماعي. وتبنيه النظرية العضوية الخاصة بالفهم السيكولوجي الامبريقية للجماعات الأولية، مع محاولة إيضاح الدور الذي تلعبه تلك الجماعات في تشكيل الذات أو الطبيعة الإنسانية والمبادئ الأولية. ثم نعالج أخيراً المعايير السيكولوجية لدى تلك الجماعات الأولية عند كولي وفي الفصل الرابع، نستعرض السلوكية الاجتماعية في دراسات جورج كوسبار هومانز: بمعالجته للمفاهيم السيكولوجية في تفسير السلوك أو الظواهر الاجتماعية ثم التفسير السيكولوجي للسلوك الإنساني على مستويين: الأول، في إطار علاقة هذا السلوك بالبيئة. والثاني، في إطار علاقة السلوك بالتفاعل مع شخص آخر داخل نطاق الجماعات الاجتماعية. وأخيراً النزعة السلوكية الاجتماعية في نظرية هومانز الوظيفية لدراسة السلوك الإنساني في إطار قضاياه الخمسة. و «الفصل الخامس»، عرض للاتجاه السلوكي لدى جورج هربرت ميد حيث ينصب اهتمامه على دراسات الذات الإنسانية: ونبدأ بمعالجة

المراحل الاجتماعية في تطور الذات أو الطبيعة الإنسانية لديه. ثم نعرض للدور الذى تلعبه الجماعات المرجعية فى تشكيل الذات الفردية ونموها حتى تصل إلى وحدتها التامة. ثم لعناصر الضبط الاجتماعى الداخلة فى تشكيل الذات السيكولوجية الفردية وأخيراً نعرض لسيكولوجية المقرونة كما أوضحها «جورج هربرت ميد» Georg H. Mead فى إطار تلك الجماعات المرجعية.

أما الفصل السادس. فهو عرض لاتجاه السلوكية الاجتماعية لدى أحد علماء المدرسة الأمريكية المعاصرين وهو هارولد جارفينكل؛ ونبدأ بالتعريف بالنزعة السلوكية الاثنوميثودولوجية فى دراساته الاجتماعية. ثم لأبعاد النزعة السلوكية فى دراساته الاثنوميثودولوجية بوجه عام. وأخيراً للمداخل المنهجية التى اعتمد عليها فى دراساته السلوكية الاجتماعية. وفى خاتمة الباب الثانى، نعقد مقارنة بين تلك القضايا التى أثارتها تلك الاتجاهات السلوكية فى دراسات العلماء الأمريكيين. وذلك فى محاولة للوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف، ومدى ما يمكن أن تضيفه نقاط الاتفاق بين اتجاهاتهم السلوكية إلى موضوعات علم الاجتماع ومناهجه ونظريته السوسيولوجية.

أما «الباب الثالث»

فهو يتعلق بمدى تأثير الاتجاه السلوكية الاجتماعية فى قضايا علم الاجتماع الألمانى. فيتناول اهتمامات ثلاثة من علماء الاجتماع الألمان كان لهم أثر بالغ فى نمو وتطور الاتجاه السلوكى فى ألمانيا بوجه خاص والنظرية السوسيولوجية بوجه عام. وهؤلاء العلماء هم: ماكس فيبر، وجورج زيمل، وكارل مانهايم. ففى الفصل السابع، نعرض للاتجاه السلوكى لدى ماكس فيبر: ونبدأ، بعرض للاتجاه الذاتى فى دراساته المنهجية المتنوعة، ثم لاستخدامه لمفهوم النموذج المثالى كأداة منهجية لتحقيق الفهم الذاتى للعلاقة بين روح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة، ثم لتفسيره التفستى للفعل الاجتماعى حتى نقف على حقيقة فهمه الذاتى للفعل الاجتماعى. وأخيراً نعرض للفهم السيكولوجى فى دراسات ماكس فيبر للقيمة.

والفصل الثامن، يتناول الاتجاه السلوكي لدى جورج زيمل، في محاولة للوقوف على ما قدمه من خلال اهتماماته السيكولوجية في موضوعات علم الاجتماع ومناهجه واتجاهاته النظرية: وفي البداية نعرض لسيكولوجية اتجاهه الوظيفي في دراسته لتطور الشخصية الإنسانية في إطار الأشكال أو الصور الاجتماعية. ثم نعرض لتفسيره السيكولوجي للعمليات الاجتماعية ونتناول في إطاره كلا من: العمليات التفاعلية السيكولوجية. والصراع كشكل من أشكال المشاركة السيكولوجية، والمعالجة السيكولوجية لصور العلاقات الرئاسية كشكل من أشكال التفاعل. ثم أخيراً نعرض لسيكولوجية التغير في عضوية الجماعات الثنائية.

وفي الفصل التاسع، نعرض للاتجاه السلوكي في دراسات كارل مانهايم الاجتماعية ونتناول في إطاره: أولاً- المحتوى الذاتي لتوافق السلوك أو الفعل مع المعنى في إطار العمليات الاجتماعية. وثانياً: لأثر الغرائز في تشكيل العادات كنمط سلوكي. ثم للتطور في نماذج التقليد. وثالثاً: عرض للتفسيرات السوسيولوجية للشخصية الإنسانية في إطار مناقشتنا لبعض من الأفكار الرئيسية في التحليل السيكولوجي وهي: اللاشعور، والكبت، والتسامي أو المثالية. وذلك باعتبار أن تلك الأفكار تمثل عمليات سيكولوجية ذات مغزى اجتماعي. وفي خاتمة الباب الثالث، لانغفل المقارنة بين وجهات نظر علماء الاجتماع النفسي الألماني. وأيضاً حصر نقاط الاتفاق والاختلاف في دراسة موضوعاتهم، والمناهج المستخدمة في دراساتهم، والإطارات الفكرية الموجهة لهم في دراساتهم. وذلك في محاولة للوقوف على ما أضافه الاتجاه السلوكي، في علم الاجتماع الألماني إلى موضوع ومنهج ونظرية علم الاجتماع الألماني بوجه.

أما الخاتمة:

فتشتمل على جزئين: الأول يتناول تحديدنا للاتجاهات النظرية والمنهجية التي شغلت اهتمام علماء السلوكية الاجتماعية من رواد المدرستين الأمريكية والألمانية على حد سواء. وفي الجزء الثاني، نحاول أن ننتهي فيه إلى عدد من النتائج،

بحيث يمكن أن تمثل حدوداً لهذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع. وذلك من خلال: استجلاء البعد التاريخى له، وتطوره فى تاريخ الفكر الاجتماعى. ومدى الإسهام الذى قدمه هذا الاتجاه فى نطاق المدرستين الأمريكية والألمانية. ثم تحديد جوانب الاتفاق والاختلاف بين آراء علماء السلوكية الاجتماعية فى كلا المدرستين الأمريكية والألمانية.

دكتور

جمال أبو شنب

الاسكندرية فى : ٢٨ / ٩/ ١٩٩٧م

الباب الأول

الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع

الفصل الأول: الاتجاه السلوكى فى الفكر الاجتماعى.

الفصل الثانى: قضايا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع المعاصر.

خاتمة الباب الأول.

الباب الأول
الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع

يعتبر الباب الأول محاولة لتناول حقيقة هذا الاتجاه السلوكى وجذوره فى تاريخ الفكر الاجتماعى، والوقوف على قضاياه النظرية والمنهجية. وقد قسم الباب إلى فصلين. ويهدف الفصل الأول، إلى الوقوف على حقيقة وجذور الاتجاه السلوكى فى تاريخ الفكر الاجتماعى، ثم لبدايات تطوره فى علم الاجتماع لدى علماء القرن العشرين، وذلك من خلال آراء جبرائيل تارد، ثم اهتمامات علماء المدرستين الأمريكية والألمانية.

وفى الفصل الثانى، سنحاول أن نبين القضايا النظرية والمنهجية التى شغلت اهتمام الرواد الأوائل من علماء السلوكية الاجتماعية. ونعرض فى البداية للقضايا النظرية متناولين المفاهيم التى شغلت اهتمام هؤلاء العلماء وهى: الضمير أو الشعور الاجتماعى، الفهم التفسيرى للفعل أو التفاعل الاجتماعى فى مستوى الفهم الذاتى، التفاعل الرمزى، دراسة مفهوم الذات الإنسانية. ثم نتناول القضايا من خلال الاتجاهات النظرية فى دراسات علماؤه وهى: نموذج الصراع أو التغير الثورى، ثم نموذج السلوكية الاجتماعية أو الاتجاه النفسى الاجتماعى، وأخيراً نعرض للأساليب المنهجية التى اعتمد عليها علماؤه للتحقق من تلك القضايا والافتراضات النظرية.

مع ملاحظة أن عرضنا لتلك المفاهيم والقضايا سيكون بصورة موجزة حيث سيلى عرضها خلال فصول الدراسة. وفى الخاتمة نحاول الوقوف على ثم مدى إسهام الفكر الدوركيمى والفرويدى ثم فكر جبرائيل تارد فى إرساء الدعائم الأولية لهذا الاتجاه السلوكى. وذلك من خلال نظريته الجتماعية التى تقوم على التقليد والمحاكاة. وأيضًا نحاول أن ننتهى من خلال عرضنا فى الفصل الثانى للقضايا المنهجية والنظرية، إلى تحديد القضايا المنهجية والنظرية التى شغلت اهتمام رواد السلوكية الاجتماعية من علماء المدرستين الأمريكية والألمانية.

الفصل الأول

الاتجاه السلوكى فى الفكر الاجتماعي

٢- حقيقته وجذوره فى تاريخ الفكر الاجتماعى.

٣- بدايات تطوره فى فكر الرواد الأوائل فى علم الاجتماع.

أ- الأسباب التى أدت بعلماء النفس إلى الاهتمام بدراسة الحياة الاجتماعية.

ب- الأسباب التى أدت بعلماء الاجتماع إلى الاهتمام بدراسة الأسس السيكولوجية للحياة الاجتماعية.

أولاً: مدى تبنى علم الاجتماع لنظرية فرويد فى علم النفس.

ثانياً: مدى اهتمام علم الاجتماع بالأسس السيكولوجية لنظرية جابريل تارد.

ثالثاً: معالجة مقارنة لوجهات نظر كلٌ من (دوركيم)، (وفرويد)، (وتارد).

الفصل الأول
الاتجاه السلوكي في الفكر الاجتماعي

يهدف هذا الفصل إلى الوقوف على ماهية وحقيقة الاتجاه السلوكي في علم الاجتماع مع عرض لجذوره في تاريخ الفكر الاجتماعي، والتي تمتد من بدايات الفكر الفلسفي منذ أفلاطون وأرسطو. ثم نتعرض لبدايات نموه وتطوره والتي تدعمت في نهاية القرن السابع عشر وبدايات القرن العشرين لدى الرواد الأوائل أمثال دوركيم وفرويد وبارسونز. وكان من الرواد الأوائل الذين أرسوا دعائم هذا الاتجاه السلوكي عالم الاجتماعي الفرنسي جبرائيل تارد، والذي أقام نظريته الاجتماعية في التغير الاجتماعي والثقافي على أسس سيكولوجية تمثلت في التقليد والمحاكاة. وسوف يتضح مدى تطور وتأثير هذا الاتجاه السلوكي في قضايا علم الاجتماع المعاصر من خلال عرضنا لتراث المدرستين الأمريكية والألمانية في الأبواب القادمة.

فإذا كانت العلوم الطبيعية في تعاملها مع المادة قد حققت إلى درجة ما التقدم المتمثل في إطار من القوانين التي تحكم سير المادة وتعامل الإنسان معها، وإذا كان الدارسين في مجال العلوم الإنسانية قد حاولوا نهج العلوم الطبيعية في دراسة سلوك الإنسان والجماعات الاجتماعية، أملاً وتطلعاً في الوصول إلى مستوى معين من التعميمات التي تحكم سير تلك الأفعال والتصرفات الفردية والجماعية. ولما كان موضوع الدراسة «مدى تأثير الاتجاه السلوكي في قضايا علم الاجتماع المعاصر». بوجه عام وفي تراث المدرستين الأمريكية والألمانية بشكل خاص، يقع في إطار تلك العلوم السلوكية، وعلى وجه التحديد علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي؛ التي يهتم بدراسة سلوك الإنسان في تفاعله مع بيئته الاجتماعية، فإنه يلزم في البداية إيضاح مدى أهمية الدراسة في هذا الموضوع والتي تتمثل في محاولة الوصول من خلال موضوعات الدراسة إلى تحقيق مستوى معين في فهم السلوك الإنساني والحياة الاجتماعية في إطار هذا الاتجاه السلوكي ومن خلال هاتين المدرستين.

حيث نجد فى هذا الصدد أن تكرار وحدات السلوك الإنسانى وانتظامها فى علاقات الشخص بالأفراد الآخرين فى إطار التفاعل الاجتماعى، يكون موجه نحوهم فى إطار ما يتوقعه من أشياء معينة بأساليب معينة، أو ما يمتنعون عن فعله من أشياء معينة وعن الإنفعال بها بأساليب أخرى، كما أن هؤلاء الآخرون يتوقعون منا أيضًا أشياء معينة فى إطار ما يقومون به من أفعال وأدوار اجتماعية بالاستحسان أو النفور بمعنى أن الإنسان كشخص هو مخلوق تاريخى ويمكن فهمه فى إطار الأدوار والنظم الاجتماعية التى ولد فيها وترعرع فيها، حيث نجد أن ذاكرته، وإدراكه الحسى، والبواعث التى تدفعه إلى النشاط، وفكرته المجردة عن نفسه، ووظائفه النفسية، قد تتشكل على نحو معين من خلال الأدوار والتفاعلات الاجتماعية التى استوعبها وتمثلها الشخص فى مجتمعه[1].

وإذا ما تساءلنا عن ماهية هذا الاتجاه السلوكى أو السيكولوجى فى دراسة المجتمع؟ وما هى الموضوعات التى تقع فى إطار إهتمامه؟ وما هى المناهج التى يعتمد عليها فى موضوعات دراسته؟ وما هى الخلفية التاريخية التى أدت إلى ظهوره، وهل كان بهذا الاتجاه السلوكى له جذور فى تاريخ التفكير الاجتماعى أم لا؟

وسوف نحاول فى هذا الفصل الذى يعتبر تقديم وتمهيد ذهنى لموضوع الدراسة، الإجابة على تلك الأسئلة، التى ترتبط بحقيقته وجذوره فى تاريخ الفكر الاجتماعى، ثم ببدايات تطوره فى فكر الرواد الأوائل فى علم الاجتماع على النحو التالى بعد هذه المقدمة:

٢- حقيقته وجذوره فى تاريخ الفكر الاجتماعى.

٣- بدايات تطوره فى فكر الرواد الأوائل على النحو التالى:

(أ) الأسباب التى أدت بعلماء النفس إلى الاهتمام بدراسة الحياة الاجتماعية.

---

(١) د. سيد عويس، محاولة فى تفسير الشعور بالعدواة، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٨، ص ص ٣٢ – ٣٣.

(ب) الأسباب التى أدت بعلماء الاجتماع إلى الاهتمام بدراسة الأسس السيكولوجية للحياة الاجتماعية من خلال.

- مدى تبنى علم الاجتماع لنظرية (فرويد) فى علم النفس.
- مدى اهتمام علم الاجتماع بالأسس السيكولوجية لنظرية «جابريل تارد».
- معالجة مقارنة لوجهات نظر كلٌ من (دوركيم)، (فرويد)، (تارد).

٢- حقيقته وجذوره فى تاريخ الفكر الاجتماعى:

الاتجاه السلوكى من النظرية الاجتماعية هو كل خط فكرى يحاول أن يبحث القضايا النفسية للحياة الاجتماعية، أو يفسر الظواهر الاجتماعية ويحل مشكلاتها فى ضوء التصورات والقوانين السيكولوجية، أو يعنىَ بالعلاقات الإنسانية ومواقف واتجاهات الأفراد والسلوك الجمعى، وديناميات الجماعات، والخصائص المميزة للوجدان الجماعى. ويدخل أيضًا فى نطاق هذا الاتجاه السلوكى دراسة نفسية الجماهير ونفسية الشعوب، والخصائص المميزة للجماعات الإنسانية والسلالات البشرية[1]. كما يمثل هذا الاتجاه السلوكى أيضًا «الرابطة التى تربط بين العلوم الاجتماعية وبداياتها البيوسيكولوجية. ومن ثم يهتم بدراسة عمليات ظهور الذات، وبناء الشخصية وأبعاد توافقها أو عدم توافقها. والعمليات التفاعلية التقليدية. وأيضاً التصورات السيكولوجية التى ينهض عليها التنظيم الاجتماعى»[2].

ويضرب هذا الاتجاه السلوكى بجذوره فى الفكر الفلسفى، إذ نجد دعواه تتماثل لدى أفلاطون (٤٢٧ - ٣٤٨) ق. م حينما نظر للدولة باعتبارها مجموع من الأفراد وتعتبر انعكاسًا للكائن الإنسانى. وبالتالى بنى نظريته عن المجتمع وفقًا

(١) أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعى: «دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية» القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٠، ص ٤٦٨.

(2) Woodard, G. W., «Social Psychology», In George, Gurvien & Wilbert E. Moo e., (eds.) Twentieth century Sociology. New York: philosphical liberary INC., 1945, p. 248.

لاعتقاداته عن الطبيعة الفردية، واعتقد فى هذا الصدد أن روح الفرد تتكون من ثلاثة عناصر هى: العقل، والروح[1]، والرغبة.

أما العقل، فمركزه الرأى، والشجاعة أو الروح ومركزها الصدر، والشهوة أو الرغبة ومركزها البطن. وأنه يعتقد أن صفات النفس الإنسانية وراثية ولادية غير مكتسبة ويتوقف توازن الأجزاء الثلاثة للنفس الإنسانية على تدريب الأفراد والزامهم[2]، وأنه لايمكن للفرد أن يصل إلى الكمال والسعادة إلا إذا تحقق التوافق بين تلك العناصر الثلاثة. ولما كانت الدولة ما هى إلا انعكاس لتلك الروح الفردية، فقد رأى أفلاطون بصورة سببية أن الدولة لاتحقق الكمال التام إلا إذا كان هناك توازن مألوف بين أقسامها الثلاثة[3].

كما وضح هذا الاتجاه السلوكي لدى أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق. م)، وبصورة أكثر عمقاً عن أفلاطون. فقد أقام أرسطو نظريته العضوية عن المجتمع على أساس بيولوجي والتشابه الدقيق بين الجسد والدولة. كما اعتقد أن السلوك ليس هو الشئ الذى يفكر فيه ولكنه ينتج من طبيعة الفرد ذاته. وقد جاء هذا الاهتمام لدى أرسطو فى إطار مما كان سائداً من قواعد سيكولوجية للتفكير الاجتماعى لدى فلاسفة الاغريق. وتمثل بوجه عام فى إعطاء الفرد أهمية كبرى عن الدولة[4].

ووجدت جذور هذا الاتجاه السلوكى أيضًا فى تاريخ الفكر الاجتماعى لدى جبرائيل تارد G. Tard (١٨٤٣ – ١٩١٤). ففى إطار نظريته عن التغير الاجتماعى والثقافى، قدم نظريته عن التقليد واعتبره حجر الأساس لفكره. وأوضح تارد أن التقليد يوجد خلال عملية التعلم مع عمليتى «المعارضة» و «التكيف». ثم استخدم عملية التقليد لتعليل انتقال الصور الاجتماعية ولتعليل ثباتها، وأخضعها

---

(1) Willkins, E. J., An Introduction to Society, London, Donald & Evans, L. T. D, 1970, p. 4.

(٢) حسن سعفان، تاريخ التفكير الاجتماعى، القاهرة، مطبعة دار التأليف، ١٩٦٦، ص ص ٣٢ – ٣٣.

(3) Willkins, E. J., op. cit., pp. 4-5.
(4) Willkins E. J. Ibid, pp. 4-5.

للقوانين المنطقية وغير المنطقية على السواء، واعتبر أن المجتمع يتكون من جماعة من الناس يكونون قادرين على تقليد أحدهم للآخر. أما بخصوص المعارضة فأوضح تارد أنها توجه نحو نمطين: معارضة الصراع، ومعارضة الإيقاع. وهى تقلب الظواهر الاجتماعية. ولذلك يظهر التكيف أو الاختراع الذى ينجح فى ايجاد توازن جديد بعد الخلل الذى أحدثته المعارضة بمعنى أن التكيف يؤدى إلى التكامل(١).

٣- بدايات تطور الاتجاه السلوكى فى فكر الرواد الأوائل فى علم الاجتماع:

لقد جاءت بدايات تطور اهتمام علماء الاجتماع بدراسة التصورات السيكولوجية للحياة الاجتماعية فى إطار قناعتهم بالروح العلمية الجديدة لهذا العلم. وعدم جدوى دراسة السلوك الفردى بمنأى عن التفاعل الاجتماعى. ويرى وليم كتكل فى هذا الصدد «أن سمات السلوك الإنسانى تفتقد بعيداً عن التفاعل. وأن السبب الأول فى تكوين شخصياتنا يرجع إلى تفاعلنا مع الآخرين. وأن الموجودات الإنسانية لديها اهتمام كبير بالارتباط مع الآخرين، وتحتاج للتوافق مع الجماعات القائمة أو لتأسيس جماعات جديدة بدونها لاتستطيع أن تفى باحتياجاتها، فالإنسان يحصل على إشباعاته من التفاعل مع الآخرين، ويرغب فى المصادقة والاستجابة مع الآخرين فى جماعته. كما يميل أيضاً إلى الاتحاد بهم أو إلى تحطيم الآخرين أو التعبير عن العداوة لهم. إذ يؤكد علماء الاجتماع فى اهتماماتهم هذه على أهمية تلك المبادئ السيكولوجية فى تكوين السمات الإنسانية والصفات الاجتماعية للجماعات الاجتماعية»(٢).

فقد ظهر هذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع وتطور فى نطاق الدراسة السوسيولوجية العلمية للسلوك الإنسانى. والتى تحتاج فى سعيها لفهم السلوك الإنسانى داخل نطاق التفاعل الاجتماعى، إلى الاعتماد على قضايا من المداخل

---

(١) عبد الهادى الجوهرى، معجم علم الاجتماع، القاهرة: مكتبة نهضة الشرق، بجامعة القاهرة، ١٩٨٠، ص ٤٧.

(2) kenkel, W. F., Society in action. New York: Harper & Row Publishers, 1980, p. 6.

السلوكية الأخرى، والتى تشارك فى دراسة السلوك الإنسانى. وأهتم هذا الاتجاه السلوكى يبحث الأسباب العقلية والعاطفية للسلوك. ويقع فى نطاق النظرية البنائية التى تماثل بين المجتمع والكائن الحى[1].

وقد تطور اهتمام علماء الاجتماع بهذا الاتجاه النفسى فى علم الاجتماع لينهض بمهمة التحليلات السوسيوسيكولوجية للجماعة. فهو يهدف إلى فهم وتفسير سلوك الأفراد داخل نطاق الجماعات الاجتماعية الصغيرة والكبيرة مثل: الأسرة، وجماعات الانحراف، والتنظيمات الدينية، والمدن. كما يركز أيضاً هذا الاتجاه النفسى على دراسة الصفات الاجتماعية لمجموع الأفراد بالرغم من صعوبة التمييز بين الصفات الفردية والجماعية. وقد أمكن فى ضوء هذه التحليلات فهم الاختلافات على سبيل المثال فى حجم الأسرة، وذلك من خلال ادراكنا للصفات الاجتماعية المرتبطة بقواعد نفسية وتؤثر على سلوك الأفراد بداخلها. ومن ثم يجب علينا أن نسعى لتغيير سلوك الجماعة الكلى وليس وفى عرضنا لتاريخ هذا الاتجاه سوف تناقش فكر للرواد الأوائل لهذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع والقضايا التى اهتموا بها على الوجه التالى:

(أ) الأسباب التى أدت بعلماء النفس إلى الاهتمام بدراسة الحياة الاجتماعية.

(ب) الأسباب التى أدت بعلماء الاجتماع إلى الاهتمام بدراسة الأسس النفسية للحياة الاجتماعية، وموضحاً فى هذا الصدد:

أولاً: مدى تبنى علم الاجتماع لنظرية فرويد فى علم النفس.

ثانياً: مدى اهتمام علم الاجتماع بالأسس النفسية لنظرية جابريل تارد.

ثالثاً: معالجة مقارنة لوجهات نظرية كلٌ من (دوركيم)، (وفرويد)، (وتارد).

(1)Bocock., op. cit., p. 5.

الأسباب التى أدت بعلماء النفس إلى الاهتمام بدراسة الحياة الاجتماعية.

أورد (روبرت بوكوك) Robert Bocock فى كتابه «فرويد والمجتمع الحديث» أن النمو الأول للحدود الكبرى للنظرية السيكولوجية كان بواسطة (فرويد) خلال الأربع عقود الأولى من القرن العشرين. حين بدأ بمقدمة عن فكرة اللاوعى أو اللاشعور Unconscious وفى ربطه للأحلام بالتنويم المغناطيسى، بل أيضاً حينما ذهب فى استخدامه لهذا التصور لفهم تباين الدلالات العصبية Neurotic Sysmptoms . ثم أخيراً فى استخدامه للاشعور ليعطى تضمناً أوسع، حيث كان فرويد يرى أن تأثيره لايكون فقط بالنسبة لسلوك الأفراد الشواذ، ولكن أيضاً بالنسبة لسلوك الأفراد الأسوياء فى النظم الاجتماعية، ويرى أن هناك فهماً أولياً للتصور عند (فرويد) قبل إعتبارات استعماله بالنسبة للنظم الاجتماعية والمجتمع بصورة عامة[1].

وإن كان (فرويد) قد رأى أن الفلاسفة والمناطقة الغربيين قد عالجوا مسألة «الهو» «Id» «والأنا» «Ego»، إلا أنه وجد من الصعوبة المواقفة على تلك المعالجة وناقش إمكانية قيام تلك المعالجة الفلسفية بتضمن ظاهرة لأحلام وخصوصاً التنويم المغناطيسى. ويرى أن هناك بعض من الأفكار يمكن تذكرها بسهولة بالنسبة للشعور Comsciousness، تلك التى يفكر فيها على أنها وعى مسبق Pre-concious، كما أن هناك أفكار أخرى يبدو عملها فى العقل بقوة هائلة، ولكنها لاتكون واعية أو تتذكر بسرعة للشعور، وتلك يطلق عليها بالأفكار اللاشعورية[2].

وقد كان الفهم الأولى لتصور «اللاشعور» لدى (فرويد) يعنى:

> «أن التقسيم الثقافى إلى شعور ولاشعور يكون مقدمة هامة فى التحليل النفسانى .... فالتحليل النفسانى لايستطيع أن يضع الأصل النفسى فى الشعور، ولكنه يكون مضطر إلى الاهتمام

(1) Bocock, Robert., Freud and Modern Society; "The Unconscious" Tomas Nelson and Sons old, London, 1976, pp. 4-5.
(2) Ibid., p. 5.

وأعضائه التناسلية Facces and Ienitals كما أن فكره «الهو» Id تتضمن تلك الفروض الخاصة بنظرية الغرائز اللاشعورية هذه، وتؤكد على عموميتها لدى كل الموجودات الإنسانية وأيضًا غموضها. وفي هذا الصدد تكون التجارب المؤلمة أو الرغبات الممنوعة نتيجةً للقمع أو الكبت كما يكونا لاشعوريان أيضًا، كما أن الناس لايولدوا بالكبت في تجاربهم ولكنهم يكتسبوه. وإن كان (فرويد) يبدو لنا على أنه يظن أن هناك بعض أجزاء من المواد المكبوتة في المستويات المبكرة يكون وراثي[1] . Inherited

وقد وضحت بالنسبة (لروبرت بوكوك) مدى أهمية فهم العلاقة بين النسق اللاشعوري وأنساق الوعي وما قبل الوعي أو الإدراك Preconscious and Conscious ورأى أن أنساق الوعي وما قبل الوعي ربما لاتكون قادرة على التأثير في النسق اللاشعوري إطلاقًا، ولهذا السبب تملك فكرة اللاشعور مضمونًا هامًا من أجل الفهم السوسيولوجي للفعل الإنساني. بمعنى أن العمليات اللاشعورية تستطيع أن تؤثر في الفعل بطرق خلفية تختلف عن الضبط الشعوري المنظم، وكما هو يكون ملاحظ في عدد من أشكال الأمراض العقلية، ومثلما يكون تمامًا في الأفعال الأخرى لدى الناس الأسوياء والتي تحدث في الحلم. وبالتالي كان لتلك العمليات اللاشعورية خاصتين ناجتين من مقدرة الدافع الغريزي على الاختراق من موضوع إلى آخر محاولاً أن يحقق إشباعاته Gratifications؛ والخاصية الأولى تتمثل كون حركتها آلية جامدة Displacement، والثانية تعني أنها تكون مركزة Condensation. وفي هذا الصدد قد وجد (فرويد) أن اللاشعور لدى بعض المرضى لم يكن تحت الضبط الكافي بواسطة نسق الوعي وما قبل الوعي، وبالتالي كان المريض لهذا السبب خطر كامن على نفسه وعلى الآخرين، وقد كان من الأعمال الرئيسية للنظرية السيكولوجية محاولة جذب «اللاشعور» تحت الضبط الشعوري الزائد، حتى يقدم الأساس الحقيقي للعمل من خلال مبدأ السعادة أو

(1) Frued., op. cit., pp. 6-7.

الـلـذة[1]. وقد قال فرويد فى هذا الصدد «إنها حقيقة ملاحظة بوضوح، أن اللاشعور لدى أى كائن يستطيع أن يتقاوم مع ما هو لدى الآخر، وبدون وجود الوعى أو الشعور على الإطلاق»[2].

وقد انتهى (روبرت بوكوك) فى هذا الصدد إلى أن تلك العمليات اللاشعورية تكون هامة جداً فى مضمونها بالنسبة لتكنيك التحليلات السيكولوجية، بالإضافة إلى مضمونها العام أيضاً فى فهم الأفعال فى الجماعات. وقد طور هذا المعنى (فرويد) فى كتابته عن «سيكولوجية الجماعة والتحليلات المتعلقة «بالأنا» أو «الذات»، حيث اهتم السيسيولوجيون فى هذا الصدد بمعالجة الواقع الاجتماعى باعتباره نتاجاً للوعى أو ما قبل الوعى، ولم يفعلوا إلا القليل بالنسبة لتطور علم الاجتماع اللاشعورى A Sociology of The Unconscious[3].

ومما مضى يتضح لنا مدى اهتمام علم النفس بدراسة الحياة الاجتماعية فإذا ما نظرنا إلى النظرية الأساسية لدى (فرويد) ومكونات الشخصية لديه، والدور الرئيسى الذى تلعبه الغرائز فى سلوك الشخص ومدى تأثيرها على هذا السلوك سواء فى توافقه مع نفسه، أو عدم توافقه فى أعراض مرضية نفسية. فإننا إذا نظرنا إلى سلوك هذا الشخص داخل نطاق الأسرة سنجده يخضع لعمليات التنشئة الاجتماعية، وإذا ما نضج وخرج إلى دائرة الحياة المجتمعية فى نطاق الجماعات المختلفة، فإننا بوضوح نجد الدور الأساسى الذى تلعبه الثقافة والقيم فى تشكيل شخصيته.

وقد حلل سيلفيان مظاهر السلوك فى طور المراهقة، ورأى أن الشخص يخلص دائماً إلى جماعته ويخاف النبذ من الآخرين، وخاصة الرفاق، ويهفو دائماً إلى تبادل الحب والتعاطف معهم، ويكره الوحدة، ومن ثم يسعى الشخص المراهق إلى أن يكون محبوباً بإنتمائه إلى الزمر دائماً، كما يتفق (فروم) مع (سيلفيان) على كراهية الإنسان للوحدة وعلى أهمية الجماعات والزمر فى حياة الشخص، وكشف عن أن الإحساس بالوحدة هو مصدر كل الاضطرابات النفسية، ويوضح أن

(1) Frued , op. cit., pp. 7-8.
(2) Ibid., p. 8.
(3) Ibid., pp. 8-9.

الإحساس بالوحدة هو ظاهرة مرضية، تظهر من العام الأول من عمر الطفل ولكن المناخ الاجتماعي الذى يعيش فيه الطفل له أثره فى إندماجه فى العالم، بمعنى أن الطفل منذ البداية يحتاج إلى إشباع حاجاته الحيوية والعاطفية، ويعتمد على أمه التى تمنحه الحياة بالولادة وتمنحه الحب وقود الاستمرار فيها، فإذا فقد الطفل حب الأم يولد لديه الشعور بالوحدة وكذلك النزعة إلى التدمير. وهذا ما يؤكده (فروم). كما يرى سيلفيان أيضًا أن الشخص فى الطور الأخير - طور الرشد - والذى يصل فيه إلى النضج الجنسى الكامل وإشباع حاجاته الجنسية إشباعاً طبيعياً بالزواج، تتميز الذات بالاستقرار وتكوين اتجاهاتها الثابتة فى المواقف المختلفة، وتصل الرحلة الإنسانية فى نهاية هذا الطور إلى ذروتها، ويصبح الشخص إنساناً كاملاً تطبع ثقافة المجتمع سلوكه وأفعاله[1].

وإذا كان (روبرت بوكوك) قد أكد على أهمية العمليات اللاشعورية فى فهم الأفعال داخل إطار الجماعات. فقد كان من الأسباب الرئيسية التى أدت بعلماء النفس الاهتمام بدراسة الواقع الاجتماعي، وسواء كان ذلك من خلال العمليات الشعورية الواعية، أو اللاشعورية كما هى عند (فرويد) ؛ هو محاولة فهم سلوك الأفراد فى إطار «الدوافع» والتى هى عبارة عن «حالة تعبأ فيها الطاقة وتوجه بصورة إنتقائية نحو أهداف يغلب أن تقع (وليس حتما) فى البيئة الخارجية»[2]. وقد كان هذا السلوك المدفوع هو موضوع الدراسة فى علم النفس الاجتماعى وديناميات الجماعة سواء فى تفاعل الفرد مع فرد آخر أو مع أفراد آخرين فى جماعة أو فى مجتمع معين، ومن ثم يتضح لنا مدى أهمية فهم سلوك الأفراد فى إطار الدوافع، داخل نطاق الجماعات الاجتماعية، وأيضاً مدى أهمية الدور الهام الذى تلعبه الجماعات فى تشكيل الشخصية الإنسانية من خلال عمليات التنشئة الاجتماعية.

---

(١) محمد سعيد فرج: البناء الاجتماعي والشخصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٨٠، ص ص، ١٨١ - ١٨٤.

(٢) لويس كامل مليكه، سيكولوجية الجماعات والقيادة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠، ص ٧.

وقد ظل الكثيرون لأجيال عديدة يعتقدون أن العمليات المعرفية مثل التفكير والتعلم ظواهر فردية تماماً، وأن التعلم والتفكير المثمرين هما نتاج المجهود الفردى، بل نظروا إلى الجهود الجماعية على أنها مضيعة للجهد والوقت لأن النشاط الخلاق ظاهرة فردية في نظرهم، وإذا ما توصلت جماعة إلى حل مشكلة معروضة عليها فإن ذلك يرجع في نظرهم إلى أن القائد (أو غيره من الأعضاء الممتازين) قد سخر مواهبه للوصول إلى الحل وأنه قد استخدم نفوذه للتأثير فى أعضاء الجماعة لقبول هذا الحل، فقد رأى الدكتور لويس كامل مليكه فى هذا الصدد أن التعلم فى جماعة يكون أيسر من التعلم على إنفراد، وإن كان ذلك لايعنى أن الجماعة لاتخطئ أبداً. فمما لاشك فيه أن الجماعات الدينامية تمد أعضاءها بفرص التفاعل والمناقشة والاتصال الفعال. وهى كلها خبرات لها قيمتها فى التعلم وتكوين شخصية الفرد لأنها تتضمن نقداً ومكافأة. وإذا كان ذلك لايعنى تجاهل شخصية المتعلم ودوافعه واستعداداته، ولكنه يعنى أن هذه السمات تأخذ نمطاً مختلفاً حين يتفاعل الفرد مع الآخرين فى الجماعة، ثم أوضح لنا ذلك بمثالين من التجارب التى أجريت فى هذا المضمار من قبل علماء النفس الاجتماعى:

والتجربة (لماجورى شو) - والتى قارنت فيها بين قدرات الأفراد وقدرات الجماعات المتعاونة التى يتكون كل منها من أربعة أفراد فى حل مشكلات معينة. علماً بأن هذه المشكلات لها حل صحيح واحد فقط، وتخلو من دواعى التحيز الانفعالى؛ وقد وجدت (شو) أن الجماعات تتفوق بصورة دالة احصائية على الأفراد فى عدد الحلول الصحيحة التى تصل إليها، وقد أعزت هذه النتيجة إلى أن الجماعة بعكس الفرد لايعوق وصولها إلى الحل السليم عادات أو أنماط تفكير سابقة وجامدة. والتجربة الثانية (لتايلور وفاوست) - حيث كان يهدفان إلى المقارنة بين التدريب الفردى وبين التدريب الجماعى وأثره على تحصيل الكفاءة، وتحسن أداء الفرد، عن طريق استخدام اللعبة المعروفة بطرح عشرين سؤالاً، ويطلب تحديد حيوان أو نبات أو جماد معين عن طريق العشرين سؤال. وقد شملت التجربة ١٠٥ فرد عملوا فى حل المشكلات إما فرادى أو أزواجاً أو مجموعات مكونة من أربعة

أفراد ويعطى كل منها أربعة مشكلات فى اليوم ولمدة أربعة أيام متتالية، وفى اليوم الخامس يعمل كل فرد بمفرده فى حل الأربع مشكلات. وقد سجلا عدد الأسئلة الموجهة والزمن المستغرق فى حل المشكلة ورسمت منحنيات للتعلم. وكانت النتائج التى توصلا إليها تعنى أن هناك تحسناً سريعاً حدث فى أداء كلٍّ من الأفراد والجماعات، ولكن رغم أن الجماعات تفوقت على الأفراد، إلا أن أداء الجماعات المكونة من أربعة أفراد لم يكن أحسن من أداء الجماعات المكونة من فردين فى معظم المتغيرات[١].

وما يؤكد فى النهاية إهتمام علماء النفس بدراسة الحياة الاجتماعية، من خلال نظرتهم إلى علم الاجتماع على أنه علم سلوكى يهتم بدراسة سلوك الإنسان فى المجتمع، هو ما قاله (فرويد) «بالنسبة لعلم الاجتماع وعلى اعتبار أنه يتعامل مع سلوك الناس فى المجتمع، لايمكن أن يكون أكثر من علم نفس تطبيقى، وبكلمات أوضح لايوجد فقط سوى علمين: علم النفس الخالص والعملى، ثم العلم الطبيعى»[٢].

(ب) الأسباب التى أدت بعلماء الاجتماع إلى الاهتمام بدراسة الأسس السيكولوجية للحياة الاجتماعية:

يرى (روبرت بوكوك) أنه فى الأيام المبكرة لعلم الاجتماع وعلى وجه التحديد فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، كان هناك عدداً من المتخصصين فى نظامى علم الاجتماع وعلم النفس، وكان هناك أيضاً عدداً من الكتاب الأوائل فى القرن التاسع عشر لم يهتموا بالفصل بين النظامين، بل أشاروا إلى أىّ منهما من خلال الآخر، ولكن ذلك من خلال المتشابهات بين كل منهما. وكانت الفكرة المتعلقة بعلم النفس – وتكريسها لدراسة الفردية فى إنعزالها عن الجماعات الاجتماعية، وعن المجتمع بصورة عامة، – كانت منبوذة بواسطة

(١) لويس كامل مليكه، سيكولوجية الجماعات والقيادة، مرجع سابق، ص ص ١٦٦ – ١٧٠.

(2) Frued, Sigmund; New Introductory Lectures on Psychoanalysis (1933) Lecture 35.

كل السيولوجيون الأوائل وهم: (ماكس فيبر) Maxweber، (ماركس)Marx، و (دوركيم) Durkheim، و (سبنسر) Spencer، و (هوبهاوس) Hobhouse، و(كولى) Cooley، و (هربرت ميد) H. Mead وحيث كان التأكيد في هذا الصدد على الفردية باعتبارها جزء من الكل الاجتماعى الأكبر. Larger Social whole والأبعد من ذلك أنهم جميعًا كانوا يمثلون الجيل الثانى بعد (داروين) Darwin، ومن ثم تأثروا به في شيئين هامين: الأول- ويتمثل في أهمية الأساس البيولوجى للإنسان الذى يملك من خلاله بواعث حيوية ثابتة أو الغرائز التى تؤثر في سلوكه بالرغم من أنه لايستطيع أن يحددها. وقد نظروا للجنسية في هذا الصدد على أنها تكاثر جنسى، وهى العامل الغريزى الهام لدى (فرويد) في حين أنه كان ينظر إليها على أنها تتضمن أكثر من مجرد التكاثر الجنسي Sexual Reproduction وإن كانت هى أهم غريزة بيولوجية. والثانى - ويتمثل في أن بعضاً من الكتاب المؤسسين لعلم الاجتماع أخذوا فكرة الداروتية الاجتماعية، وحاولوا أن يظهروا الدور الذى يلعب بواسطة المجتمعات الإنسانية والثقافات في هذا الصدد، حيث كان هناك تأكيد بواسطة (كونت) Comte (وماركس)، (وسبنسر) على بقاء أنواعها Its Survivalas Species كما كانت لهم ملاحظاتهم أيضاً على أن تغير المجتمعات الإنسانية يصبح أكثر تعقيداً، وأن نظمها تتزايد إختلافاً عن بعضها، ومن هذا المنطلق كان هناك في التاريخ الإنسانى بناء من المعرفة المتجمعة والنجاح في التوافق مع البيئة والذى يجعل الموجودات الإنسانية أكثر سرعة في التوافق مع المشكلات الجديدة، وبأكثر سهولة وسرعة عما إذا كانوا يعتمدون فقط على النقل الحيوى[1]. Genetic Transmission

هذا وقد شارك فرويد هذا المنظور التطورى مع هؤلاء الكتاب الاجتماعيين الأوائل بالإضافة إلى محاولة الاعتماد على المعرفة البيولوجية في الإنسان، فليس ما يفصله عن السيولوجيون الأوائل سوى ما يتعلق بدعاويه عن أهمية الغرائز وتفاعلها مع ثقافات الإنسان، أو تركيزه على الفرد، بمعنى أن (فرويد) قد شارك

(1) Bocock, Robert; "Sociology and Psychological prespectove", op. cit., pp. 19 - 20.

فى الاهتمام مع كل السيولوجيون المبكرين فى مجال تطور المجتمعات الإنسانية ابتداء من الجماعات الأكثر بدائية وحتى المجتمعات الحديثة ومستقبلها المحتمل. وقد قوبلت سيكولوجية (فرويد) تلك التى تشارك الكتاب الاجتماعيين فى مجال تطور المجتمعات الإنسانية، وتقدم على فهم السلوك الإنسانى أكثر من شرحه وفقاً للمعايير العلمية، بموافقة العديد من السيولوجين، فى حين قوبلت بالإهمال من جانب السكولوجين الذى نظروا إلى نظريته على أنها ذات صفة غير علمية، وعلى اعتبار أن نظرياته اعتمدت على ملاحظاته العلاجية Clinical observations، وليس على العناية والاهتمام بالتجارب المضبوطة أو أنساق المقارنات الثابتة للجماعات والجماعات الضبطية[1].

ويتضح لنا مما سبق أنه لاغنى لعلماء الاجتماع عن الاهتمام بدراسة العوامل السيكولوجية، نظراً لأن تلك القوى النفسية تلعب دوراً هامًا فى عمليات الفهم والتفسير سواء بالنسبة للشخصية الإنسانية بما يكمن فى داخلها من عمليات غريزية كامنة، أو ما يوجد لديها من ظواهر نفسية من احساس وإدراك وشعور، تلك التى تلعب دوراً هامًا فى فهم السلوك الإنسانى. أو فى الجانب المقابل والمتعلق بالحياة الإنسانية عموماً فتلك القوى النفسية لها دورها فى تفسير تطور المجتمعات الإنسانية وفهم دوراتها وحركاتها. - وسوف نعالج ذلك بالتفصيل فيما يتعلق بنظرية فرويد -

وقد أكد الدكتور / حسن شحاته فى هذا الصدد على أن علم الاجتماع يستفيد من الدراسات السيكولوجية، لأنها تدرس الإنسان من حيث هو كائن مفكر يعيش فى عالم مادى ويستجيب لهذا التأثير، ومن حيث هو كائن حى يعيش فى مجموعة من بنى جنسه يتأثر بها ويؤثر فيها وتستجيب هى بدورها. لأن هذه الدراسات النفسية تنصب بصفة رئيسية على بحث السلوك الإنسانى والشخصية الإنسانية والعوامل التى تدخل فى تكوينها وتشكيلها، ومن ثم قام علم النفس الاجتماعى الذى يقوم بجناحين: أحدهما دراسة الإنسان من حيث هو عضو فى

(1) Bocock, Robert., op. cit., pp. 19 - 20.

جماعة يتأثر وتؤثر فيه، ثم القوى النفسية الاجتماعية Psycho-Social Forces والتى تشتمل على: الغرائز والرغبات الدقيقة، وأنواع الشعور المختلفة، والميول. وقد اعتبر أن هذه القوى هى أساس تكوين الشخصية من ناحية والحياة الاجتماعية من ناحية أخرى، وهى التى تفسر إلى حد كبير مجرى تطور الحياة الاجتماعية وأسباب تغيرها. ومن أسباب اهتمام علم الاجتماع بدراسة الظاهرة النفسية أيضًا هو احتوائها على بعض الغرائز التى لها علاقة مباشرةً بالتجمع، كغريزة حب الاجتماع Greogariousness، وغريزة تأكيد الذات Self-asseration، وغريزة الخضوع Submissiveness، وغريزة المهاجمة Comhotiveness إلخ .. كما يهتم هذا العلم بدراسة نفسية الجماهير ومقارنتها بنفسية الأفراد. إلى جانب اهتمامه بدراسة «العمليات الاجتماعية» Social Process والتفاعل الموجود بين أفراد التجمع وما يتأتى عنه من تنافس Competition، وتصارع Conflict، وتعاون Cooperation. وأخيراً فإن علم الاجتماع يستفيد من دراسات علم النفس الاجتماعى فى فرع من فروعه الهامة وهو – علم الإجتماع – قياس العلاقات الاجتماعية Sociomety بين أفراد المجتمع الواحد ولذلك أطلق عليه بعلم اجتماع الوحدات الصغيرة[1]. MicroSociology -

وقد كان هناك مجال هام أدى بعلماء الاجتماع إلى الاعتماد على الجوانب النفسية واستعارة مدلولاتها. وقد تمثل هذا المجال فى مشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع، والتى أنبرى لها علماء الاجتماع فى البداية وفسروها على أساس «عضوى» organic. ولكن (موريس جنزبرج) Morris Gensberg يرى أن هذا التفسير العضوى لعلاقة الفرد بالمجتمع وإن كان يؤكد على أن المجتمع ليس تدبيراً آلياً أو مصطنعا، ولكنه شئ حى ونماء طبيعى، فضلاً عن أنها وفقًا لهذا التصور ليست فى حقيقتها مماثلة للكائنات الحية إلا أنها ترتبط فى الواقع بالصفة العضوية فى تكيفها مع البيئة وعلى قابليتها للتشكل والتعديل. واذا كانت هذه النظرية العضوية كان من العسير عليها تفسير التحولات الفجائية الجوهرية التى تطرأ على

(١) حسن شحاته سعفان، أسس علم الاجتماع، مكتبة النهضة المصرية، ص ص ٥٨ – ٥٩.

المجتمع، إلا أن هذه النظرية قد مثلت بحق علاقة الفرد بالمجتمع الذى لانهاية لتعقده وتشابكه، ويشتمل على وحده داخل وحده، وجماعة بداخل جماعة، واختلاف علاقات الفرد بإختلاف الحالات وتنوعها طبقًا لتنوع الميول إلى تلك العلاقات هذا بالإضافة إلى أن تلك النظرية قد أغفلت عناصر الصراع وعدم التوافق التى تكثر في المجتمع. فهناك في المجتمع حياة مشتركة بين الأفراد وتقييم لذاته كمجموع، ولكن ما يبلغه من الوحدة لاينالها في أغلب الأحيان عن طريق إطلاق النشاط الحيوى وتحريره، ولكنه يصل إلى تلك الوحدة عن طريق القمع الآلي أو الكبت. كما أن النظرية العضوية تحجب عنا تلك الحقيقة التى ترى أنه بالرغم من إتصال الفرد إتصالاً جوهريًا بالمجتمع، إلا أن المجتمع ليس سوى أفراد تربطهم الوشائج والعلاقات التى لاتحتوى جملةً على كامل كيانه ولاتستنفد كامل جهده[1]، بمعنى أن الفرد «مركز فريد فذ من مراكز الوعى والشعور لاتذيبه حياة المجموع ولاتستهلكه»[2].

وقد ترتب على قصور النظرية العضوية في تفسير الحياة الاجتماعية من بعض الجوانب، إن قام بعض الباحثين وعبروا عن تلك النظرية العضوية بمصطلحات سيكولوجية، فوصفوا المجتمع على أنه «عقل» أو «شخص»، وبدأت تفسيراتهم له من خلال القوى النفسية الكامنة في سلوك الأفراد أو الجماعات.

وما يؤكد هذا ما قام به (تشارلز هورنون كولى) C. H. Cooly من «تبنيه لنظريته العضوية ومنهجه السيكولوجى في دراسته للعلاقة بين الفرد والمجتمع»[3]. وأيضاً ما قام به عالم الاجتماع (تالكوت بارسونز) Talcot Porsons من توضيح لفكرة العقلانية الحقيقية «للعقل» أو «السلوك» في «نظريته للفعل الاجتماعى» على أنها تصور يفترض أن الفعل يتكون من: الغايات Ends، والوسائل Means،

---

(١) موريس جنزبرج، نفسية المجتمع، (ترجمة) عبد العزيز عبد الحق، (مراجعة) محمود محمود، مكتبة الأنجلو المصرية، ص ص ١٨٣، ١٨٥.

Morris, Ginsberg., The psychoiology of Society; London, 1921, pp. 9 - 7.

(٢) نفس المرجع، ص ١٨٦.

(٣) نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢١٣ .

والشـــروط Conditions، بمعنى أن عقلانية الفعل تتكون من التحديد العلمى لعلاقة المعانى بشروط الموقف. حيث ذكر (بارسونز) فى هذا الصدد أن كلا جانبى الوصفية (Positivistic) وهما: العقلانية واللاعقلانية - يهدفا إلى التعديل فى موضع فهم أو إدراك الفعل[1]. Rationality of action.

كما أهتم (بارسونز) أيضًا بدراسة عملية نمو الذات فى أطوارها المختلفة، ولم يرى أن دراستها تكون قاصرة على علم النفس التحليلى، أو علم النفس الاجتماعى، بل إنها مجال فى علم الاجتماع يوضح الفروق الاجتماعية بين الأجيال وملاحظة مدى أثر جيل الآباء على جيل الأبناء، ومدى تغير المكونات الاجتماعية لشخصية كل جيل داخل البناء الواحد، ومن بناء لبناء[2].

ويتضح لنا من معالجة بارسونز للشخصية أن اهتمامه بدراستها كان راجعاً للدور الهام الذى تؤثر من خلاله على السمات المجتمعية العامة من خلال مكوناتها النفسية التى تطبع السلوك الفردى وبالتالى السلوك المجتمعى بطابع خاص يميزه عما عداه، بل يميز السمات العامة للمجتمع من جيل إلى جيل.

وفى نهاية الحديث عن الأسباب التى أدت بعلماء الاجتماع إلى الاهتمام بدراسة الظواهر النفسية، نصل مع (روبرت بوكوك) إلى أنه إذا كان هناك القليل من الكتاب الذين رأوا أن هناك روابط ممكنة بين «علم الاجتماع ونظرية فرويد»، وأنهم تدبروا المدخل بين علم «النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع»
Social psychology and Sociology

أمثال: «أعضاء مدرسة فرانكفورت» Frankfort School و (وليهيلم ويتش) Wilhelm Reich الذى أبدى محاولة لربط (فرويد) (بماركس)، هذا وقد حاول (تالكوت بارسونز) أن يربط على الاجتماع النظرى عنده مع واجهات نظرية (فرويد) عن تطور الشخصية. كما رأى (بوكوك) أيضًا فى النهاية أنه رغم كل

(1) Martindale, Don.; The Nature and Type of sociological Theory; «Further Development in social action» Rotledge & Kegan paul, London, 1961, p. 422.

(٢) د. محمد سعيد فرح، البناء الاجتماعى والشخصية، مرجع سابق، ص ١٨٥.

تلك المحاولات من بعض السوسيولوجيون والفلاسفة الاجتماعيين إلا أن (فرويد) قد بقى مطالباً بضرورة التدعيم والحفاظ على علم الاجتماع[1].

أولاً: مدى تبنى علم الاجتماع لنظرية (فرويد) فى علم النفس ..

وبعد أن انتهينا من تناول الأسباب التى أدت بعلماء النفس والاجتماع من تبادل الاهتمام فى دراسة كل من الظواهر النفسية والاجتماعية، أحاول الآن أن أقف على مدى تبنى علم الاجتماع لنظرية (فرويد) الأساسية فى علم النفس، ومدى الإسهام الذى قدمه (فرويد) إلى علم الاجتماع من خلال نظريته هذه: وسوف أتناول فى هذا الصدد لنظريته الأساسية فى مكونات الشخصية، وجوهر الرابطة بين المجتمع والشخصية. ثم نعرض بعد ذلك لكل من علم الاجتماع اللاشعورى، وعلم الاجتماع والتحليل النفسى فى دراسات (فرويد).

ويرى (روبرت بوكوك) أن (فرويد) Frued لدى العديد من الناس يعنى شيئًا واحداً وهو الجنسى Sex. حيث كتب فى بداية القرن العشرين عن الجنسية عند الأطفال، والتى كانت فى هذا الوقت إسهام أساسى لفهم الموجودات الإنسانية، وأيضاً بالنسبة للمشكلات التى طور عدداً منها فى مرحلة النضج المتأخرة. وإن كان لايزال الكثير مما قاله (فرويد) غير متماثل فى الواقع مع الطرق التى يتحدث بها ويسلكها الأطباء، والممرضين، والمدرسين، والقضاة، حيث توجد هناك سوفسطائية خادعة فى فهمنا للجنسية Peseudo - Sophistication وعلاقتها بالأفعال الإنسانية وبالتالى يكون من الصعب علينا أن ندرك كم من الصعوبة أن نقبض على كل مظاهرها المختلفة. وربما أرجع (بوكوك) أن تلك الصعوبة فى فهمنا للجنسية، يرجع إلى أن ما يعنيه (فرويد) بالجنسية Sexuality يكون أوسع بكثير فى مضمونها عن الجماع التناسلى Gential intercourse بين الذكر والأنس، كما يعزى أيضاً فى جزء منه إلى تأكيده على أنه لايوجد أساس اجتماعى لوراثة الغريزة فى الناس، حيث يتمثل المفهوم الضمنى لهذا التأكيد الأخير فى أن «القوة» أو «النشاط» Energy الناجم عن الجنسية يكون مستخدم فى ربط الناس معاً فى جماعات اجتماعية من كل الأنواع مثل: الأسر، الأصدقاء، جماعات العمل، المدن، والشعوب، ثم أخيراً التنظيمات العالمية. هذا وقد كان (وليهلم ريتش) أول

---

(1) Bocock, Robert., op. cit., p. 20.

من طور تلك المضامين للفعل السياسي من خلال مطلب الحرية الجنسية Sexual liberation والذى يؤدى إلى التغيرات السياسية والاقتصادية ودون أن ينتج عن ذلك شكل جديد من أشكال السلطة. ويرى (بوكوك) فى هذا الصدد أن (وليهلم) قد أخذ فقط نصف نظرية (فرويد) وأجهل دور الغرائز التى طورت فى نظريته الأخيرة عن التحليل النفسى[1].

وكان لهذا التأكيد السابق على وجود الطبيعة الجنسية للروابط الاجتماعية أثر بالغ فى اهتمام السيولوجيون بفحص التصورات والملاحظات التى قادت (فرويد) إلى هذا الوضع، بمعنى أنهم قد نظروا إليه على أنه قد ورث «المشكلة الهوبزية» Hobbesian فى النظام، وبدأ من خلال إدعائه بأن الناس لايتفاعلون بالطبيعة فى المجتمع، ومن ثم بحث عن تفسير كيفية أن المجتمع يمكن من وجود الحالة الطبيعية «للحرب عند الكل ضد الكل»[2]، ويضيف (بوكوك) فى هذا الصدد «أنه مما لاشك فيه أن نظرية فرويد قد أحتوت على تصور تلك الحالة الهوبزية للطبيعة والتى تكون فيها قذرة وشهوانية وقصيرة»[3] وقد أدعى فرويد أيضاً فى هذا الصدد «أن هناك دفع نحو التعاون والاجتماعية والذى ينتج من الصفة الجنسية»[4].

وترتيباً على ما سبق يتضح لنا أن فرويد قد منح «الغرائز الجنسية» دوراً هامة فى فهم وتفسير الحياة الإنسانية، وأفرد لها الدور الرئيسى فى تشكيل الشخصية الإنسانية بالإضافة إلى دفعها للدخول فى مختلف أنواع النشاطات الإنسانية ومن خلال الأشكال المجتمعية بدرجاتها المتفاوتة. وجدير بالذكر فى هذا الصدد أن تلك «الغرائز الجنسية» بما تحتويه من بواعث ورغبات شهوانية، قد خصص لها فرويد مكانها فى جانب «الهو» Id من شخصية الفرد، وسوف يتضح لنا من خلال مناقشة تطور الذات العليا أو الأنا الأعلى The development of Super-Ego أن فرويد حاول أن ينتقل إلى مستوى آخر فى ربط الفرد بالمجتمع.

(1) Bocock, Robert., «Society and character» op. cit., p. 38.
(2) Ibid., pp. 38 - 39.
(3) Ibid., p. 39.
(4) Ibid., p. 39.

وقد أكد (روبرت بوكوك) فى هذا الصدد «أنه لايوجد أكثر وضوحًا من علم إمكانية الفصل بين الشخصية الفردية والجماعات الاجتماعية الأوسع التى تنتمى إليها كعضو فيها»[1] ويبدو ذلك بوجه خاص فيما يتعلق بتحليل تطور الضمير Conscience فى نظرية (فرويد) والتى تسمى «بالذات العليا» Super -Ego- تلك التى وفقًا لها يكون غير ممكن تحليل الأنساق المجتمعية على أنها تتكون من المثل والقيم والعلاقات القوية، وبدون أن نفحص الطريق الذى من خلاله تهبط فعليًا على الأفراد، لأن هذه المحاولة تؤدى بنا إلى تجريد نجد من خلاله المجتمعات والأنساق تبدوا على أنها تتصرف بدون أى إشارة إلى الناس المتضمنين فيها. وقد كان (تالكوت بارسونز) واحد من السسيولوجيون الذين أدركوا ذلك وحاول أن يربط تحليلاته للأنساق الاجتماعية بتحليلات (فرويد) للذات العليا كنقطة إرتكاز بين المجتمع والثقافة والأنساق الاجتماعية، فقد قام (فرويد) فى هذا الصدد بتطوير فكرة «الذات العليا» والجزء الذى تلعبه فى نظريته، حيث ذكر فى البداية تصوره عن «الذات المثالية» Ego-Ideal فى كتابه عن «تقديس الذات» On Narcissism (١٩١٤) ثم ماثل أخيراً بين تطور الذات المثالية، والذات العليا فى كتابه عن «الذات والهو» The Ego and the Id (١٩٢٣) حيث أوضح فى هذا الخصوص أن الأطفال يعوضون عن فقدانهم التقديس الذات فى طفولتهم – وحينما كانت تعتبر مثالهم الخالص – «بالذات المثالية أو الذات العليا» والتى تعتمد على المقربين جداً إليهم عارةً وهم الآباء والمعلمين وكل من توجد لديهم بعض من المشابهة مع آبائهم، بمعنى أن الأولاد سوف يرغبون عادتاً فى مشابهة آبائهم عند كبرهم، والبنات سوف يرغبون فى مشابهة أمهاتهم، و «الضمير» Conscience فى هذا الصدد يمثل وظيفة تلك «الذات المثالية»، بل ويكون منتقد إذا فشل فى معايشة تلك الذات والنهوض بوظائفها[2].

وقد لوحظ على عمل (فرويد) الأخير «الذات والهو» أن تحليله النفسى لنظرية الغريزة قد تغير بالنسبة «للغرائز الجنسية» Sexual Instincts، وغرائز الذات «Ego»

(1) Bocock, R., «The Development of Super-Ego», p. 48.
(2) Ibid., pp. 48 - 49.

Instincts تلك إلى تحدث عنها من خلال «تقديس الذات أو بقاء النوع» -Nor cissism ورأى أن «الذات العليــا أو الأنا الأعلى» لديه يكون ينتج من عــاملين هامين: الأول - بيولوجي Biological ويعتبر نهاية للفترة التي يعتمد فيها الطفل على مساعدة ورعاية الوالدين. والثاني - تاريخي Historical ويتمثل في أن الذات العليا تبرز من محاولة الطفل أن يكبح عقد أوديب Oedipus Complex وهــذا يعني أن الأولاد والبنات يقوموا بتحقيق ذواتهم مع آبائهم وأمهاتهم، وأن قوة هذا التحقيق في العلاقة سوف يعتمد على درجة التخنث Bisexuality في الفــرد، فكلما كانت البنت أكثر ترجلاً Masculine فتكون أكثر رغبة في تحقيق ذاتها بقوة مع والدها، وكلما شب الأطفال وكانوا أكثر أنثوية في مزاجهم فكلما كانوا أكثر قوة في تحقيق ذواتهم مع أمهاتهم وفي نفس الوقت يكونوا أقل قوة في تحقيق ذواتهم مع آبائهم. ولذلك كانت عمليات النمو بعيداً عن «عقدة أوديب» معقدة جداً. وتختلف من فرد إلى آخر معتمدةً في ذلك على ميزان عوامل التذكير والتأنيث في التركيب البيولوجي لجسم الشخصي، ومن ثم كانت «الذات العليا» هي جزء من «التراث القديم Archic heritage وباعتباره نتيجة للتطور الفردي الخاص، كما أن «الديانة» Religion و «الأخلاق» Morality تصبح أجزاء هامة في فهم «الذات المثالية» لجماعات الناس والأفراد الذين هم أعضاء في تلك المستويات، بل والجماعات السلالية والشعوب. وبالإضافة إلى ذلك فإن الأحاسيس الاجتماعية تظهر أيضاً من خلال تحقيق الذات مع ذوات الأعضاء الآخرين في الجماعة والذين يتمثلون نفس الذات المثالية في داخلهم[1].

ولقد أوضح (روبرت بوكوك) أن (فرويد) قد أنتقل من معالجته «للذات العليا» تلك التي من خلال تحقيقها مع ذوات الأعضاء الآخرين في الجماعة يمكن أن تؤدي إلى ظهور الأحاسيس الاجتماعية المتشكلة، إلى معالجة ما يطلق عليه بعلم «الاجتماع اللاشعوري»[2] والذي سوف «يهتم بفهم الدور الذي تلعبه العمليات

(1) Bocock, Robert, op. cit., pp. 49 - 50.

(٢) يورد (بوكوك) أن هذه الكلمة استخدمت بواسطة (ويلهيلن ريتش) Wilhelm Reich في كتابه «الثورة الجنسية» The sexual Revolution، لندن، ١٩٥١، ١٩٧٢، ص ٨ .

العاطفية اللاشعورية فى كلّ من تكوين واستمرار وجود المجتمعات»[١]. بالإضافة إلى أن هذا العلم يشير أيضًا إلى تلك الادراكات والمفاهيم فى حدود المقاصد الشعورية Conscious Intentions والتى لاتكون مفهومه فى الجماعات خلال العلاقات الاجتماعية، أو قد يكون توقعها الآخرين، وقد بدأ (فرويد) نفسه فى تطوير نظرية عامة عن العمليات العاطفية اللاشعورية فى المجتمعات الإنسانية[٢].

وقد كان المجال الرئيسى لاهتمام «علم الاجتماع اللاشعورى» Sociology of Consciοous يكمن فى تحليلات الضبط الاجتماعى Analysis Social Con-trol، فالطفل أو الرضيع منذ الولادة يمتص قيمة الأخلاقية، ويتعلم ضبط رغباته الغريزية حتى لايعاقب من الوالدين أو الفاعلين الآخرين معه بالمشاركة Other agents of socialization هذا بالإضافة إلى أن كل النظم المتمثلة فى: الديانة، التعليم، السياسة – تلعب دورها فى عمليات المشاركة والضبط الاجتماعى. وأيضاً نظم أخرى مثل: النظم القانونية والسجون prisons، والمستشفيات العقلية mental Hospitals تصبح مهتمة بالبحث عن المشاركة Resoocialitation وذلك عندما تلاحظ حدوث الانحراف Deviance اجتماعياً ويصير الفعل موجه ضد الشخص. وبالتالى فقد كانت تلك النظم الاجتماعية تحتوى على تلك الأفعال ذات الطبيعة الغريزية، بل وعندما تكون ذات صفة عنيفة وهائجة فى حدوثها[٣].

وقد أوضح لنا (روبرت بوكوك) فى هذا الصدد أن الثقافات الإنسانية تحدد الأفعال الجنسية لأعضائها، بمعنى أن الفعل والغاية يكونا مضبوطان سسيوثقافياً Socio-Culturally، وإن كانت المجتمعات تختلف فى النقطة التى تعتبر فيها الانحراف الجنسى Sexual deviance دلالة خطيرة أو جريمة، ولكنها فى نفس الوقت تضبطه بطريقة أو بأخرى. وبالمثل أيضًا توجد هناك ضوابط ثقافية على أفعال العنف ضد الآخرين أو الحيوانات أو الملكيات، بل أن المجتمعات تغير من تلك الضوابط على طول الوقت وكمثال: عندما يكون المجتمع فى حالة حرب مع مجتمع آخر .. وبعض من الأفراد لايجدون لديهم الشجاعة الفعلية لقتل الآخرين

(1) Bocock, Robert; op. cit., p. 8.
(2) Ibid., p. 8.
(3) Ibid., pp. 8 - 9.

من القوة المعادية، فإن العقوبة التى توجد فى ذلك الحين «كالسخرية» Ridicule، أو «السجن» Imprisonment، أو حتى «الموت» Death قد لاتكون على نفس هذا المستوى فى غير أوقات الحرب[1].

ويرى (روبرت بوكوك) «أن ذلك المجالين الرئيسيين فى النشاط الإنسانى يشكلوا مركزاً لنظرية فرويد وتطبيقاتها فى المجتمعات الإنسانية»[2] فالمجالين الرئيسين المتداخلين فى نظرية (فرويد) وهما «الجنسية»، و «العنف» violence يعنيان أن طاقة «اللبيدو» Libidinal التى تنبع من «الجنسية» تكون متلائمة فى استخدامها فى خلق واستمرار المجتمع والثقافات، وحيث نجد فى هذا الصدد أن القمع الغريزى لكل من الجنسية والدوافع العدوانية العنيفة يكون ضرورياً لامكان قيام أى مجتمع. وهذا يعنى أن نظرية (فرويد) فى أعلى درجاتها وضوحًا هى الطريق الذى من خلاله تكبت أو تقمع النظم الاجتماعية مثل: الأسرة، الدين، التعليم، القانون، والنظم السياسية – تلك الدوافع الغريزية فى الناس، وهذا يمكّن الجماعة الإنسانية من التعاون فى العمل مجتمعة حتى يحمى الأفراد أنفسهم من النتائج السيئة للطبيعة Worest Effects of nature ويحصلوا على أمان أكبر مما لا قد يحتمل حدوثه، وحيث يكون الضرر هنا متعلق بتجارب اللذة pleasurable Experience التى تنتج من الإشباع السريع للدوافع الغريزية المباشرة، والتى يجب أن تستخدمها المجتمعات الإنسانية من أجل أغراض أخرى أكثر من تلك الإرضاءات الفردية الوقتية. ونجد ذلك متمثلاً فى نمو وتطور الحضارة الإنسانية التى لاتقودنا إلى زيادة السعادة الإنسانية وتوقعها على أنها «منفعة» Utilitar-ianism وبدلاً من ذلك تبدو السعادة الإنسانية فى الحجم الهائل من الاقبال بين الناس على أكبر نسبة من أقسام التعليم بين طبقات المجتمع[3].

وترتيبا على ماسبق يتضح لنا مدى إهتمام (فرويد) بالدور الهام الذى تلعبه الدوافع اللاشعورية فى سلوك الفرد والمجتمعات، مما يؤكد لنا فى هذا الصدد أهمية الاهتمام بالدور الهام للتحليل النفسى الفرويدى فى فهم الحياة الاجتماعية بوجه

(1) Bocock, Robert., op. cit., p. 9.
(2) Ibid., p. 9.
(3) Ibid., pp. 9 - 12.

عام. وإن كانت محاولة جعل علم الاجتماع أكثر مشابهة بالعلوم الطبيعية، وتحقيق أكبر قدر من الموضوعية في دراسة موضوعاته تقف في الجانب المقابل في دراسات (دوركيم) الذى يرى «أن التجليات الفردية قد تشير إلى ظواهر اجتماعية ونفسية يهتم بها عالم الاجتماع على نحو غير مباشر»[1]. ويتجلى ذلك في نظرته إلى أن الظواهر الاجتماعية تستمد أصولها من المظاهر الجمعية للمعتقدات والممارسات الجماعية التي تتصف بالاستمرار بجانب العمومية، بمعنى أن الفكرة التي تحقق في شعور كل فرد لاتكتسب لهذا السبب صفة الاجتماعية لأن هناك تمييزاً هاماً بين الظواهر الفردية والاجتماعية. إلا أن (روبرت بوكوك) بصدد أهمية العمليات اللاشعورية الفرويدية في التحليل النفسي - يؤكد على أهميتها - ويبين أن (دنيس رونغ) Deniswrong في معالجته العامة لتصور «المشاركة المفتوحة للإنسان في المجتمع الحديث» أشار إلى أن السيولوجين الآخرين أمثال (هومانز) Homans، (انكليز) Inkeles قد أدركوا أن علم الاجتماع لايستطيع أن يدير أمره بدون نظرية عن الطبيعة الإنسانية Human nature وحتماً على الأقل إن لم تكن واضحة في نظرياته، وقد وجدت هذه النظرية في علم الاجتماع في عام (١٩٥٠) وبدايات (١٩٦٠) وكانت تقوم على دعوى أن الإنسان يلعب دوراً مستمراً في البحث عن التوافق الاجتماعي، والمركز، ومن ثم فالناس يتوافقون مع التوقعات المعيارية Normative Expections من أجل الحصول على هذا التوافق لدى نظرائهم المفضلين أو غير المفضلين. وقد كانت وجهة نظر (رونغ) هذه عن المشاركة المفتوحة للطبيعة الإنسانية وهو بصدد تعليقه على نظرية (فرويد) عن الطبيعة الإنسانية التي يرى فيها أن الغرائز لاتتسبب مباشرة في السلوك وهي متجاهلة للقيم الثقافية المحيطة، حيث يؤكد في هذا الصدد على أن تصور المشاركة المفتوحة للإنسان في المجتمع، وأيضاً تأثير الفينومينولوجيا phenomenologia على علم الاجتماع، وبطرق مختلفة كان ينظر إليه في البداية على أنه غير متوافق مع نظرية (فرويد)[1].

---

(١) نيقولاتيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٦٠.

(1) Bocock, Robert.: «Sociology and Psychonalysis», op. cit., p. 32 - 33.

ثانياً: مدى اهتمام علم الاجتماع بالأسس النفسية لنظرية «تارد» Gabriel Tard

ولد تارد فى المدينة الصغيرة والأكثر عزله التى تسمى «سارلات» Sarlat والتى تقع على بعد مائة ميل شرق «بوردكس» Bordeaux منذ العصور الوسطى عن أم محافظة ووالداً كان قاضياً فى سارلات ثم مات حينما كان (تارد) فى السابعة من عمره. وقد تلقى تعليمه التخصصى المنظم فى «مدرسة الجزويت»، ثم حصل على درجة الثانوية فى الإنسانيات، وكان قد أتجه فى البداية للتزود بالعلم والرياضيات فى «المدرسة البلوتكينكية» ثم عرض فى عينة جعله يغير من خططه. ثم درس القانون فى جامعة «تولوسوى» Toulouse حيث عاد إلى (سارلات) كقاضياً As A Magistrate، ثم تدرج فى مناصب الإقليم رافضًا مغادرة (سارلات) اقليمه القومى الذى تقطنه والدته، ودون أن يتطلع إلى وظيفة جذابة فى باريس. وقد كرّس (جابريل تارد) بعد ذلك طاقته لتطور نسق النظرية الاجتماعية، وكان الإطار العام لنسقه متأثراً أساسيًا بكلٍ من ليبنيز Leibniz، (وهيجل) Hegel، (وكورنوت) Cournot ثم (سبنسر) Spencer وبين عامى (1890 - 1883) نشر «علم الاجرام المقارن»، و«فلسفة العقاب» وذلك من خلال مقالات قصيرة عن الإجرام والعقاب تلك التى اكسبته سمعة حميدة كواحد من المؤسسين الفرنسيين لعلم الإجرام. وبعد وفاة والدته فى عام (1894) أصبح (تارد) مديراً لقسم الجريمة فى وزارة العدل الفرنسية. وقد تمثلت أعماله الضخمة فى المجالات السسيولوجية والفلسفية وفى مؤلفاته الرئيسية وفى محاضراته التى ألقاها فى كلية ليبرو للعلوم الاجتماعية، وقد عين فى (1900) أستاذاً للفلسفة الحديثة فى الكلية الفرنسية ثم انتخب فى أكاديمية العلوم الأخلاقية والسياسية الفرنسية بعد ذلك. وقد تمثلت مؤلفاته الرئيسية فى علم الاجتماع فى «قوانين المحاكاة» (١٨٩٠) Laws of im-itation، «المنطق الاجتماعى» (١٨٩٤) Social Logic، و «التعارض الكونى» (١٨٩٧) Unvirsal opposition، «والقوانين الاجتماعية» (١٨٩٨) Social

Lows، وقد لخص فى هذا الكتاب كتبه الثلاثة السابقة هذا وقد وافت المنية (جابريل تارد) فى عام ١٩٠٤(١)

ولما كان (تارد) حاكماً وقاضياً فقد تعامل بإستمرار مع جرائم مألوفة ومتكررة، تلك الخبرة التى أثرت فى نظرته إلى الجريمة Criminology كمجال لدراسته، وأيضًا فى تطويره للنظرية التى من خلالها يلعب «التقليد» Imitation دوراً مركزياً، حيث نجده بإهتمام غالب قد تعامل مع «الأفراد» أكثر من «الجماعات» أو «التنظيمات الكبرى». وقد كانت نقطة الإنتقال الكبرى لدى (تارد) متمثلة فى عمليات التفاعل أو كما أصطلح على تسميتها «النشاط العقلى – أو الداخلى –» Inter Mental activity حيث شعر فى هذا الصدد بأن الشخصيات الإنسانية تحتوى فى تفاعلها على مادتان خام هما: «المعتقدات والرغبات» Beliefs and desires وفى إطار نظريته هذه توجد ثلاثة عمليات رئيسية هى: «الاختراع» In-vention، و «التقليد» Imitation، و «المعارضة». Opposition(٢).

وهكذا يتضح لنا اهتمام تارد بدراسة الشخصيات الإنسانية من خلال عمليات التفاعل الاجتماعى وفى إطار ومحتوى نفسى خالص يتمثل فى المعتقدات والرغبات التى توجد لدى الأفراد، ومن ثم قد تركزت النظرية السسيولوجية عند (تارد) حول عملية المحاكاة، بمعنى أننا نجد فى نطاق البحث العلمى ثلاث عمليات كبرى دائمة هى: التكرار Repetition، والتعارض opposition، والتوافق Adaptation، حيث وجد (تارد) فى هذا الصدد أن كل ضروب التشابه ترجع إلى التكرار الذى أعتبره قانوناً كونياً، ويتجلى هذا التكرار فى العالم الطبيعى فى الموجات، وفى علم الحياة يتمثل فى التوالد، أما على المستوى النفسى والاجتماعى فإن هذا التكرار يأخذ صورة «المحاكاة». ومعنى ذلك أن الظواهر الاجتماعية إنما ترجع بصفة نهائية إلى العلاقة بين شخصين يمارس أحدهما تأثيراً عقلياً على

---

(1) TERRY N. CIARK., «Gabrile Tard» En Eneyclopidia of Social Science; (ed.) David L. Sills volume 15, The Macmillan Company & The Free Press, New York, 1968, pp. 509 510.

(2) Terry. N. Clark, «Gabril Tard» op. cit., p. 50.

الآخر، بل إن المجتمع يأخذ فى الظهور حينما يتجه الفرد نحو جعل سلوكه على نمط سلوك الآخرين[1].

وفى عرضنا للعناصر الثلاثة للنظرية العامة لدى (جابريل تارد) نجد أنها تقوم فى تفسيرها للحياة الاجتماعية بوجه عام والعملية الاجتماعية بوجه خاص، على الإجابة الخاصة «بلماذا يكون شخصاً معيناً بالذات نموذجًا لشخص آخر؟ .. ويجيب تارد فى هذا الصدد إلى أن ذلك يشير إلى التباين، أى ما يترتب على إختراع الفرد أو مبادأته من أشياء». وهذا يعنى كما سوف تبين من مناقشة النظرية أن الاختراع والمحاكاة يمثلان النمط المميز للعملية الاجتماعية.

الاختراع: Invetion

ويورد (تيرى كلارك Terry Clark) فى هذا الصدد أنه يبدو أن (تارد) قد تابع وجهة نظر (داروين Darwin) التى ترى أن الاختراعات «هى نمط من النشاط مخترع بواسطة الإنسان لمساعدته على التوافق مع البيئة المتغيرة»[2]. بمعنى أن كل اختراع وتقدم إنسانى ينسلخ من المشاركات الخالقة فى العقول الفردية، بالإضافة إلى أنه هو الشكل الاجتماعى لتوافق العمليات الاجتماعية. ويبدو أن (تارد) قد تابع أيضاً عمل (جالتون Galton «عبقرية الإنسان» Men of Genivs واقترح أن إمكانية الاختراع لدى الناس فى وقت ما تكون محددة بمدى قدرات أعضاؤه من الأفراد، فإذا كانت كل العوامل الأخرى ثابتة بين الأعضاء فإن هناك أكثر إمكانية فى أن يكون هناك مشاركة منظمة فى الأفكار سوف تبدو[3].

وإذا كان تارد قد أضاف إلى عملية الاختراع والتجديد العنصر الاجتماعى على اعتبار أنها تعنى جمع ووضع مواد اجتماعية قديمة فى شكل جديد يصبح نمطاً يقتدى به الآخرين، أو أنها تشير إلى عملية التحور والتبدل الذى يطرأ على النمط حين ينتقل بالمحاكاة من جيل إلى جيل أو من شخص إلى آخر بالوسائل

---

(١) نيقولاتيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٥٣.
(2) Terry. N. Clark.; op. cit., p. 510.
(3) Ibid., p. 510.

الاجتماعية إلا أن (تارد) قد ركز في هذا الصدد على أهمية الدور الذى تلعبه شخصية المخترع أو عبقرية الرجل العظيم لأن التيارات الاجتماعية لاتثير نفس النتائج في عقلية كل فرد، وهذا يعنى أن هناك نوعاً من الاختراعات الفردية تتميز عن الاختراعات ذات الطبيعة الجمعية والتى تحدث على هيئة دورات تمثل تكيف المجتمع بمراحل تطوره[1]

وفيما يتعلق بالتقليد أو المحاكاة: Imitation

وهو الجزء الثانى فى نظرية تارد «التى تقوم على دراسة الأرجاع النفسية والعقلية بين الأفراد والفئات»[2] يرى (تيرى كلارك) أن آلاف من الاختراعات تنهض ولكن عدداً قليلاً منها هو الذى ينتشر، وقد وصف (تارد) العمليات التى تجعل من اختراعاً ما ناجحاً فى تحليلاته «لقوانين التقليد والمحاكاة»، حيث يرى أن المبدأ الوحيد فى هذا الوصف لتلك العمليات يتمثل فى أن الاختراعات تبدى إتجاهاً عاماً نحو «الانتظام» و «التقدم»، وكما تتأثر موجات الصوت والضوء بالمادة التى تسافر من خلالها، فإن التقليدات تكون «منكسرة» Refracted بواسطة البيئة، فالعوامل الفيزيقية والبيولوجية تؤثر فى تقدم «التقليدات» Imitations ولكن (تارد) اعتبرها أقل أهمية من المتغيرات السسيولوجية، بمعنى أن «الاختراعات». تكون أكثر تأثيراً وأهمية حينما تكون متشكلة منطقياً من خلال الواجهات العقلية للثقافة، وحيث يحاكى الأفراد نموذجاً بالذات لأنهم يعتقدون أنه أكثر نفعاً أو أكثر توافقاً مع النماذج السائدة من قبل، ثم تنتشر محاكاة هذه النماذج من مركز معين إلى بقية قطاعات المجتمع. وإن كانت هذه النماذج تتعدل من خلال وسائل الاتصال البيئية، وقد أطلق (تارد) على تلك المحاكاة المتعلقة بالاختراعات المتشكلة منطقياً من خلال الواجهات الثقافية العقلية «بالقوانين المنطقية للمحاكاة»[3].

أما عن القوانين فوق المنطقية والتى تؤثر فى انتشار الاختراعات فهى ثلاثة:

(١) أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعى، مرجع سابق، ص ٤٧١

(٢) نفس المرجع، ص ٤٧٣.

(3) Terry Clark; «Gabril Tard». op. cit., p. 510.

والقانون الأول: هو التقليد من «الداخل إلى الخارج» تأثراً بالمعرفة المسبقة التى تسبق السلوك، بمعنى أن الأفكار ربما تكون منقولة قبل الكلمات المستخدمة للتعبير عنها «والغايات» قبل «الوسائل».

والقانون الثانى: هو بناءات المكانة العليا والتى تعتبر ممرات للتقليد، بمعنى أن الاختراعات المقدمة من خلال المستويات العليا الاجتماعية يكون مرغوب أكثر فى تقليدها من تلك التى تكون مقدمة من خلال المستويات الاجتماعية الدنيا Social in-feriors .

والقانون الثالث: فى هذا النسق لقوانين التقليد والمحاكاة فيتمثل فى قابلية وجود أنواع مختلفة من الاختراعات، فهى – إما أن تكون «قديمة» و «تقليدية» أو أن هناك رغبة فى التزود بالاختراعات يكون موافق عليها فى الوقت الحاضر[1] – وفى نفس الوقت تكون تلك المتغيرات فى واجهتها التطبيقية على مستوى كل مجالات المجتمع «لغة» Lanfuage، «وديانة» Religion، و «حكومة» Government، و «اقتصادية» Economic و «أخلاق» Morality، «وفنون» Arts. ويرى (تيرى كلارك) أن هذا العامل الثالث من العوامل الاجتماعية فوق المنطقية والمؤثرة فى انتشار الاختراع ويتوازى مع إهتمام (تارد) أيضاً بمستوى التطور العقلى، بمعنى أن كلاهما يتنبأ بأن «المخترعات الثقافية» يكون مرغوب فيها بصورة غالبة ويحتمل حدوثها عندما تتشابه مع العناصر النظامية فى إطار الثقافة[2].

المعارضة: Opposition.

ومع نشر (تارد) لعمله «المعارضة الدائمة» فى عام (١٨٩٧) Le opposition universelle يكون قد أضاف إلى العمليتين الرئيسيتين فى نظريته تصوراً جديداً وهو «المعارضة» أو «الصراع». ولقد درس (تارد) «التعارض الفيزيقى» وتأثيره على حركة وطاقة الحشود، كما حدد أهمية «التعارض البيولوجى» وإسهامه فى تطور

---

(١) ويعبر نيقولاتيماشيف عن ذلك اصطلاحياً بسيادة التقاليد (محاكاة الماضى)، أو إنتشار «الموضة» Fashion (محاكاة النماذج الجديدة)، ص ١٥٣.

(2) Terry, Clark., «Gabril Tard», op. cit., p. 510.

الأجزاء، كما أكد أيضًا على «الصراع النفسى» متمثلاً فى صراع الأفكار والدوافع فى إطار العقل الفردى والذى ربما ينتج فى محيط توافق الاختراعات. أما بالنسبة «للصراع الاجتماعى» فقد أعتقد بأنه يميل إلى الحدوث حينما تكون عناصر المخترعات المتباينة فى حالة احتكاك وتفاعل بعضها مع بعض[1]. وقد أورد (نيقولاتيماشيف) وهو بصدد تحليله لهذا الجزء من نظرية (تارد) أنه يرى «أن التعارض الذى يأخذ شكل الصراع، يعبر عن التقاء موجات متباينة من المحاكاة يمكن تمييزها فى حالات الحرب، والمنافسة، والمجادلات اللفظية» ففى الصراع الذى يحدث فى حالة الحرب التى تحدث عندما يبلغ التعارض أقصى درجاته، نجده يميل نحو الاختفاء تدريجيًا، أما المنافسة فهى السمة الغالبة على النشاط الاقتصادى، بينما ينتشر التعارض اللفظى القائم على الجدل فى ميادين الدين، وفلسفة القانون، والعلم[2].

وفى مجال توافق الاختراعات والدور الذى تلعبه الاختراعات الفردية وما تقوم عليه من أسس نفسية متمثلة فى الرغبات Desires والعقائد Beliefs، يرى (تارد) أن تلك الاختراعات الصغيرة تتجمع وتكون اختراعات كبيرة تنسجم وتتوافق مع طبيعة التطور الاجتماعى العام. فإذا ظهرت فكرة جديدة فى عقول الأفراد لايلبث الآخرون فى تقليدها ومحاكاتها وتكرارها، وبذلك تنتشر فى حدود الشكل الاجتماعى الصغير الذى يمثله (بالحشد) Growd. ولكن لاتلبث أن تصطدم بموجة أخرى من المحاكاة تأتى من مركز آخر فى الوحدة الاجتماعية الكبرى المتمثلة فى (الجمهور) public، ومن ثم يحدث بينهما نوع من المقاومة أو المعارضة مما ينتج عنه إما إختفاء الموجتين معًا أو إنتصار إحداها على الأخرى، أو تكيف إحداهما مع الأخرى وظهور نمط جديد من «الاختراع» وعلى هذا فإن الحياة الاجتماعية تقوم على أساس تلك الدورة المستمرة والدائمة بين «الاختراع» و «التقليد» و «المقاومة» والتى تؤدى إلى موجة جديدة من الاختراعات[3]. وتلك

(1) Terry, Kark, op. cit., p. 510.

(٢) نيقولاتيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٣) أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعى، مرجع سابق، ص ص ٤٧١ - ٤٧٢.

الحركة هى التى «تمثل التفاعل السيكولوجى المتبادل بين الأفراد الذين تجمعهم علاقات اجتماعية متبادلة، كما تمثل أيضًا إطارًا نفسيًا مرجعيًا لتلك العمليات»(1).

ولقد ناقش أيضًا (تيرى كلارك) فى نظرية (تارد) تلك الجوانب الخاصة بالعلاقة بين وسائل الاتصال الجمعية والتأثير الشخصى، ويرى أنه قام بدراسة المجال الاجتماعى الخاص بتلك التطورات التكنولوجية فى وسائل الاتصال الجمعية مثل: التلجراف، والتليفون، الكتب، والاعلانات، والأخبار، تلك التى تعتمد فى هيئتها الحديثة على الاختراعات والنقل والاتصال وعلى وجه الخصوص فى المجتمعات الصناعية، مما جعل لها أهمية كبرى فى تحقيق «الضبط الاجتماعى» Social Control من خلال قيامها بظهور «الجماهير» publics، أى تجميع الأشخاص المنعزلين وتنمية درجة معينة من الشعور الذاتى لديهم. - Certain degree of self consciousness وهذا يعنى أنه من خلال تلك الجماهير يرى (تارد) أن (الأخبار - أو الجرائد) News papers تعتبر القوة العظمى فى خلق تلك التجمعات الثانوية Secondary groups مثل: المستويات السياسية، والقومية، وتنظمات العمل، والشخصيات الدينية، بل إن تشابك تلك الولاءات الممتدة بين الأفراد يؤدى إلى وظيفة مزدوجة عند (تارد) كما هو عند (زيمل) George Simmil حيث تؤدى إلى ازدياد حجم الجماعة كما تؤدى إلى ازدياد حرية أعضائها(2).

ولكن (تيرى كلارك) يرى فى النهاية أن «الاتصال غير الشخص فى إطار نظرية (تارد) لايكون ذو فاعلية فى ذاته»(3). Impersonal Communication is not Effective حيث يشير فى كتابه «الرأى والجماعة» L'opinion Etla Foule إلى أن الناس إذا لم يتشافهوا سوف يكون غير مفيد أن تنشر أخبارًا، ولن يكون هناك تأثير عميق، وهم فى هذا يكونوا متشابهين بالوتر المهتز دون يصدر عنه أى صوت

(1) أحمد الخشاب، ص ٤٧٢.

(2) Terry N. Kllark.; op. cit., pp. 511 - 512.
(3) Ibid., p. 512.

خارجي. وهذا يعني أن تكوينات (تارد) تكون قريبة لما هو معروف بأن هناك «خطوتين تنبعان من الاتصال» Two-Step flow of Communication ومضمونهما: أن الاتصالات الجمعية تؤثر بإتساع من خلال الوجود الإنساني كما تتوافق في نفس الوقت مع خصوصيات الأفراد بواسطة «آراء القادة» Opinion Leaders، تلك الفكرة التي تعني في نظرية (تارد) أن الأفكار الجديدة New ideas – الاختراعات Invention – المنبثقة من خلال الاتصال غير الشخصي تنتشر في المجتمع بواسطة عمليات التقليد. في حين أن مبدأ التقليد Principle of imitation يكون أكثر توافقاً في مجال التأثير الشخصي على اعتبار أن «التقليد أو المحاكاة» يتقدم من المستوى الأعلى إلى المستوى الأدنى[١].

ثالثاً: بين دوركيم وفرويد وتارد:

أما الآن وبعد أن حاولت الوقوف على مدى تبني علم الاجتماع لنظرية (فرويد) Frued في علم النفس، ثم على مدى إهتمام علم الاجتماع بالجوانب النفسية لنظرية (تارد) Tard في تفسير الحياة الاجتماعية، سأحاول في هذا الصدد الدخول في موقف مقارن بين وجهات نظر كل من (دوركيم) و (فرويد) و (تارد) وذلك بهدف الوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف لدى كلٍ منهم[٢].

وسوف أبدأ بعرض لوجهة النظر الدووركيمية في دراسة الحياة الاجتماعية بوجه عام وموقفه من وجهة النظر النفسية في دراسة الفرد والمجتمع:

ولد (أميل دوركيم) (١٨٥٨ – ١٩١٧) في مدينة «أبينال» Epinal التي لاتبعد كثيراً عن «استراستبوبرج» Strastiborg عن أبوين يهودين. ولقد لازم «مدرسة المعلمين العليا في باريس» وكان معه كلٌ من (هنرى بيرجسون) و (جين جيريس) و (بيرى جانيت). وكان إهتمامه الأول بالفلسفة، ثم ملك إهتماماً واستعداداً قوياً للاهتمام بالتصنيفات السياسية والاجتماعية والتي حافظ عليها طوال حياته، وقد كان تعيينه الأكاديمي الأولى في العديد من المديريات الاقليمية

(1) Terry, Klark., op. cit., p. 512.
(2) Porsons, Talcot.; «durkheim Emile» Encyclopedia of Social.

كمدرس. وبين عامى (١٨٨٥ – ١٨٦٨) أخذ دوركيم أجازة لمدة عام، والسفر للدراسة إلى ألمانيا، حيث كان متأثراً بالعمل السيكولوجى لدى (ويليلهيلم فوندت) lhelm Wundt أستاذ العلاقات بعلم الاجتماع. وقد أسس وأخذ رئاسة تحرير أهم مجلة فرنسية هى «المجلة السسيولوجية الفرنسية» L' anneé Sociologigue ، ثم بعد ذلك وفى مناسبات هامة أحتوت (دوركيم) الاهتمامات السياسية: أثناء أوقات الأزمات، وأثناء الحرب العالمية الأولى World War I، وبالإضافة إلى هذا كانت له إهتماماته النشيطة بعلم الاجتماع التطبيقى Applied Sociology، وربما كان ذلك ملاحظ بصورة أكثر فى مجال التعليم[١].

وربما يطلق على (دوركيم) أنه واحد من الاثنين المؤسسين للواجهة الحديثة للنظرية السسيولوجية الحديثة مع (ماكس فيبر) Max Weber زميله الأصغر منه، ومن خلال أعماله الأربعة العظمى: تقسيم العمل (١٨٩٣) The Division of Labor، «وقواعد المنهج فى علم الاجتماع»، «والانتحار» Suicide، و «الأشكال الأولية للديانة» Elementary forms of the Religion. حيث أسس (دوركيم) فى هذا الصدد واجهة متسعة فيما يتعلق بتحليل الأنساق الاجتماعية التى تعد نقطة إرتكاز لعلم الاجتماع وعدداً من النظم المرتبطة به مثل الأنثروبولوجيا فى ذلك الوقت، ولكن واجهة التحليل الرئيسية فى اهتمامه الخاص كانت تتركز باستمرار على طبيعة النسق الاجتماعى وعلاقة هذا النسق بشخصية الفرد، كما كانت تنصب فى نفس الوقت على مشكلات الإنسان والمجتمع[٢].

وقد أورد (روبرت بيرسيتدت) Kobert Bierstedt أنه من أكثر التصورات المشهورة لدى (دوركيم) والتى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعالجة للظواهر الاجتماعية، هو ذلك التصور الخاص «بالضمير الجمعى» Common conscience، والذى تأسس فى اللغة مع مشكلة متمثلة فيما إذا كانت ترجمته على أساس أنه «ضمير» Conscience. أو على أنه «شعور أو وجدان» Consciousness، فإما أن تمنحه

(1) Sciencies; (ed.) David L. Sills; volume 4, p. 311.
(2) Parsons, Talcot.; «Durkheim Emile», op. cit., p. 311.

تحديداً أخلاقيًا أو تحديداً سيكولوجيا، ويرى أنه لسوء الحظ لم يكن هناك إجابة سليمة لهذا السؤال، تحدد استخداماتها بكلا الأحساسين، حيث يرى (دوركيم) فى هذا الصدد أن هذا المجموع الخاص بالعقل الجمعى بشكل نظامه الخاص ويملك حياته الخاصة، وهذا الضمير الجمعي ليس له أصل خاص ولكنه يكون منتشر خلال المجتمع بأكمله، بمعنى أنه يستمر فى استقلاله عن أفراده المعنيين من حيث أنه يسبق وجودهم فى المجتمع ويبقى بعد رحيلهم[1]. وعلى هذا الأساس يعرفه (دوركيم) «بأنه مجموع المعتقدات والعواطف العامة والجمعية — لمتوسط الأعضاء فى نفس المجتمع»[2]

ويستند (دوركيم) فى تصوره هذا للعقل أو الضمير الجمعى إلى أن «الحالات النفسية التى تمر بشعور الجماعة تختلف فى طبيعتها عن الحالات التى تمر بشعور الأفراد»[3]. بمعنى أنها تصورات من جنس آخر، حيث تختلف عقلية الجماعات عن عقلية الأفراد، كما أن الفرد لايستطيع أن يفسر مادة الحياة الاجتماعية بعوامل نفسية محضة، أى ببعض حالات الشعور الفردى، لأن التصورات الاجتماعية لاتعبر فى الواقع عن شئ آخر غير تفكير الجماعة فى الصلات التى تربطها بالأشياء التى تؤثر فيها، وفى نفس الوقت يكون تركيب الجماعة مخالف لتركيب الفرد، وبالتالى تختلف طبيعة الأشياء التى تؤثر فيها عن طبيعة الأشياء التى تؤثر فيه، وفى هذا الصدد يصل (دوركيم) إلى حد أنه لو كان يظن بعض الناس من أن بعض القوانين التى تخضع لها عقلية الجماعة تشبه بالفعل بعض القوانين التى أهتدى إليها علماء النفس وقرروها بصدد الشعور الفردى، فليس معنى ذلك أن القوانين الأولى تكون مجرد حالة خاصة من القوانين الثانية، بل معناه أنه إلى جانب أوجه الخلاف الهامة بين هذان النوعان من القوانين، يوجد هناك أوجه شبه يمكن

---

(1) Bierstedt, Robert.; op. cit., pp. 52 - 53.
(2) Ibid., p. 53.

(٣) أميل دوركيم، قواعد المنهج فى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٣٢.

استنباطها فيما بعد بعملية التجريد، ولكن ما يرحت هذه الأوجه الأخيرة مجهولة حتى الوقت الحاضر[1].

وقد أوضح لنا (روبرت برستيدت) في كتابه «أميل دوركيم» أن ظاهرة تقسيم العمل عنده كانت أكثر أهمية للغاية مما يدعيه الاقتصاديون، نظراً لأنها تعتبر في الحقيقة واحدة من العمليات الاجتماعية الرئيسية التي تؤدي إلى التضامن الميكانيكي (الآلي) Mechanical – والذي يختلف عن التضامن العضوي» organic الذي يسود في المجتمعات الأكثر تطوراً – حيث يؤدي بناء هذا التضامن الآلي إلى وجود الضمير الجمعي Callective Conscience والذي يفسر لنا الوحدة والكمال Unity and Integration عند أكثر المجتمعات بدائية[2].

---

(1) نفس المرجع، ص ص ٣٢ - ٣٧

(2) Bierstedt, Robert.; «The Collective Conscience», op. cit. p. 61.

أما عن التضامن العضوى فقد قال دوركيم فى هذا الصدد

«أن كل مجتمع هو مجتمع أخلاقى، والفرد الذى يعمل من خلال تقسيم العمل يجب أن يكون واضحاً أنه يعتمد على الأعضاء الآخرين، وكم يكون ذلك حقيقياً من خلال أنه يتلقى منه كل شئ يحتاجه، بالإضافة إلى أن التعارف يساعده على تشكيل عواطفه ويمنح تعاونه صفة أخلاقية»[1].

هذا بالإضافة إلى أن من أغلب تعليقات (دوركيم) الهامة والمتماثلة مع تصوره للضمير الجمعي هو تصوره الخاص «بالثقافة» culture واستخداماتها فى العلم الاجتماعي الحديث، حيث يرى أنها مستقلة عن الأفراد وتتعلق بكل ما هو عام وكلى، وتشكل شيئاً ما يتحرك من خلال الوقت من تعميم إلى آخر فى «التراث الاجتماعى» Social heritage ذلك التراث الذى يمثل وحده الثقافة التى تحدد المجتمع، وإن كان أبدى (دوركيم) أيضاً فى هذا الصدد إلى أن هناك إختلافات بين الثقافة والضمير الجمعى، حيث نجده يضفى على الثقافة تأكيداً أخلاقياً عميق وعلى اعتبار أن الضمير الجمعى فى نظره لايشتمل على الأشياء المادية التى تحتوى عليها الثقافة والتى يملكها أعضاء المجتمع[2].

وترتيباً على تصور (دوركيم) للضمير الجمعى يضيف (روبرت برستيدت) أنه عالج المشكلة المتعلقة بالعقوبة والتى تعتبر ذات مغزى دينيًا، فى كتابه The Elementary of thte Religious Life ، ويرى فى هذا الصدد أن القانون الجزائى Penal Law يكون بالضرورة دينى فى أصله، بل إن الديانة فى ذاتها تكون بالضرورة ظاهرة اجتماعية Social phenomenon تلك التى ربما قد كان هناك اعتقاد خاطئ بصددها وتتمثل فى أنها توجد من أجل الأفراد، بل تكون مستخدمة بواسطتهم من أجل متابعة وتحقيق الحاجات الشخصية، بمعنى أن الديانة بالتحديد تشبه المجتمع ذاته، لأنها تكون خارجة على الفرد وتظهر ضغطاً معيناً عليه[3].

---

(1) Biersted, Robert; op. cit., p. 61.
(2) Ibid., p. 53.
(3) Ibid., pp. 54 - 55.

ويتضح لنا مما سبق أن دوركيم قد أنتقل بتفكيره إلى مستوى آخر أعلى من مستوى الفرد، وتمثل هذا المستوى فى وجود ما يسمى «بالضمير الجمعى» وفى نفس الوقت يعزى إلى هذا الضمير الجمعى تفسير كل المظاهر المجتمعية من «ثقافة» و «دين» و «جزاء» بين أفراد المجتمع، وبالتالى لايرى أن علم النفس يفيد فى دراسة ظواهر هذا «الضمير الجمعى» الذى يختلف فى تركيبه وخصائصه عما يوجد لدى الفرد من ظاهرات وتصورات نفسية فردية، وعلى اعتبار أن مكونات هذا الضمير المجتمعى تكون هابطة وملزمة على أفراد المجتمع وخارجة عن شعورهم، ومن ثم يجب دراستها على أنها أشياء وكما هى فى الواقع.

بمعنى أن (دوركيم) يرى فى هذا الخصوص أن تلك الضمائر الفردية Individual consciences – النوعية – التى تشكل النمط السيكولوجى psychological - Type للمجتمع، تختلكف فى خصوصياتها كما هو فى النماذج الفردية، عن ذلك «الضمير الجمعى» Collective conscience الذى هو عبارة عن حاصل «الضمير الاجتماعى» Social conscience [١]، والذى يمتد ليشتمل على أكثر من الحياة النفسية للمجتمع وخصوصاً فى المجتمعات المتقدمة، والتى لاتشكل الحياة النفسية إلا جزءاً منها – والتى تتمثل فى تلك الوظائف الخاصة ذات الطبيعة النفسية طالما أنها تتكون من أنساق الاستجابات والتصرفات – بمعنى أن تلك الوظائف الخاصة بتلك الأنساق ذات الطبيعة النفسية تكون خارجة عن نطاق الضمير الجمعى Common Comscience [٢].

«بين دوركيم وفرويد»:

وفى مجال المقارنة بين نظريتى (دوركيم) و (فرويد) ووجهات نظر كل منهما فى دراسة الحياة الاجتماعية وتفسيرها: سوف نبدأ بمناقشة «ظاهرة الانتحار»

---

(١) يشير روبرت بيرستيدت فى هذا الصدد إلى أن دوركيم يستخدم لفظ Social (اجتماعى مرادف للفظ Collective (جمعى)، كما يستخدم Common or Collective Conscience فى كتاباته الاجتماعية المختلفة. ص ٥٥.

(2) Ibid., pp. 64 - 65.

Phenomenon of suicide في محاولة للوقوف على كيفية معالجة «الوجهة الاجتماعية» لها عند (دوركيم) ثم «وجهة النظر النفسية» عند (فرويد)، وعما إذا كان هناك إتفاق أو إختلاف بينهما:

ويورد (دوركيم) في هذا الصدد أن هناك نوعين من الأسباب الاجتماعية الخارجية Extra-Social Couses والتي وفقاً لها يعزى الفرد الإسهام الأولى والتأثير في معدل الانتحار Suicide Rate: الميول السيكولوجية العضوية organic-psychic dispositions، ثم طبيعة البيئة الفيزيقية physical Environment وعلاقتهما بتركيب الأفراد، بمعنى أن هناك احتمال في أن يكون الانحراف مختلف في درجة حدته في مستويات الأفراد، بل من قطر إلى قطر، ومن ثم يقود الإنسان مباشرة إلى الانتحار الذي يمكن أن يحدد في طريقين مختلفين: فإما أن يطلق عليه في ذاته على أنه مرض مستقل وصورة جزئية من الانحراف، وهذا الرأي يرجع إلى (بوردين) Bourdin. أو يطلق عليه أنه ليس له أنواع مميزة ولكنه يكون في بساطة نتيجة متضمنة في واحد أو أكثر من الانحرافات العديدة، ولا يكون لدى الأصحاء في عقولهم، وهذا هو رأي (إسكورال) Esqurial «الذي قدم الانتحار على أننا نراه فقط كظاهرة ناتجة من أسباب عديدة مختلفة والتي تظهر تحت أشكال مختلفة عديدة»[1].

ويرى أن المتخصصين قد تركوا تصنيفات معينة لأنواع إنتحار الجنون، وربما تشتمل الأنماط الأربعة التالية على أغلب الاختلافات الهامة والعناصر الرئيسية لتصنيفاته وهي[2]:

إنتحار الهوس أو الجنون: Maniacal suicide

وهذا النوع من الانتحار يرجع إلى الهوس أو الجنون أو الخلط في الكلام

---

(1) Durkheim, Emile., Suicide; «Ssuicide and psychopathic stats» (Trans by) John N. Spoulding & George, Simpson; The Free Press, New York, 1951, p. 58.
(2) Ibid., pp. 63 - 67.

والتصورات الهازية.. بمعنى أن المريض أو العليل يقتل نفسه ليهرب من الخطر الوهمي أو الشين أو الفضيحة Imaginary danger ، وهو في ذلك يطيع الهاتف الغامض الهابط عليه من أعلى. ويرى (دوركيم) أن الدافع لهذا النوع من الانتحار يعكس الطبائع العامة للمرض والتي يدفع إليه ويسمى بالهوس أو الجنون Mania.

الانتحار الأسود - Melancholy suicide

وهو ذلك النوع من الانتحار الذي يرتبط «بالخضوع التام» Extreme depression ، و «الحزن البالغ» Exaggerated sadness والذي يتسبب لدى المريض عدم الرغبة في أن تكون لديه روابط صحيحة تربطه بالناس والأشياء التي بداخله، كما أن السعادة لا يرغب فيها بل يرى كل شيء على أنه «سحابة مظلمة» A dark cloud ، وبالتالي تبدو الحياة إليه على أنها مؤلمة. وعلى اعتبار أن هذه الأفكار والاحساسات تكون متأصلة ومزمنة لدى المريض، فإن الأفكار المتعلقة بالانتحار تكون أيضاً على نفس المستوى.

إنتحار الذهول - Obsessive suicide

وهو ذلك النوع الذي لا يسببه أي «دافع حقيقي» أو «وهم»، بل شيئاً فشيئاً ومن خلال الأفكار المختلطة والمتعلقة بالموت، وبدون أي سبب واضح، نجد أن تلك الأفكار تأخذ تملك كامل على عقل المريض، حيث يكون المريض في هذا النوع من الانتحار «مذهول» obessed بالرغبة في قتل نفسه رغم إدراكه التام بأنه لا يملك أي دافع حقيقي يكون سبباً لفعله هذا وتلك الرغبة في الذهول تشكل حاجة غريزية تكمن خلف رد الفعل كما هو في الحاجة إلى «السرقة»، «والقتل» «والإيذاء» Commit.

الانتحار الأتوتوماتيكي - Impulsive suicide

لا يكون أيضاً مدفوع مثل انتحار الذهول، ولا يكون له سبباً سواء في الواقع أو في وهم المريض Patient's imagination وبدلاً من أن يكون ناتج من أفكار الذهول المختلطة، فإن العقل خلال فترة طيلت أو قصرت يؤثر في «الإرادة» will ، ومن ثم

ينتج من باعث فجائي ومباشر لايقاوم. ويرى «دوركيم» أن هذا الاتجاه نحو الانتحار يبدو في تقليد أوتوماتيكي وليس مقدم من خلال أي سوابق عقلية بل من خلال تصورات هازية فجائية، فقد يكون الفرد في حالة مشي مع أصدقاؤه بجانب «الهوه» وفجأة «يقفز» ويسقط في الماء، ثم ينقذ في الحال ويسأل عن دافع هذا السلوك الخاص به، ولايعرف شيئاً عنها، حيث يكون في هذا التصرف مرتبط بقوة لاتقاوم Irresistable force.

وفي هذا الصدد يرى (دوركيم) من تلك التصنيفات الأربعة السابقة لانتحار الأشخاص المجانين لاتمثل كل أنواع الكامل للانتحار، ولكنها تشكل فقط نوعاً منه. بمعنى أن الحالات السيكوباتية (النفسية العاطفية) psychopatic states التي تشكل خللاً عقليًا لدى المرضى المنتحرين لاتعطينا كتلة الاتجاه الكلي للانتحار في عمومية. حيث يوجد نوع آخر من الانتحار الشاذ يتحد تحت اسم «النورستانيا» Neurasthenia ، ولقد أراد (دوركيم) أن يختبر مدى دورها في تحديد أسباب الانتحار في الحالات البعيدة عن «انتحار الجنون أو الخلل العقلي» – السيكوباتية –؟ ... ويجيب على ذلك بأن «النورستانيا» هي نوع من الجنون الأولى، ويكون لها نفس المستوى من التأثير السابق في إحداث الانتحار، بل تكون حالاتها أكثر إنتشاراً من حالات الجنون وتتزايد بصورة عامة نظراً لأن طبيعتها تقوم على المعاناة[1]. كما يضيف (دوركيم) أنه بجانب «النورستانيا» يوجد نوع آخر من «الانتحار الشاذ» ويعتمد في طبيعته على درجة التأثر وعلى الأخص لدى الناس الذين يبدون في تأثرهم مقاومة أقل، وما يصاحب ذلك من شدة الألم الناتج من الصدمة العنيفة جداً على النسق العصبي. ومن ثم فإن الحياة بهذا تكون عرضة لأن تفقد في طبيعتها أهميتها ومغزاها بالنسبة لتلك المعاناة. وبالتالي أيضًا يكون مجال مفضل لفكره الانتحار. ويرى (دوركيم) «أن هذا النموذج السيكولوجي من الانتحار psychological type، وللأسباب السابقة من المحتمل جداً أن يكون هو الأكثر عمومية من بين أنواع الانتحار»[2].

---

(1) Durkheim, Emile.; sucid: op.cit., pp. 67 - 68.
(2) Ibid., pp. 68 - 69.

ويضيف (دوركيم) في معالجته لظاهرة الانتحار أن هناك من العلماء من يرى أنه يمكن أن يكون ناتجًا من تركيب الفرد، بمعنى أنه يتكون من ظاهرة سيكولوجية خالصة وبدون أي ضرورة لمشاركة تلك الضلالات الخاصة بالجهاز العصبي - والتي يطلق عليها بحالات الانتحار النفسية السيكوباتية الشاذة - وقد بنى هؤلاء الكتاب رأيهم هذا على اعتبار أن كل سلالة تكون محددة ومختلفة عن غيرها من السلالات من خلال «شخصيتها» النفسية العضوية organic psychic characteristics حيث يترتب على أنه إذا كان معدل الانتحار بالفعل يختلف باختلاف السلالات، فإن هذا سوف يكون أساسًا لارتباطه الكبير مع بعض من الميول الفطرية العضوية[1].

ولما كان (دوركيم) يرى أن السؤال الخاص بالعلاقة بين السلالة والانتحار لايزال غير ثابت، فنجده - بصدد مناقشته لرأى تلك المجموعة من الكتاب الذين يرجعوا الانتحار إلى أسباب سيكولوجية خالصة - يبدأ بتعريف السلالة «على أنها أصبحت تفهم في الوقت الحاضر على أنها نفس مجموع الأفراد المشتركين في السمات العامة»[2] بمعنى أنه يمكن أن تقدم من خلال السلالة

«فكرة رابطة الدم idea of filiation or hinship حيث يكون واضح جدًا من خلال الصفات المباشرة للملاحظة، أن أفراد الجماعة يميل ويشابه كل منهم الآخر، بل ويدين أو يعتقد بنفس الاعتقاد، وبالتالي فإن الشخصية المميزة تكون ماثلة في ذلك التشابه الوراثي»[3].

ثم ناقش (دوركيم) بعد ذلك الأنماط السلالية الأربعة الأوروبية الكبرى التي قدمها (مورسيللي) Morselli ومن خلالها يكون الأفراد مقسمين ومتفقين على أن يحملوا اسم السلالات:

النمط الألماني: بأنواعه ويشتمل على الاسكندنافيان، والانجلوساكسون Anglo-saxon ، والفليمش The Flemish :

---

(1) Durkheim, Emile.; «sucide» op.cit., pp. 82 - 83.
(2) Ibid., p. 83.
(3) Ibid., p. 85.

نمط السليف: أى نمط العبيد The slave type . ثم اليودال ألتيك: - Ural Altice type . وأخيراً نمط السيلتو الروماني: Celto - Roman type، ويشتمل على البلقاني، والفرنسي، والايطالي، والأسباني. ويرى وفى هذا الصدد أن هذا التصنيف وتلك الفروض السابقة تكون مقبولة ظاهرياً، إذا كانت كل جماعة من الناس والتى تندرج تحت سن واحد تملك إتجاهاً متساوياً وقوياً نحو الانتحار. ولكننا نرى مثلاً أن «نمط اليورال ألتيك» لاتوجد لديه إلا القليل من إمكانية تمثيله لتلك العلاقة بين سلالته والانتحار، على عكس «سلالة الهنجاريان» Hungarians فى بعض من المقاطعات الروسية والتى تلتقى فى تناسبها مع معدلات الانتحار. وفى حين أيضاً نجد أن الثلاث سلالات الأخرى تتابع فى نظام تناقضى فى درجة توافقها مع الانتحار على الوجه التالى: بينما نجد بصورة عامة أن «نمط السليف» لديه ميل قليل نحو تحطيم الذات self-destruction نجد أن سلالتى – البوهيميا، والمورافيا – تكونا مستثنتيان من هذا النمط حيث يوجد لدى «البوهيميا» عدد ١٥٦ منتحر فى المليون، كما يوجد لدى «المورافيا» عدد ١٣٦ منتحر فى المليون، فى حين نجد أن – الكارنيلا يوجد فيها عدد ٤٦ ، والكروتيا يوجد فيها عدد ٣٠، والدالمتيا يوجد فيها عدد ١٤ ، وذلك بالرغم من أن تلك السلالات تندرج نفس النمط. وبالمثل نجد بين أفراد نمط السلتو الرومانية» الشعب الفرنسي توجد لديه ١٥٠ حالة انتحار فى كل مليون، بينما فى ايطاليا والتى تندرج تحت نفس هذا النمط يوجد ثلاثين حالة انتحار فقط. ومن ثم لم يتفق (دوركيم) مع (مورسيللى) على أن تقسيم الناس فى أنماط سلالية يمكن أن يعطينا معدلات مضبوطة للميل نحو الانتحار[1] .

ويضيف (دوركيم) أن تلك النظرية السابقة التي ترى أن السلالة هى العامل الهام فى الميل نحو الانتحار، تتضمن أيضاً أن السلالة تكون وراثية Cthic characteristic . ومن ثم يتساءل هل ثبتت وراثة الانتحار بالتالى؟ ... وهل الملاحظة تظهر لنا وجود تلك الوراثة؟ .... ويرى أنه إذا ثبت بالفعل أن الاتجاه نحو

(1) Durkheim, Emile.; «sucide», Ibid., pp. 85 - 86.

الانتحار يكون منقول بالتناسل، فسوف يترتب على هذا أنه يعتمد بدقة على حالة عضوية organic state ، بمعنى أنه عندما يكون الانتحار وراثة «فهذا يعني بالتأكيد أن الأطفال المنتحرين بوراثة استعداد آبائهم الفطرى يكونوا مائلين للتشابه فى الأمور الشخصية وأن يتصرفوا مثلهم، وبالتالى لايكون الانتحار وراثياً وما يكون منقول هنا هو الطبع أو المزاج العام فى التركيب الفردى Individual Constitution والذى غالباً ما يظهر تحت اسم «النورستانيا» على تباين أشكالها، تلك التى لاتقدم سبباً للتباينات الظاهرة فى معدل الانتحار. حيث يرى (دوركيم) فى هذا الصدد أن السيكولوجيين قد تحدثوا كثيراً عن الوراثة بإحساس مختلف جداً، بمعنى أنها تتمثل فى الاتجاه نحو فناء الذات الذى يمر مباشرة من الآباء إلى الأبناء، ويعطينا المصدر الكلى والاتوتوماتيكى للانتحار[1] . «هذا «هو المصدر السيكولوجى أو الميكانيزم السيكولوجى للانتحار والذى يعتمد بالضرورة على أسباب فردية»[2] .

كما يرى أيضاً أن الملاحظة إذا كانت بالفعل تظهر لنا وجود وراثة الانتحار فى نفس العائلة وبإنتظام وشكل مخيف كما هو فى حالة مستر «جى» مالك الأرض Mr. G. A landowner الذى ترك سبعة أطفال وميراث مكون من إثنين مليون، وبقى منهم «ستة» مكثوا فى باريس وأجوارها واستبقوا على ثروة والدهم بل إن بعضهم زاد عليها وكانوا جميعاً مستمتعين بالصحة .. . ومع ذلك فقد انتحر الأخوان السبعة فى خلال الأربعينات من سنهم. إلا أن دوركيم يرى ضرورة ألا ترسم نتائج طائشة بخصوص تلك الأسئلة المتعلقة بوراثة الانتحار، نظراً لأن تكرار نفس المرض فى نفس الأسرة قد لايكون راجع إلى الشخصية الوراثية للسلالية ولكن يكون راجع إلى الطابع العام General Temperament المستقبل له، وأيضاً إلى فرصة إنتشاره وظروف نموه، بمعنى أن ما يكون منقول فى هذا الصدد ليس هو البلوى Affliction فى ذاتها ولكنه فقط ذلك المجال الذى يعتبر مفضل لنموها أو تطورها[3] .

---

(1) Durkheim, Emile.; «sucide», Ibid., pp. 93 - 94.
(2) Ibid., p. 94.
(3) Ibid., p. 94.

ومن ثم يخلص (دوركيم) إلى أن ما سبق يثبت «أن السبب فى تباينات معدلات الانتحار لايرجع إلى الباعث المتجانس - الثابت - ولكنه يرجع إلى الفعل أو السلوك الناجح فى الحياة الاجتماعية وعلى اعتبار أن الانتحار يظهر مبكراً أو متأخراً معتمداً فى ذلك على المرحلة التى يدخل الناس فيها الحياة الاجتماعية»[1].

ويتضح لنا مما سبق أن (دوركيم) فى معالجته لظاهرة الانتحار ومحاولة الوقوف على الأسباب التى تؤدى إليها لاينفى الدور الهام التى تقوم به العوامل النفسية العاطفية (السيكوباتية) والتى تبدو فى شكل السلوك الشاذ، كما أنه لاينفى أيضاً الدور الهام لتلك الجوانب النفسية الخالصة فى شخصية الفرد والتى تشتمل على العوامل السلالية والوراثية. ولكن يمكننا القول فى هذا الصدد أنه قد أعطى الاهتمام الأول «للوسط الاجتماعى» والطابع العام الذى يكون متصلاً بنمو الانتحار وتطوره، وهنا يتضح لنا الفارق بين الاهتمام (الفرويدى) الذى يركز على دراسة الشخصية الإنسانية بمكوناتها الشعورية واللاشعورية، ويمنح «الغرائز» الدور الرئيسى فى فهم الحياة الإنسانية وتغيرها وتطورها بجانب سلوك الفرد بوجه عام، فإذا كنا بصدد دراسة ظاهرة الانتحار هذه بمدلولاتها فسوف يضع (فرويد) الاعتبار الأول لتلك الجوانب النفسية فى شخصية الفرد سواء أكانت فى جانبها السيكوباتى أو النفسى الخالص. ويرى روبرت بوكوك فى هذا الصدد أن هناك ملاحظات مستمرة فى تفكير (فرويد) تتمثل فى اهتماماته المختلفة بما يسمى بفهم العصابيين Understanding of Neurosis وحيث توصل فى هذا الصدد - فرويد - إلى نظرية لاتكون غير متشابهة مع نظرية «دوركيم» ولكنه يركز على تلك الجوانب السيكوباتية ويمنحها الدور الرئيسى فى جعل السلوك الفردى فى حالة سيئة[2].

وللتدليل على ذلك إذا ما انتقلنا إلى أسلوب معالجة كل منهما للسلوك الشاذ والذى قد يأخذ شكل «الجريمة» Crimenology سوف نجد أن (فرويد) فى معالجته لها وإن كان «لايغفل دور الضوابط السيوثقافية على الأفعال العنيفة ضد

(1) Durkheim, Emile.; «sucide»., Ibid.; p. 102.
(2) Bocock, Robert., «Emile Durkheim», op. cit., p. 139.

الآخرين، أو الحيوانات أو الملكيات»[١] . وهو ذلك الدور الذى تنهض به نظم اجتماعية مثل النظم القانونية، والمستشفيات، والتى تلعب دورها فى البعد عن المشاركة والضبط الاجتماعى، ولكن تحليله الجوهرى لهذا السلوك الاجرامى يكون فى إطار علم الاجتماع اللاشعورى وما يحتويه الفرد بداخله من رغبات غريزية فجة[٢] . أما معالجة دوركيم «للجريمة» نجد أنها تكون فى إطار التزامه بتبنى منهج العلوم الوضعية فى دراسة الحياة الاجتماعية والظواهر الاجتماعية على أنها أشياء» توجد فى الواقع الاجتماعى، ومن خلال تصوره عن الضمير الجمعى الذى يمتد ليشتمل على أكثر من مجرد الحياة النفسية للأفراد والتى لاتشكل إلا جزءاً فيه، وقد خلص (روبرت برستيدت) من خلال معالجته لتصورات دوركيم للفعل الاجرامى إلى «أن الفعل يكون إجرامى عندما يسيء بقوة إلى حالات الضمير الجمعى»[٣] بمعنى أننا ندرك أن الجريمة تنتهك وتكون منتشرة، وندرك أيضاً أن كل فعل مذنب يكون «منجور» فى عموميته وأن هذا «الذجر» يرجع إلى تلك الذنوب المتضمنة فيه، ولكن ماذا نعنيه بتلك الذنوب التى يستهجنها المجتمع من خلال أسلوب العقوبة المنظمة، وهنا يأتى «الضمير الجمعى» نتيجة لواحد أو أكثر من الصفات العامة لكل نماذج الجريمة Criminology Types ثم يصف الفعل أو السلوك بأنه إجرامى إذا ما كان هناك تعارض بين هذا النوع من الفعل والعواطف الجمعية الثابتة.

بين «تارد ودوركيم»:

وإذا ما انتقلنا إلى مجال المقارنة بين نظريتى «تارد» و «دوركيم» ووجهات نظر كل منهما فى دراسة الحياة الاجتماعية فى محاولة للوقوف على نقاط الاتفاق والاختلاف بينهما: نجد أن (جابريل تارد) كان أكثر اهتماماً من (دوركيم) بدراسة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات الصغيرة على امتداد المجتمع الكبير، بمعنى أن الحياة التى عاشها تارد كحاكماً وقاضياً ومتعاملاً باستمرار مع جرائم

(1) Bocock, Robert., «Emile Durkheim», op.cit., p. 9.
(2) Bierstedt, Robert., op. cit., p. 65.
(3) Ibid., pp. 55 - 66.

مألوفة ومتكررة قد أثرت على نظريته الاجتماعية فى تفسير الحياة الاجتماعية والتى يلعب فيها «التقليد أو المحاكاة» Imitation دوراً مركزياً ومن هنا كان اهتمامه وتعامله مع الأفراد أكثر من الجماعات أو التنظيمات الكبرى مما وضعه من موقف متعارض مع (دوركيم) من خلال الواجهة السيكولوجية لأعماله[١] . حيث وجد (تارد) أن هناك عمليتين رئيسيتين تحكمان المجالات الاجتماعية وهما المحاكاة والتقليد ثم الاختراع والتجديد – على ما ورد تفصيله سابقاً – كما أعطى للرغبات Desires والعقائد Belifes أهمية كبرى فى نظريته باعتبارها القوى المسيرة للحياة الاجتماعية عن طريق نقلها بالمحاكاة من فرد لآخر ومن فئة اجتماعية إلى أخرى، فإذا كانت «الرغبة» تعبر عن الميل الذاتى للسلوك نحو شئ معين سواء أكان هذا الشئ موضوعياً أو ذاتياً، فإن «العقيدة» تمثل الفكرة المتعلقة بالشئ الذى هو موضوع الرغبة[٢] . ومن ثم يتضح لنا التعارض بين نظريتى (تارد) التى تؤكد على المحاكاة باعتبارها عملية نفسية فريدة، ونظرية (دوركيم) التى تؤكد على أن القهر الاجتماعى هو المظهر الرئيسى للواقع الاجتماعى[٣] .

وإذا كان تارد يرى فى إطار دراسته للجريمة أنها تكون بالضرورة ظاهرة اجتماعية Sociaphenomenon وقابلة للشرح والتفسير Explicable وفقاً للقوانين الاجتماعية العامة، وإذا كان أيضاً لم ينكر الأصل الاجتماعي للجريمة Socialorgin ، إلا أنه نبذ وجهة نظر (دوركيم) التى ترى أن الجريمة ظاهرة طبيعية Normal phenomenon ، وذلك على أساس أن هذه الوجهة من النظر لاتكون مسئولة أخلاقياً، حيث رأى (تارد) فى هذا الصدد أن مسئولية الأفعال الإجرامية يجب أن تبقى مع الشخص القائم بهذه الأفعال الاجرامية[٤] .

ويمكن لنا فى النهاية أن تقول بأن (جابريل تارد) لم يكن متماثلاً من أى من

---

(1) Clark, Tarry., op. cit., p. 510.

(٢) د. أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعى، مرجع سابق، ص ص ٤٦٨ – ٤٧٠ .

(٣) نيقولاتيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ١٥٦ .

(4) op. cit., p. 510.

البناءات الغالبة فى نسق النظريات ولم يلتزم بأى منها على حدة، وكان مستمراً فى بحث الدلالات الامبريقية، والمثالية وذلك بغرض إمكانية اختبار تصميماته المتسعة، حيث يرى (تيرى كلارك) فى هذا الصدد أنه قد اعتمد على المدخل التاريخى للدراسة المقارنة، وأقتنع بالاستحالة الغالبة فى تحقيق الاختبار العلمى فيما يتعلق بالمتغيرات السيكولوجية psychological variables المتضمنة فى عمليات الاختراع، وإن كان قد اعتبر أنه يمكن دراستها فى إطار الوسائل التكنيكية المنطقية مثل: المجتمعات، والفترات التاريخية حيث تقوم فيها تلك الاختراعات المتباينة لأول وهلة. وهذا يعنى أن «التقليد» imitation و «المعارضة» oppposition لدى تارد تكون دراستها جيدة مع مدى تقويمى واسع، وبالتالى قد قاد هذا الاتجاه المنطقى لديه إلى تفضيله التحليلات المتعلقة «بالتتابع الزمنى» على الثبات الفاشل الذى يوجد فى «المجال الجغرافى» و «الجنس» sex و «العمر» age، و «العمل» occupationوبالتالى أيضًا توصل (تارد) إلى أن انتشار الاختراع بدون حدوث «صراع الاختراعات» بواسطة المنافسة لايكون إلا فى مجال «التقدم العلمى» على عكس ما يحدث فى «المنافسة» التى توجد فى نطاق الاختراع وكونه ذاتيا[1] . وقد أدى هذا الاتجاه السلوكى لدى تارد إلى تقريره فى كتابه «قوانين المحاكاة»:

> «لتلك التقويمات السيكولوجية الفريدة ومحدداً بدايتها ونهايتها .... ومسجلاً لبداية ونهاية المعتقدات والرغبات الفردية الخاصة ... فإذا كانت تلك المعتقدات والرغبات الفردية ممكنة الوجود على وجه الخصوص، فهى تعطى المعنى العميق الذى يكمن فى خلفية الأشكال الممنوحة من خلال التقويمات النظامية»[2] .

ومن ثم نخلص مما سبق إلى أن (جابريل تارد) كان أحد الدعائم الرئيسية فى هذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع وكان من أوائل العلماء الذين وضعوا العوامل النفسية أساسًا لفهم علاقات وسلوك الأفراد والحياة بوجه عام. ويرى تيرى

---

(1) Clark, Tarry., op.cit., pp. 510 - 511.
(2) ibid., p. 511.

كلارك في هذا الصدد أنه في الوقت الذى عبر فيه السيكولوجيون عن معارضتهم بوجهة النظر السسيولوجية، والعكس بالعكس، جاءت تكوينات (تارد) في التفاعل الاجتماعي ومدى تأثيره على الأفراد والجماعات والمجتمع ككل مزودة لنا بالأسس الجوهرية لظهور النظم السيكولوجية الاجتماعية[1]. Discipline of social psychological.

وبالتالي وفي إطار أن هذا القصور السابق في دراسة الجريمة لدى «تارد» على أنها يجب أن تفسر في حدود الأطر التقويمية للفرد التي يمنحها على الفعل أو السلوك في ضوء رغباته ومعتقداته، تختلف بالفعل مع تصور (دوركيم) لها الذى ينظر إليها على أنها ظاهرة طبيعية من خلال انتشارها واتساعها وأنه يجب دراستها في الواقع الاجتماعي وليس في حدود المفاهيم التقويمية، ولكن يرى دوركيم في هذا الصدد أن فعل ما يهز أو يصدم الضمير الجمعي الجمعي لأنه يكون إجرامي، بل هو يكون إجرامي لأنه يهز الضمير الجمعي، بمعنى أننا لانستهجن الفعل لأنه يكون فعل إجرامي، ولكنه يكون إجرامي لأنه نستهجنه في إطار المعتقدات والعواطف الجمعية التي يتشكل منها الضمير الجمعي[2]. ويقول في هذا الصدد «أن الميل أو العاطفة أيً كانت بدايتها أو نهايتها فهي توجد في كل الضمائر مع درجة ثابتة من القوة والدقة، وكل فعل ينتهك فهو يكون جريمة»[3].

ولقد أصبح واضحًا أن تطور الاهتمام بالاتجاه السلوكي أو السيكولوجي من قبل العديد من علماء الاجتماع والنفس - ممن ظهروا في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين - قد جاء في إطار إدراكهم التام لحقيقة أن الفرد هو جزء من البناء الاجتماعي الأكبر .. وأيضًا نتيجة تأثرهم بداروين وادراكهم لأهمية الأساس الغريزي للإنسان. وبما يحتويه من دوافع وغرائز ثابتة تؤثر في سلوكه»[4].

---

(1) Klark, Terry.; op.cit., p. 513.
(2) Bierstedt, Robert., op. cit., p. 66.
(3) Ibid., p. 66.
(4) Bocock, R., Frued and Modern Society. London: Tomas Nelson ad sons, 1976, p. 20.

٤- خاتمة الفصل الثاني:

بعد أن عرضنا لدعوى الاتجاه النفسي من خلال الوقوف على حقيقته وجذوره في تاريخ الفكر الاجتماعي لدى الرواد الأوائل. يمكن القول بأن هذا الاتجاه النفسي لم يكن حديث النشأة في علم الاجتماع. بل امتدت بداياته إلى جذور الفكر الفلسفي لدى أفلاطون وأرسطو. ووضح ذلك في إطار اهتمام فلاسفة الإغريق بالفرد أكثر من الدولة.

بل تجدر الإشارة إلى أن كونت وسبنسر لم يتحرروا نهائياً من مبادئ هذا الاتجاه السلوكي في نظريتهما الاجتماعية. فقال كونت «أنه من الواجب ألا نسلم نهائيا بصحة أي قانون يتعلق بالتطور الاجتماعي مهما كانت قيمة الطرى/قة التاريخية التي هدتنا إلى الكشف عنه. إلا إذا أمكن ارجاعه بطريقة عقلية مباشرة أو غير مباشرة إلى النظرية الوضعية الخاصة بالطبيعة الإنسانية»(١) . واتفق معه في ذلك هربرت سبنسر في رؤيته «أن البيئة الكونية والتركيب العضوى النفسي لدى الفرد هما العاملان الأساسيان في وجود الظواهر الاجتماعية»(٢) . كما أن هيئته في مداها تعتمد على شخصية الأفراد المشكلين له. ولايوجد سبيل للوصول رلى نظرية حقيقية إلا من خلال طبيعة تكوين الأفراد وانتهى إلى أن خصائص الأجزاء هي التي تحدد خصائص المجموع»(٣) .

وفي الحقيقة أن بدايات تطور هذا الاتجاه السيكولوجي كاتجاه أساسي في علم الاجتماع قد جاءت على يد علماء الاجتماع ممن ظهروا في بدايات القرن العشرين. وقد جاء ذلك في إطار قناعتهم بأن الدراسة السوسيولوجية العلمية للسلوك الإنساني، يجب أن تكون في إطار التفاعل الاجتماعي. كما يجب أن تأتي دراسة

---

(١) أميل دوركيم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، (ترجمة) محمود قاسم، السيد محمد الحسيني، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤، ص ٢٠٧.

(٢) أميل دوركيم، المرجع السابق، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(3) Coser, L. A., Masters of sociological Thought, New York: Harcourt Brace Jovanovich Inc., 1977, p. 98.

السلوك الإنساني أيضاً في ضوء التصورات النفسية للحياة الاجتماعية، وتأتي القضايا السلوكية التي تدرس السلوك أو الفعل في ضوء أسبابه العقلية والعاطفية، وقد وضح ذلك من خلال الفكر الدوركيمي والفرويدي.

ويمكن القول أيضاً أن عالم الاجتماع الفرنسي جبرائيل تارد، كان أول من دعم مفهوم هذا الاتجاه السيكولوجي على بدايات القرن العشرين. وجاء ذلك في إطار نظريته الاجتماعية، والتي أقام دعائمها على الاختراع والمحاكاة والمعارضة. وهي «عمليات نفسية تمثل النمط المميز للعملية الاجتماعية لدى تارد»[1].

(1) Kark, T. N., op. cit., p. 50.

الفصل الثانى

قضايا السلوكية الاجتماعية فى علم الاجتماع المعاصر

٢- القضايا النظرية للسلوكية الاجتماعية.

أ- المفاهيم التى اعتمد عليها علماء السلوكية الاجتماعية.

ب- القضايا النظرية التى شغلت تيار السلوكية الاجتماعية.

٣- قواعد المنهج فى دراسات السلوكية الاجتماعية.

٤- خاتمة الباب الأول .

الفصل الثانى

قضايا السلوكية الاجتماعية فى علم الاجتماع المعاصر

انتهينا من الفصل السابق بعرض لحقيقة إتجاه السلوكية الاجتماعية، وجذورة فى تاريخ الفكر الاجتماعى. ثم بدأ أيات نموه وتطورة فى علم الاجتماع ونحاول فى هذا الفصل الثانى تحديد قضاياه النظرية والمنهجية ، التى شغلت اهتمام علمائة وذلك من خلال تراث المدرستين الامريكية والالمانية، ومع ذلك سوف يكون عرضنا فى هذا الفصل بصورة عامة لتلك القضايا والمناهج، فى محاولة لتحديدها وابرازها، وسوف يلى تفصيل تلك القضايا والمناهج لدى كل عالم. وبيان مدى ما اضافته الى موضوع علم الاجتماع ومنهجه ونظريته من خلال الفصول التالية.

وعليه نتناول في البداية قضايا السلوكية الاجتماعية النظرية على الوجه التالى: أولا- من خلال أطار المفهومات مثل: الشعور الاجتماعى، والفهم التفسيرى للفعل والتفاعل على المستوى الذاتي ، والتفاعل الرمزى، وأخيرا بناء الشخصية أو ذات الانسانية.. مع ايضاح المقصود بتلك المفاهيم واستخداماتها بين أكثر من عالم وتطورها فى الدراسات المعاصرة. ثم تناول القضايا النظرية التى انشغلت بدراستها الاتجاهات النظرية للنزعة السلوكية في علم الاجتماع. وفى الجزء الثانى- نعرض لقواعد المنهج لدى علماء المدرستين الأمريكية والألمانية. وامكانية تقسيمهم فى اعتمادهم على الأساليب المنهجية وفقا لاتجاهاتهم النظرية . وذلك فى محاولة لحصر تلك الاساليب المنهجية والوقوف على مدى اسهامها فى مجال مناهج البحث في علم الاجتماع بوجه عام على النحو التالى :

- القضايا النظرية للسلوكية الاجتماعية.

أ- المفاهيم التى أعتمد عليها علماء السلوكية الاجتماعية.

ب- القضايا النظرية التي شغلت تيار السلوكية الاجتماعية.

- قواعد المنهج في دراسات السلوكية الاجتماعية.

٢- القضايا النظرية للسلوكية الاجتماعية .

أ- المفاهيم التي اعتمد عليها علماء السلوكية الاجتماعية

Concepts of social Behaviourism

وفي مجال الأسس السيكولوجية للحياة الاجتماعية يرى كل من كمبل يونج) Kimbiley Young، (ريموند ماك) أنه إذا كان في امكاننا أن نقول بأن التفاعل الاجتماعي Social Intenaction بإعتباره أساساً للعمليات الاجتماعية Social Processes هو الاصطلاح المتسع لوصف العلاقات الاجتماعية الديناميكية، وإذا كان أيضا أساسياً بالنسبة لبقاء الانسان نضاله من أجل الحصول على جاحاته المادية، فإن هناك أيضا «إثابات ثقافية » أخرى تحدد على أنها «رغبات» في اطار هذا النضال. والأشكال الرئيسية لهذا النضال تتمثل في المعارضة Opposition التي تحتوى على كلٌ من - المنافسة Compitition، والصراع Conflict - ثم التعاون Coperation فإذا نظرنا إلى المعارضة والتعاون نجد أنهما يحدثان في أى مجتمع بالرغم من أن شكلها وإتجاهما يكونان متشكلان من خلال زمن الثقافة والمكان. (١)

إلا أن المعارضة يمكن أن توصف على أنها «نضال ضد الآخر أو الآخرين من أجل حاجة مادية أو هدف أو قيمه» (٢) والتعاون بإعتباره «نضال مع الآخر أو الآخرين من أجل حاجة مادية أو هدف أو قيمة» (٣)

ويضيف (كمبل يونج)، (ريموند ماك) في هذا الصدد أن مصدر كل من

---

(1) Kimble, Young & Raymond W. Mack; Systimatic Sociology; "Universial Social Process", Afflated East-West Put-Ltd., New Delhi, 1920, p. 103.

(2) Ibid. P. 103.

(3) Ibid. P. 103.

«المنافسة» والمعارضة» يبدو فى كونه إحباط Frustration أو اصطدام يأتى من خلال العمل بين الدافع والانجاز السريع للهدف أو الاثابة، ولا يرجع مصدرهما فقط إلى الدوافع الملازمة للعواطف Emotions [١].

وقد كان هذا الاتجاه قديم جداً، نجد آثاره فى تفكير أرسطو حين يحاول تفسير وتبرير التفاوت بين الأجناس على أساس التكوين الفطرى والانتقال الوراثى لصفات المادة الحيوية من الأصول إلى الفروع، فهو يرى أن الطبيعة قد أعدت كل جنس اعداداً خاصاً وشكلته على نحو معين وأمدته بعناصره الأصلية متمثلة فى غرائزه الكامنة واستعداداته الفطرية التى تنتقل بالوراثة من جيل إلى جيل فى الموروث السيكولوجى الذى يحفظ بخصائصه المميزة بصفة مستمرة، ومن هنا كان التفاوت أمراً محتوما ودائماً ولا سبيل إلى التخلص منه، وكان هذا التفاوت بين الأجناس أساس تفس للتفرقة العنصرية. وكثيراً ما كان يلجأ بن خلدون إلى الاعتبارات النفسية فى بحوثه، ويعقد فصلا فى أن المغلوب يكون دائما مولع بالاقتداء بالغالب فى شعاره وسائر أحواله وعوائده، ويعلل ذلك أن النفس أبداً تعتقد الكمال فيمن غلبها وأنقادت إليه، وإما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه، ومن ثم فهى تتصل به وتنتحل جميع مذاهبه وتتشبه بها وهذا هو الاقتداء أو لما تراه والله أعلم، ولذلك نرى المغلوب يتشبه أبداً بالغالب فى ملبسه ومركبه وسلاحه وسائر أحواله، ومثلما نجد الأبناء متشبهين دائماً بآبائهم وما ذلك الا لاعتقاد الكمال فيهم.

كما تمثل هذه المدرسة السلوكية فى علم الاجتماع (جبريل تار) Gabril Tard الذى يعلن «تفوق الدراسة السيكولوجية على الدراسة البيولوجية» [٢] ويرى أن المحاكاة هى الظاهرة الاجتماعية الأصلية ويفسرها بطريقة سيكولوجية واضحة، حيث شعر بأن الشخصيات الإنسانية تحتوى فى تفاعلها على مادتين خام هما :

(١) د. أحمد الخشاب . التفكير الاجتماعى، مرجع سابق ، ص ٤٦٨، ٤٦٩ .
(٢) جاستون بوتول. تاريخ علم الاجتماع (ترجمة) غنيم عبدون (ومراجعة) جلال حسن صادق - مجموعة الشرق والغرب، الدار القومية للطباعة والنشر، ص ٩٨.

«المعتقدات والرغبات "beriefs and Dsires" وفى اطار نظريته فى تفسير الحياة الاجتماعية هذه يورد ثلاثة عمليات رئيسية : «الاختراع» Inovention، «التقليد» Imitation ، و «المقاومة». Opposition [1]

ويقول (جيرالدفيليبس)Gerald Phillips، (يوجينى أريكسون) Eugene C. Eqickson بصدد العمليات الداخلية للشخصية الانسانية:

«أننا يجب أن نقرر فى هذا الصدد أنه من المستحيل أن نستجيب إلى مادة الواقع بنوع خاص لأن ما يوجد فى رؤوسنا ليس هو الواقع الخارجى، ولكن الواقع يكون مشكل مسبقا بواسطة إحساسنا وأيضا العمليات الاستناجية لدينا. فما نستطيع أن نكون قادرين على الشعور به، بجانب بعد الاختيار المتوافق لدينا سوف يشكل التصور «بالنسبة لما نستجيب ويزودنا بالمتغيرات التى يمكن أن نختار منها إستجاباتنا». [2]

بمعنى أن البناءات الفينومينولوجية Phinomenological Gonstracts تجعل من الممكن فحص التصورات الداخلية بالنسبة لما نستجيبه، وهذا يتأتى من الاعتقاد الرئيسي المتمثل فى أننا نستجيب إلى الانسانيات الأخرى على اعتبار أننا قادرين على الفعل– وليس بإحساس الشكل المثالى للاستجابة – وذلك من خلال الادراكات التى أستقرت فى الذاكرة مثل «الرموز» المتمثلة فى الكلمات ، و«التعميمات» "Evaluations" التى نملكها فى عقولنا. فكل منا لديه مجموعة متفردة من الخبرات التى تتصل فى بعض منها بالمعنى العام الذى نشارك فيه جميعا، ومن ثم من منطلق تلك المشاركة العامة فى المعانى تبدو خبراتنا فى كونها كافية مثل تلك التى توجد لدى الآخرين. [3]

---

(1)Tery, Clarkn;"Gabrile Tarnd " En Encyclopidia of Social S-cience, (ed) David L-Sills; Volume 15, The Macmillan Company & The Freepress.; New York: 1968, P. 510.

(2) Gerald M. Phillips, & Euge C-Erickson; Interpersonal Doynamics in the Imnal groups; Ranclom House , New York , 19-70, P. 133.

(3) Ibid.; PP. 133-134.

ويحدد (ديفيد كنجزلى) Daviskingsley معالم هذا الاتجاه السلوكى فى حديثه عن المجتمع الانسانى بأننا « لا نملك فى عقولنا مجرد المجموعة الموضوعية من العلاقات الاجتماعية بين الاعضاء ، ولكن أيضا نملك المجموعة الذاتية. من الأنماط الاجتماعية أيضا، فإذا لم نعرف بكلا الاثنين فنحن الانستطيع أن نفهم المجتمع، ومن أجل هذا فهما لا يكونان متشابهان. فالنظام المعيارى لا يمكن أن يكون مستنتج تماما من المعرفة الخاصة بالنظام الواقعى، والعكس بالعكس»[١].

كما أن هناك سمة فريدة فى المجتمع الانساني تلك التى تجعل من واقع التجمع الأولي حقيقة واضحة، تلك السمة التى تتمثل فى نسق «الاتصال الرمزى Symbolic Communicatin» وتلك المواقف النظامية الخاصة بالنسق، لدرجة أنه يوجد دائما فى المجتمع الانسانى ما يطلق عليه بواقعين إثنين: أحدهما يطلق عليه «النسق المعيارى» Normative system ويعتمد على ما ينبغى أن يكون ..... What out to be والآخر هو «النظام الواقعى Factual order » ويقوم على ما هو كائن بالفعل، وطبيعة تلك النظامين لا يمكن أن تقوم على التشابه التام، كما أنها لا يمكن أن تقوم على الانفصال التام.[٢]

وأن كان علم الاجتماع يرى أن (فرويد) قد أعطى اهتماماً أقل للاسباب الاجتماعية للسلوك، وأن الصفات اللاعقلية للسلوك وحدها هى التى أحتلت مكانة مميزة فى نظريته، أما الأسباب العقلية والشعورية للسلوك والتى قد توجه الانسان لتحقيق غرض معين، قد أحتلت مكانة ثانوية عنده، حيث أهتم بإستقصاء الدوافع الأساسية الفطرية واللاشعورية لهذا السلوك الشخصى، والتى تكمن وراء الأغراض فى الموقف. إلا أن (فرويد) قد أحتل مكانة بارزة فى تاريخ التفكير الانسانى منذ الجدل القديم بينه وبين (دوركيم) حيث يرى (دوركيم) وأتباعه أن فرويد وأنصاره يقدمون مجموعة من الأفكار تؤكد إرجاع النظم الانسانية إلى عوامل نفسيه[٣].

---

(1) Kingsly, Davis; Human Society; "Social Norms" The Macmilan Company, New York, 1948-1949, p. 53.

(2) Ibid . p. 52.

(3) Inkles , Alex., Sociological Theoty in Relation To Psychology" In Dohn Mchinney and Edward Tiryakian (ed) Presppective and development- Grafits, p. 410.

ويرى (دوركيم) أن نفس التعابير السابقة هي نفس التعابير التي أستخدمها (أوجست كونت) «في دروسه الوضعية» حيث كان يعتقد في أن الظاهرة التي تسيطر على الحياة الاجتماعية بأسرها ليست شيئا آخر سوى ظاهرة التقدم، كما كان يعتقد من جهة أخرى بأن هذا التقدم يترتب على عامل نفس محض، ويعني بالميل الذي يدفع الانسان إلى تنمية قواه الطبيعية إلى أكبر حد ممكن. وبناء على هذا الرأي تنجم الظواهر الاجتماعية بطريقة مباشرة جداً عن الطبيعة الانسانية، إلى درجة أنه يمكن إستنباط الظواهر الاجتماعية الخاصة بالعصور التاريخية الأولى من خصائص هذه الطبيعة المباشرة، ودون حاجة إلى الاستعانة على ذلك بالملاحظة. واذا كان (كونت) يرى أن هناك استحالة في تطبيق تلك الطريقة القياسية، إلا أنه رأى أن تلك الاستحالة كانت قياسية وليست عقلية، بمعنى أنها لم تحجب الحقيقة المتمثلة في امكان الاعتماد على التحليل لمعرفة العلاقة التي تربط بين القوانين الأساسية التي تخضع لها الطبيعة الانسانية وبين آخر النتائج التي وصل إليها التقدم، فليست أحد صور الحضارة تعقيداً إلا بعض المعاني النفسية التي خرجت إلى حيز الوجود [1].

أما (هربرت سبنسر Herfert Spencer) في تعريفه هذا لإتجاه السلوكية الاجتماعية «يرى أن النقطة التي يبدأ منها علم الاجتماع هي تلك الوحدات الاجتماعية التي تخضع للشروط التي تتركب تركيبا عضوياً وإنفعالياً وعقلياً، وتحتوي إلى جانب ذلك على بعض المعاني» [2].

وأخيراً يمكن لنا القول مع (آرنولد جرين Aronld Gren) بأن «المعني هو الماده الرئيسية للانسان في المجتمع» [3].

---

(١) أميل دوركيم «قواعد المنهج في علم الاجتماع»، ترجمة محمد قاسم (مراجعة). د. السيد محمد بدوي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤، ص ص ٢٠٥ - ٢٠٦.
(2) Spencer, Herbert; Principles le Sociology , p. 553.
(3) Arnoldw W. Gren.; Sociology "An Analysis of Life in Modern Society" Mc Graw-Hill Book Company, Inc., New York, Toranto, London, 1960, P. 1.

وأن كنت قد تناولت العديد من التعريفات والمفهومات التصوريه لهذا الاتجاه بصورة عامة فى هذا الصدد لدى الرواد الأوائل ذلك بغرض استجلاء البعد التاريخى لهذا الاتجاه السلوكى فى دراسة المجتمع منذ القدم، إلا أن حدث التطور الأساسى خلال بدايات القرن العشرين وظهور هذا الاتجاه بشكل رئيسى فى علم الاجتماع، بما يمكن أن نطلق عليه «علم الاجتماع النفسى»[١] ويتمثل فى اتفاق أغلب علماء الاجتماع على أن النظرية السيسولوجية يجب أن ترتكز بالضرورة على دراسة مشاركة الفرد فى الحياة الاجتماعية. وقد أدى هذا الاتفاق بهم إلى «قبول علم النفس كدعامة من دعائم علم الاجتماع» [٢].

وسوف يعرض فيما يلى لمفاهيم السلوكية الأجتماعية التى شكلت فكر علمائها واعتمدوا عليها فى تناول ودراسة الموضوعات والقضايا النظرية التى انشغلوا بها سواء لدى الرواد الاوائل أو فى تراث المدرستين الامريكيه والالمانية على النحو التالى، ثم يلى ذلك عرض للقضايا النظرية :

(أ) المفاهيم التى اعتمد عليها علماء السلوكية الاجتماعية :

(١) «الشعور الاجتماعى» [٣]. Social Consciousnes

استخدم مفهوم الضمير أو الشعور الاجتماعى لدى دوركايم وهو بصدد تعريفه للظواهر الاجتماعية وتحديد خواصها والقواعد الخاصة بتفسيرها. ويقصد به فى البداية «المجموع الكلى للمعتقدات والعواطف العامة بين أفراد مجتمع معين. والتى تشكل نسقا محددا خاص بحياته يطلق عليه الضمير الجمعى» [٤].

---

(١) نيقولا تيماشيف . نظرية علم الاجتماع «طبيعتها وتطورها» (ترجمة) د. محمد حمودع، د. محمد الجوهرى د. محمد على محمد ، د. السيد محمد الحسينى (مراجعة) د. محمد عاطف غيث ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ ، ص ٢٠٧.

(٢) نفس المرجع ص ص ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٣) يلاحظ أن الترجمة قد تعنى الضمير الجمعى أو الشعور الاجتماعى، أوا لارادة العامة.

(4) Bierstedt, R. , Emile Durkheim New York : Oellpublishing , 1966. p. 40.

ثم اتخذ دوركايم لمفهوم الضمير الجمعي بعدا جديدا في كتابه قواعد المنهج في علم الاجتماع وهو بصدد ايضاحه عن أن المجتمع ليس مجرد مجموعة من الأفراد، بل يتشكل من تركيب الضمائر الفردية فيما بينها على نحو خاص. وكذلك من اندماج نفوس الأفراد فيما بينها وتجاذبها والذى يكون مدعاة للتأثير في بعضها البعض بحيث ينتج كائن جديد له شخصية نفسية جديدة أطلق عليه بالشعور الجمعي. وفي نفس الوقت يملك هذا الشعور الجمعي خاصية الجبر والالزام على تلك الضمائر الفردية ويختلف نوعيا في تركيب الحالات المكونة له عن الشعور الفردى. والذى ينجم عن الحالات النفسية الفردية المركبة عضويا ونفسيا لدى الفرد[1].

ويتضح من التعريف السابق أن دوركيم قد انتقل بالخصائص النفسية التى تشكل الضمائر الفردية إلى مستوى اجتماعي أكبر. وذلك في حالة اتحادها وتجاذبها مما ينتج عنه خصائص نفسيه جديدة من نوع آخر. وتتمثل تلك الخصائص في واجهة كلية أطلق عليه دوركيم بالضمير أو الشعور الاجتماعي، يملك خاصية القهر على كل أفراد المجتمع. وقد أتخذ هذا المفهوم لديه دورا هاما في تفسير الظواهر الاجتماعية وتحديد سلوك الأفراد، ويرى جراهام كينلوشن في هذا الصدد «أن هذا المفهوم لدى دوركيم قد لعب أهمية كبرى في البدايات الأولى لهذا الاتجاه السلوكي، في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين. وأن كان اهتمامه جاء في اطار علم النفس الاجتماعي، وفي شكل الارادة الجمعية التى تملك وجودا مستقلا. كما يشار إلى تلك الارادة في اطار الحاجات المجتمعية، كما تحدد سلوك الأفراد في اطارها من خلال التأثير الجبرى لأبنيته النمطية الواقعية العامة في المجتمع»[2].

---

(1) Durkheim, Emile, Op. Cit., pp. 213-214.
(2) Kinloch, G.G., Sociological theory. New York : M.C. Grow-Hill, Inc., 1977. P. 86.

وقد تابع علماء الاجتماع استخدام دوركيم بهذا المفهوم فى الدراسات المعاصرة فيما بعد مؤكدين على أهمية الدور الذى لعبه فى البدايات الأولى لهذا الاتجاه النفسى فى علم الاجتماع من خلال علم النفس الاجتماعى. وقد أوضحت اليزابيث ويلكنز فى كتابها مقدمة فى علم الاجتماع «طبيعة مفهوم الشعور الاجتماعى»، باعتباره العنصر الرئيسى فى حياة المجتمع. وارتباطه بالاستجابات العاطفية لدى اعضائه، والتى تؤدى إلى التضحية بانتماءاتهم الذاتية من أجل الصالح العام. وتحدث تلك التضحية حتى فى الحالات التى لم يتوافر فيها عنصر الالزام من قبل شخص آخر. وأن هذه الوحدة العاطفية يشار إليها بروح الجماعة وتتجلى طبيعتها فى حين تتخذ استجابة الحشد العاطفية صورة عنيفة تلقائية. ويبدو ذلك فى انقلاب المتظاهرين على البوليس إذا قبض على فرد منهم بطريقة عنيفة. ويمثل هذا الموقف استجابة فجائية فى اطار الوحدة العاطفية لدى أفراد المجتمع ، والتى تنمى لديهم استجابات عاطفية عامة [(١)].

وفى ضوء ما انتهى اليه دوركيم من تحديده لخصائص ومكونات مفهوم الشعور الاجتماعى لديه والتى حددها «بالعقائد والميول والعادات الجمعية العامة»، ويكون تشكيلها من خلال الظروف الاجتماعية. وتجد انعكاساتها فى ضمائر الأفراد ولكنها تكون منفصلة فى نفس الوقت عن تجسداتها الفردية [(٢)]. يمكننا القول أن محتوى مفهوم هذا الشعور الاجتماعى لدى دوركيم، قد تدعم وتطور فيما بعد من خلال الاتجاه السلوكى فى دراسات ماكس فيبر الاجتماعية. والذى تمثل فى اهتمامه بدراسة القيم والقواعد الاخلاقية التى توجه السلوك وتشكل محتوى لهذا الشعور الاجتماعى. وقد أورد نيقولاتيماشيف ما ذهب إليه فيبر فى هذا الصدد» من أنه يتعين على العلوم الاجتماعية أن تدرس القيم بشرط ألا

---

(1) Wilkins, Elizabth, J., An Introduction to Sociology. London : Macdonald & Evans, Ltd., 1970. P. 40.
(2) Durkime, Emile, Op. Cit. PP. 58 - 59.

تفصل عنها المعايير والمثاليات التى تشتق منها الموجهات التى تضبط السلوك الواقعى»[1].

(٢) الفهم التفسيرى للفعل والتفاعل على المستوى الذاتى :

Subjective Interpreretation of Action or Interaction

ويعتبر الفهم التفسيرى من المفاهيم الهامة التى ارتبطت باهتمامات بأتجاه السلوكية الاجتماعية فى علم الاجتماع. وبدراسات عالم الاجتماع الألمانى ماكس فيبر على وجه الخصوص. والذى عرف علم الاجتماع «بأنه العلم الذى يحاول أن يقدم الفهم التفسيرى للفعل الاجتماعى، من أجل الوصول إلى أسبابه ونتائجه» [2].

ويتضح لنا من التعريف السابق مدى ارتباط مفهوم الفهم التفسيرى للفعل بالاتجاه السيكولوجى فى علم الاجتماع - والذى ينهض بمهمة تفسير الظواهر والسلوك الانسانى فى ضوء التصورات والمفاهيم السيكولوجية - وذلك إذا ما عرفنا أن فيبر قد ربط محاولة فهمه التفسيرى للفعل من أجل الوصول إلى أسبابه ونتائجه، «بالحقيقة التى ترى أن المعانى الذاتية ترتبط بالفعل من خلال سلوك الأفراد. تلك المعانى التى تأخذ أهمية فى سلوك الأفراد الآخرين، وبالتالى تكون الأفعال الاجتماعية موجهة فى طبيعة فهمنا لها»[3].

ويتحدد اهتمام فيبر بتلك المعانى الذاتية المرتبطة بالفعل وتحقق له الفهم التفسيرى، يرى «أن القيم الاجتماعية لا تتعارض مع تحقيق الفهم التفسيرى للفعل على المستوى الذاتى، باعتبارها عناصر أولية موضوعية تساهم فى تحقيق هذا الفهم. وأوضح أن الفهم التفسيرى يختلف فى مستوى عقلانيته : فهناك الفعل التقليدى

(١) نيقولا تيما شيف ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

(2) Weber, Max The Theory of Social and Economic Organi ation (Trans by) Parsons , Talcot., New York : Exford University Press, 1974. P. 290.

(3) Weber. Max, Op. Cit., P. 59.

الموجه فى ضوء التقاليد والفعل الاجتماعى العاطفى الذى يتخذ سلوكا عاطفيا والفعل الاجتماعى الموجه فى ضوء معايير القيمة الواعية. وأخيرا الفعل الاجتماعى الرشيد الذى يحدث عند اختيار الوسائل بطريقة صحيحة للوصول إلى أهداف محددة [1].

وقد تطور مفهوم التفسيرى فى دراسات ماكس فيبره وما ينطوى عليه من أفكار نفسية تتمثل فى المعانى الذاتية التى ترتبط بسلوك الأفراد. ونجده يربطه بمعالجة قضايا هامة فى علم الاجتماع. وقد أشار لويس كوفر فى هذا الصدد فى كتابه «علماء التفكير الاجتماعى» إلى أن معالجة فيبر لقضايا هامة مثل الجماعة والنسق والمشاركات، قد جاءت باعتبارها تشكل اطارات معينة للتفاعل الاجتماعى. وأن الغرض الرئيسى لعلم الاجتماع هو تحقيق الفهم للفعل فى نطاق الأفعال التى تمثل المشاركة بين الأفراد. كما أعتبر أن الفرد وفعله يمثلان الوحدة الرئيسية محل الاهتمام للسلوك ذات المعنى. ومن هنا جاء تركيزه على الاتجاهات المتبادلة بين الفاعلين، وايضا فهم دوافع أفعالهم بهدف تحقيق الفهم الكامل لتلك الأفعال[2] ومن ثم أتخذ فيبر لنفسه اتجاها ذاتيا فى محاولة تحقيق هذا الفهم التفسيرى الذاتى للدوافع التى تكمن خلف الأفعال الفردية. وأنه يجب على عالم الاجتماع تحليل كيفية تصرفه، إذا كان فى نفس الموقف الذى يوجد فيه الفرد» [3].

وهكذا أصبح الفهم التفسيرى للفعل وما يرتبط به من معانى ذاتية تتعلق بسلوك الأفراد، له علاقة وثيقة بدراسة قضايا علم الاجتماع المعاصرة مثل قضايا الجماعة والنسق والمشاركات. وذلك باعتبار أنها تشكل اطارات معينة للتفاعل. ويمكننا فهم الأفعال التى تحدث بداخلها من خلال ارتباطها بالدوافع والمعانى

---

(1) Kinloch, G.C., P[. Cit., PP. 139-140.
(2) Coser, L.A., Op. Cit., P. 218.
(3) Wilknis, E.J., Op. Cit., P. 17.

الذاتية للفاعلين. وقد أوضح د. عاطف غيث فى هذا الصدد «أن الفهم التفسيرى للفعل يعتبر أهم اتجاه تفرع عن السلوكية الاجتماعية، وحلا نظريا للمسائل العامة التى انشغلت بها السلوكية من خلال اهتمامات علمائها أمثال : فيبر، ومانهايم، وروبرت ماكيفر، فلوريان زنانيكى، وتالكوت بارسونز. وتأكيدهم على المعانى الذاتية فى موقف التفاعل، وضرورة دراسة التفاعل فى ضوء القيم الخاصة به وتوقعات الفرد لاستجابات الآخرين .. وقد نظر هؤلاء العلماء إلى الفعل باعتباره الوحدة الرئيسية للبحث. كما يكتسب الفعل صفة الاجتماعية حينما يتوافر القصد فى توجيه سلوك الفاعل أو مجموع الفاعلين ..»[1].

(٣) «التفاعل الرمزى» Symbolic Interaction

أوضح روث والاس، والسون ولف أن مفهوم التفاعل الرمزى قد ارتبط بهربرت بلومر منذ قيامه بكتابه فصل عن علم الاجتماع النفسى فى كتاب «الفرد والمجتمع». إذ اعتبر هذا الكتاب مقدمة هامة لروح ومناهج العلوم الاجتماعية. وقد استخدم هربرت بلومر اصطلاح التفاعل الرمزى لايضاح وجهات نظر علماء الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع فيما يتعلق بالطبيعة الانسانية. كما أوضح أن علم الاجتماع النفسى يهتم بشكل متسع بالتطور الاجتماعى للفرد. ويمثل هذا الاهتمام هدفه الرئيسى نتيجة لمشاركات الفرد فى الجماعة. وانتهى روث والاس، والسون ولف إلى أن مفهوم التفاعل الرمزى لدى بلومر قد اتخذ واجهة نفسية. وتتضح تلك الواجهة النفسية فى اهتمامه بدراسة الذات الفردية والتفاعل بين أفكار الداخلية للفرد وعواطفه وسلوكه الاجتماعى. كما تبدو تلك الواجهة النفسية كذلك للتفعل الرمزى فى اطار العمليات التى من خلال يتخذ القرار وتتشكل الاراء[2].

---

(١) محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ص ١٦ – ١٧.

(2) Wallace, R & Wolf, A., Contemporarary Sociological theory. New York : Prentic- Hall, 1980. PP. 219 - 220.

وكان ممن أسهموا بصورة مباشرة في اثراء مفهوم التفاعل الرمزى فى اطار المدرستين الأمريكية والألمانية كل من : جورج زيمل (١٨٥٨ - ١٩١٨)، ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠)، تشارلز هورتون كولى (١٨٦٤ - ١٩٢٩)، وجورج هربرت ميد (١٨٦٣ - ١٩٣١)، وهارولد جارفينكل. وقد جاءت اسهامات جورج زيمل فى ظهور مفهوم التفاعل الرمزى من خلال اتجاهه النفسى فى علم الاجتماع ودفاعه عن دعائم هذا الاتجاه الرمزى فى مراحله المبكرة وقيامه بالتحليلات الاجتماعية للعديد من العلاقات الانسانية فى نطاق التفاعلات الاجتماعية ورؤيته أن اهتمامات الناس تجاه بعضهم البعض أما تتجه نحو السعادة أو التعاسة، العمق أو السطحية، أو الطابع الشعورى أم اللاشعورى. وتأتى تلك المستويات من العلاقة فى نطاق الاطار الشكلى للعلاقات التفاعلية الرمزية والذى يشكل اطار للروابط التى تربط الناس ببعضهم البعض[1].

أما اهتمام ماكس فيبر بمفهوم التفاعل الرمزى فيبدو واضحا فى تحديده لمهمة علم الاجتماع بأنه العلم الذى يسعى إلى تحقيق الفهم التفسيرى للفعل الاجتماعى. وربطه تحقيق هذا الفهم التفسيرى، فى ضوء ادراكنا لمعانى الرموز التى توجد لدى الأفراد فى اطار التفاعل الاجتماعى. إذ ترتبط تلك الرموز بالمعانى الذاتية التى تقف خلف كل سلوك انسانى .وينتهى فيبر إلى أن الفعل يكون اجتماعى من خلال ارتباطه بالمعنى الذاتى والرموز، والتى توجد فى سلوك الأفراد وتأخذ أهمية فى سلوك الآخرين. وبالتالى يكون الفعل الاجتماعى موجه فى طبيعته[2].

وكان كولى من السباقين إلى الاهتمام بمفهوم التفاعل الرمزى. وجاءت اسهاماته الكبرى من خلال تصوره عن مرآه الذات العاكسة Looking glass self . إذ يعتبر كولى أن فهمنا للذات يكون من خلال المعلومات المنعكسة فى دواتنا

(1) Wallace, R & Wolf, A., Op. Cit. PP. 221 - 222.
(2) Ibid., P. 221.

الداخلية. كما يأتي هذا الفهم في ضوء أحكام الأفراد الآخرين الذى تتفاعل معهم. ثم حدد كولى ثلاثة عناصر لمرآة الذات العاكسة تتمثل في : تصورنا لمظهرنا بالنسبة للشخص الآخر. ثم تصورنا لحكمة على هذا المظهر، ثم بعض من الاحساس الذاتي أما بالزهو أو الخجل[1].

ولقد تطور مفهوم التفاعل الرمزى من خلال دراسات ميد الاجتماعية النفسية. وفي نطاق السلوكية الاجتماعية وكان ذلك من خلال تصوره عن الذات ككائن متفاعل. وليس من خلال التفاعل السلبي الذى يستجيب فقط للدوافع. وأن الفاعل يربط ذاته بالتفاعل الاجتماعي بواسطة أخذه بأدوار الآخرين. وأيضا من خلال أخذه بتلك الأدوار واستجابته لاتجاهات الآخرين. بحيث أصبح المفهوم الخاص بتفاعل الذات بشكل عمقا جوهريا في تصور ميد لهذا الاتجاه النفسى في علم الاجتماع[2].

كما أضاف ميد بعدا جديدا لمفهوم التفاعل الرمزى من خلال اتجاهه النفسى في علم الاجتماع مما يثرى اسهامه في مجال القضايا النظرية لهذا الاتجاه. وقد وضح ذلك في اهتمامه بدراسة أصل كل من الشعور والذات، وذلك من خلال امكانية النمو التدريجي منذ الطفولة. ثم قيام الذات بدور الآخر فيما تقوم به من انجازات، أى من وجهة نظر الآخرين. ومن ثم انتهى إلى أن التفاعل الانسانى يكون ممكن فقط في حالة وجود الرمز في ذات الفرد . كما يوجد أيضا في ذات الفرد الآخر[3].

ويعتبر استخدام هارولد جارفينكل تطورا معاصرا لمفهوم التفاعل الرمزى داخل نطاق الاتجاه النفسى في علم الاجتماع الامريكى. وقد جاء اسهامه «في نطاق النمط الطبيعى من النظرية النفسية الاجتماعية»[4]. ولقد ارتبط هذا الاسهام

(1) Wallace , R. & Wolf, A. , Op. cit . P. 223 .
(2) Ibid ., PP. 224 - 225 .
(3) Coser , L. A., Op. Cit. P. 325.
(4) Kinloch. G. C. Op. Cit. P. 262.

بدراسة جارفينكل للاثنوميثودولوجي Ethnomethodology والكلمة لفظيا تعني بحث أو دراسة مناهج الناس[1]. أما علميا فتعني «الغرض المتعلق بدراسة الخصوصيات العقلية المرتبطة بالأفعال الواقعية. كما يهتم بالطرق اليومية التي من خلالها يتفاعل الأفراد ويشكلون احساسهم بالواقع الاجتماعي. وبالتحديد من خلال المحادثة والتفاعل. وذلك باعتبار أن التنظيم الاجتماعي أو الأخلاقي يوجد من خلال التفاعل، وهو السبيل الذي بواسطته يفسر الأفراد الواقع [٢].

ولقد أوضح الدكتور عاطف غيث «أن اهتمام العلماء الامريكيين بدراسة التفاعل الرمزي قد شكل اتجاها نظريا مشتركا في اطار السلوكية الاجتماعية. وخاصة فيما يتعلق بتكوين الذات واعتبر أن عمليات التفاعل الانساني هي عمليات تكوين ايجابية، يقوم المشاركين فيها بتحديد اتجاهاتهم السلوكية وفقا لتفسيرات دائمة للأفعال التي يؤدونها. أو يقوم الأفراد من خلال عمليات التفاعل تلك بتعديل أو تغيير اتجاهاتهم وفقا لاستجابات الآخرين ورغباتهم ومشاعرهم. كما ينظرون في مدى ملائمة المعايير والقيم التي يعتقدونها حتى يستطيعون التكيف والتوافق في موقف التفاعل. وأخيرا وفي اطار التفاعل الرمزي يعتبر أي فعل أو سلوك مستمر بين شخصين له تاريخه الخاص وانتظامه، وكذلك تكراره وفقا للتو د والتعرف المشترك على الموقف بين هذين الشخصين [٣].

(٤) بناء الشخصية أو الذات Struction of Personality or The (Self)

شغل مفهوم بناء الشخصية أو الذات اهتمام علماء السلوكية الاجتماعية في علم الاجتماع في بدايات القرن العشرين، لا على اعتبار أن كلا علمي النفس والاجتماع يعرفا من خلال اتخاذ الفرد والمجتمع موضوعا للدراسة، ولكن على

(1) Cuizort, R.P. & King, E. W., 20th Century Social thought. New York: Holt, Ronehart and Winston, 1980, p. 314.
(2) Op. Cit., P. 314.
(٣) د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق ، ص ٤٧٩.

اعتبار أن كلاهما يمثلان أنساق للفعل. بحيث أصبح من الأهمية لتحقيق أى منهما أن يهتم بواجبات معينة من الآخر. وتأتى هذه الأهمية فى اطار احتوائهما على عناصر وخصوصيات وأنماط من العلاقات المتفاعلة بين تلك العناصر(١).

ويرى أليكس انكلس فى هذا الصدد «أن المهتمون بدراسة المفهوم الاجتماعى للشخصية أو الذات – بناؤها ووظائفها وسماتها • يرون امكانية تحقيق الترابط بين علم نفس وعلم الاجتماع. ويرفضون الاهتمام بالعامل النفسى وحده فى تفسير العمليات الانسانية أو العامل الاجتماعى وحده لفهم العمليات الاجتماعية. وبالتالى يرون أن التفسير والفهم السليم لما يحدث داخل البناء الاجتماعى يتطلب تحليل المتغيرات بداخله. وايضا دراسة مدى فاعلية البناء فى التأثير على سلوك الأفراد ومدى تماسك عناصر أو تفككها، وأيضا المعرفة الكاملة التى تحدث فى بناء الشخصية أو الذات(٢).

وبصدد الدور الهام الذى يمكن أن يلعبه مفهوم بناء الذات أو الشخصيات باعتبارة ميكانيزم نفس فى فهم الأنساق الاجتماعية وجعلها أكثر وضوحا ويثرى فهمها وتحققا بذلك الترابط بين علمى الاجتماع والنفس، ومدعما لجذور هذا الاتجاه النفسى فى علم الاجتماع. وقد قدم اليكس أنكلس فى هذا الصدد تحليلا يعتمد على ثلاث نقاط توجزه فيما يلى : أولا – دورها فى تحديد المؤثرات على مستوى النطاقات البنائية المختلفة للنسق الاجتماعى. ويأتى هذا الدور فى ضوء تأثير أى من تلك النطاقات البنائية على الأخرى. والذى يكون معتمد فى جزء منه على مدى تأثيره فى الشخصية الانسانية. ومن هنا جاء الاهتمام بدراسة بناء الشخصية،

---

(1) Inkles, Alex., "Sociological theory in relation to Psychology", Indohn C Mekinny and Esward A. Tiryakian., (eds.) Theoretical Sociology. New York : Meredith Corporation, 1970. p. 406.

(٢) محمد سعيد فرح، «النظرية فى مدى ادراك علم النفس للنظرية الاجتماعية» مقالة فى كتاب دراسات فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا . (مجموعة من أساتذة علم الاجتماع)، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥. ٨٢.

واعتباره متغير أساسي بين المتغيرات الأخرى له مشاركته في تحليل النسق الاجتماعي. ثانيا - دور بناء الشخصية في تحديد مدى تلائم العناصر المكونة لوظيفة أي من الانبياق الاجتماعية. ويتحدد ذلك في ضوء معرفة السمات التفصيلية للسكان والتي تشكل السمات الشخصية للنسق ككل. وتعتبر هذه واحدة من مفاتيح فهم وظيفة فهم وظيفة النسق، واحدى النقاط الرئيسية للربط بين النظرية النفسية والنظرية الاجتماعية. ثالثا - أن مفهوم بناء الشخصية لعب دوراً هاما في ايضاح أن أغلب المجالات السيكولوجية المتخصصة والمرتبطة بها مثل: دراسة التعلم والمعرفة والادراك توجد لديها مقدرة كبرى للتوافق مع فهمنا للعمليات الاجتماعية الكبرى» [١].

ويتضح لنا من التحليل السابق مدى ارتباط مفهوم الذات أو الشخصية بتحقيق الفهم النفسي للنسق الاجتماعي من خلال التفاعل الاجتماعي. ويأتي هذا الفهم في ضوء مشاركته في تحليل نطاقات النسق الاجتماعي وتحديد السمات الشخصية للنسق ككل ووظائفه. كما يقوم كذلك باضفاء نوع من الوضوح والتوافق في فهم العمليات الاجتماعية الكبرى من خلال دراسة عمليات مرتبطة بالذات مثل : التعلم والمعرفة والادراك. وقد انتهى أنكلس في هذا الصدد إلى أن تلك الواجهات السابقة تظهر أهمية علم النفس في فهم المشكلات الاجتماعية. وهذا لا يعني ارجاع علم الاجتماع إلى علم النفس ... ولكن القصد هو ايضاح السبل التي من خلالها يمكن لعلم النفس أن يستخدم ويساعد في حل المشكلات التي يركز عليها علم الاجتماع ... وايضا استخدام المعرفة الراسخة عن الشخصية كعنصر التحليل السوسيولوجي» [٢].

وقد أدى الاهتمام بدراسة مفهوم بناء الذات من قبل العديد من علماء الاجتماع إلى تحقيق التقارب مع علم النفس. وبالتالي «اتجهوا إلى اقامة دراسات

(1) Ankles, Alex, Op. Cit., PP. 406 - 407
(2) Ibid, P. 4()7.

علم الاجتماع على قواعد تحليلية لمجموع من المتغيرات النفسية. وكذلك اثراء الاتجاه النفسى فى علم الاجتماع بقضايا جديدة مثل : دراسة الحاجة إلى الانجاز، والاتجاهات نحو السلطة، وأساليب التنشئة الاجتماعية. مما ساعد على فهم الكثير من الدوافع الانسانية الكامنة وراء السلوك، ورغم مغالاة دوركيم فى رفضه لهذا الاتجاه الذى أثرته دراسات فرويد عن بناء الشخصية الكلية، وتأكيده على قوة الالزام الاجتماعى وبالتالى ضرورة الفصل بين علم الاجتماعى وعلم النفس إلا أنه وجد معارضة من علماء المعاصرين أمثال تارد الذى أكد على امكانية قيام صلة ضرورية بينهما. وأن الظواهر الاجتماعية توجد فى بداية تكوينها بصورة فردية نتيجة العلاقة المتبادلة بين شخصين يؤثر أحدهما فى الآخر. فالفرد يوجد أولا ثم الجماعات فالظواهر وأخيرا المجتمع. كما وجد دوركيم معارضة شديدة من كولى، وميد، وبالدوين، ووليم توماس الذين أعطوا منزلة عالية للفرد [1].

وفى الدراسات المعاصرة يبدو لنا أن متابعة بارسونز لنظرية فرويد عن بناء الشخصية، ومحاولته تحليلها والوقوف على نقاط الالتقاء التى يمكن أن تساهم فى تفسير السلوك الانسانى، وما يمكن أن تفيد به فى مجال التحليلات الاجتماعية، أدى به إلى محاولة تدعيم مفهوم بناء الشخصية. وقد أوضح بارسونز فى هذا الصدد «أن التحليل النفسى المرتبط بالتفكير السوسيولوجى فى دراسة بناء الشخصية وما يقابله فى علم الاجتماع بما أصطلح على تسميته بالنسق الاجتماعى، يصلح لاقامة واجهة التقاء عامه يطلق عليها السوسيولوجيون بنظرية الفعل الاجتماعى. وهى الواجهة النظرية التى أراد بارسونز أن يدخل من خلالها فى تحليل مفهوم الذات العليا. وذلك على اعتبار أن مشاركة القيم الأخلاقية

---

(١) «وهم العلماء الذين تميزوا بنزعة سوسيولوجية أكثر وضوحا فى دراسة الذات الاجتماعية، ويدعون أن الفرد من خلال أخذه بدور الآخرين ضمنا يشكل تصورا عن ذاته يقوم على استجابات الاخرين » معجم علم الاجتماع ، مرجع سابق، ص ٢٣.

(2) Parsons, Talcot, Social Structure and Personality, New York : The free press, 1970. P. 18.

كجزء جوهرى فى بناء الشخصية ذاتها يمكن أن يشكل نقطة التقاء أولية تنمية علوم السلوك الانسانى [١].

وأخيرا يمكن أن ننتهى إلى أن اهتمام علماء الاجتماع بدراسة مفهوم بناء الشخصية قد اتخذ ثلاثة مستويات رئيسية أدت إلى تحقيق التفاعل بين الشخصية والبناء الاجتماعى على الوجه التالى : «الأول – يرى أن الذات الاجتماعية امتداد للنزعات النفسية الشعورية والسلوك العقلى المباشر. إذ اهتم كولى – وميد، بظهور الذات الاجتماعية من خلال حجم العلاقات الشخصية المتداخلة كما إهتم سيلفيان الذى أكد على العنصر الشخصى للفعل الفردى والتوافق السيكوديناميكى» [٢] والمستوى الثانى – «يؤكد على الطابع الاجتماعى للذات كما هو عند فروم، ويدرس بناؤها فى المجتمعات المختلفة. وقد رفض انكلس وجود نمط عام للشخصية يسود المجتمع ككل نتيجة التغير الاجتماعى الحديث. والذى يؤدى إلى تباين المجتمع وبالتالى إلى وجود أكثر من نمط للشخصية[٣] أما المستوى الثالث – «فيرى أن مفهوم الدور يشكل أحد العناصر الرئيسية فى التفكير السوسيولوجى على مستوى البناء الاجتماعى. وكذلك من خلال مجموع التوقعات العامة ونمط الحقوق والواجبات، والتى تضطلع بها الشخصية مع من يشاركونها فى نفس النسق الاجتماعى»[٤]

(ب) القضايا النظرية إنشغل بها تيار السلوكية الاجتماعية :

بعد أن تناولنا مفاهيم الاتجاه السلوكى فى اطار قضاياه النظرية. ننتقل إلى معالجة القضايا النظرية التى انشغلت بدراستها علماؤه. ولكن يجدر بنا أولاً تحديد

---

(1) Parsons, Talcot, Social Structure and Personality, New York : The free press, 1970. P. 18.
(2) Ankles, Alex, Op. Cit . PP. 409 - 401.
(٣) محمد سعيد فرج، مرجع سابق ، ص ٨٦.
(4) Ankles , Alex, Op. Cit. 413.

مفهوم الاطار النظرى واهتمامات الاتجاهات النظرية السوسيولوجية بوجه عام. فقد أشار وليم كنكل إلى «أن الاطار النظرى هو مجموعة من القضايا أو الفروض المتعلقة بنسق ما يراد فهمه. ويستخدمها الباحث لفهم التفاعل الانسانى ونتائجه»[1] كما أورد جراهام كينلوشن فى تحديده لاتجاهات النظرية السوسيولوجية» أن اهتماماتها تختلف فى مستوى تركيزها وشكلها وسماتها. فمنها ما اهتم بالمجتمعات باعتبارها كيانات عضوية وظيفية، أو اعتبار الأنساق الاجتماعية كمجموعة متصارعة من القوى، أو تصور المجتمع كمجموعة متفاعلة من الأفراد بحيث تمخضت تلك الاتجاهات الاجتماعية عن ثلاثة أنماط كبرى من النظرية السوسيولوجية[2].

وبصدد تناولنا القضايا النفسية التى تضمنتها النظرية السوسيولوجية فى واجهتها البنائية والتى تناولت التركيب البنائى للمجتمعات ونظرت له باعتباره كيانات وظيفية عضوية [3] أوضح جراهام كينلوشن أن هناك عددا من القضايا الافتراضية ارتكزت فى جوهرها على مبادئ سيكولوجية ومنها الاهتمامات السيكولوجية الاجتماعية لدى دوركيم وتونيز اللذان افترضا وجود عدد من القواعد الأمبريقية. وأن تلك القواعد تعمل بطريقة آلية وعضوية وتتضمن أنساق المجتمع الذى ترتبط أجزاؤه بطريقة وظيفية. كما أفترضا أن المجتمع يشبه الكائن العضوى الذى يعتمد على وظائف أجزائه، وبالتالى يعتمد على المثل والارادة الاجتماعية التى تربط الأفراد بالواقع الاجتماعى[4].

يورد (دوركيم) فى كتابة قواعد المنهج فى علم الاجتماع أن الطريقة التى يتبعها علماء الاجتماع بصفة عامة فى تفسير الظواهر، هل قبل كل شئ طريقة نفسية وغائية فى نفس الوقت - فمن وجهة نظره - إذا لم يكن المجتمع شيئاً آخر

(1) Kinkel, W. F., Ibid., Cit., P. 18.
(2) Kinloch, G.C.,Ibid., Cit., 30.
(3) Kinloch, G.C., Ibid., Cit. P. 31.
(4) Ibid., PP. 31-33.

سوى مجموعة الوسائل التى يحددها الناس لتحقيق غايات معينة، فليس من الممكن إلا أن تكون هذه الغايات فردية، وذلك لأنه لا يمكن أن يسبق المجتمع فى هذا المجال سوى الأفراد . وبالتالى يصبح الفرد هو ذلك المنبع الذى تفيض منه المعانى والحاجات التى كانت سبباً فى نشأة المجتمع، كما أنه إذا لم يحتو المجتمع من جهة أخرى على شئ آخر سوى ضمائر الأفراد، لأصبحت هذه الضمائر تبعاً لذلك مبنعاً لكل تطور اجتماعى، وحينئذ فليس من الممكن إلا أن تكون القوانين الاجتماعية تتجه للقوانين شديدة العموم التى يحتوى عليها علم النفس. كما يترتب على ذلك أن خير تفسير للحياة الاجتماعية سوف ينحصر فى بيان أن هذه الحياه وليده الطبيعة الانسانية العامة، وسواء فى ذلك أستنبطها الباحث من تلك الطبيعة مباشرة ودون الاعتماد على أي ملاحظة سابقة، أم أرجعها إلى هذه الطبيعة العامة بعد أن يكون قد بدأ بملاحظتها بالفعل [1].

وهذا يعنى بدرجة ما أم رفض (دوركيم) لأن تكون القضايا الأخلاقية مستنتجة من القضايا المتعلقة بالانسان وأنشطته، والتى يمكن أن تكون موجودة فى العلوم الأخرى، وخصوصاً فى البيولوجيا، وعلم النفس ، وحيث كان معارضاً بإستمرار لهذا التصغير المتمثل فى الرأى القائل بأن طبيعة الأنشطة الانسانية Human Activities تتضمن أو تشتمل على كل ما يطلق عليه «بالأخلاق» و«اللاأخلاق» ويمكن أن يكون مستنتج من المبادئ المكتشفة من دراسة أما الجسم أو العقل ويرى أنها ليست واحدة [2] .

فإذا كان (كونت) قد رأى ألا نسلم نهائياً بصحة أى قانون يتعلق بالتطور الاجتماعى. مهما كانت قيمة الطريقة التاريخية التى هدتنا إلى الكشف عنه، إلا إذا أمكن إرجاعه بطريقة عقلية مباشرة أو غير مباشرة إلى النظرية الوصفية الخاصة بالطبيعة الانسانية، ولكن بشرط إلا يرقى الشك قط إلى هذه الطريقة الأخيرة، فهذا

---

(١) أميل دوركيم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٠٥.

(2) Robert, Bierstedt; Emile Durkhein; The Duision of Labor "Del Publishing Co, TNC., Ny, 1966, p. 14.

أدى (بدوركيم) إلى الاعتقاد بأن علم النفس ظل فى نظر (كونت) دائماً هو الحكم الأخير. وإذا كان (سبنسر) Herbert Spencer رأى أن البيئة الكونية والتركيب العضوى النفسى لدى الفرد هما العاملان الأساسيان فى وجود «الظواهر الاجتماعية Social Phenomenans» ولكن العامل الأول لا يستطيع التأثير فى المجتمع الا بواسطة العامل الثانى، ومن ثم فهذا العالم الأخير هو السبب الأساسى الذى يدعو إلى وجود التطور الاجتماعى. وبالتالى ترجع نشأة المجتمع إلى هذا السبب، بمعنى أن التطورات التى يمر بها المجتمع لا ترق إلى هدف آخر غير مساعده الفرد على تحقيق هذه الطبيعة والبلوغ بها إلى أكبر درجة من الكمال، وإذا كان قد سلم بأن المجتمع متى تمت نشأته يؤثر بدوره فى الأفراد، إلا أن ذلك لا يستتبع أن المجتمع يستطيع خلق بعض الظواهر بطريقة مباشرة. بمعنى أن الطبيعة الإنسانية هى مصدر كل شئ، وسواء فى ذلك أكانت هذه الطبيعة فطرية أم مكتسبة، فليس للغايات السياسية وجود حقيقى قائم بذاته، ولكنها مجرد تعبير عن الغايات الفردية [١].

ويتضح لنا مما سبق مدى اهتمام (دوركيم) بمستوى اكبر من مجرد الطبيعة الانسانية، واتخاذها أساساً لفهم المجتمع الإنسانى بما فيه من ظواهر أخلاقيه ومجتمعيه. وأن كان يعترف بأن هذا المبدأ النفسى قد أصبح أساساً لتلك النظريات الكبرى فى علم الاجتماع بل أصبح أيضا مصدراً ووصى لكثير من النظريات الخاصة:[٢] مثل نشأة النظام الأسرى بوجود العواطف التى يكنها الآباء للأبناء، ويشعر بها الأبناء تجاه الآباء. وتفسير العقاب بما يحدث من غضب الفرد إذا أصيبت مصالحة بالضرر الجسيم. وأيضا تفسير الحياه الاقتصادية بكاملها من جانب أصحاب المذهب المحافظ إستناداً إلى هذا العامل السيكولوجى الفردى البحث والمتمثل فى الرغبة فى تحصيل الثروة، وأيضا النظر إلى الدين على أنه وليد

(١) أميل دوركيم ـ قواعد المنهج فى علم الاجتماع، مرجع سابق ص ص ٦ – ٨.
(٢) أميل دوركيم ـ نفس المرجع، ص ص ٢٠٩.

الخواطر التى تثيرها القوى الطبيعية الكبرى أو بعض الشخصيات الفذة لدى الانسان - وسوف نتعرض لوجهه نظر دوركيم بالتفصيل فى المقارنة بينه وبين فرويد وتارد -.

وتتضح لنا مدى أهمية الدراسة فى هذا الموضوع وما يتناوله من موضوعات، إذا ما رأينا أن المفتاح لكل من دراسة وفهم العلاقات الاجتماعية هو «المعنى» Meaning لماذا يعتقد الناس عن حقيقة - دذاتهم Selvies ؛ وأصدقائهم Friendiship ، وفسيولوجياتهم الداخلية، العالم الخارجى Eyternal Workd - وتلك هى أساس فى سلوكهم . بمعنى أن الانسان يتصرف ويتصارع مع «الواقع» Reality الموجود من خلال معتقداته التى يشعر بها، ذلك الواقع الذى يشيد بواسطته تصوراته الخصبة، ويضبط من خلاله «المعتقدات» Belifs التى توجد لدى الآخرين، الماضية والحاضرة، وحيث يكون أيضا التصرف الانسانى، فى الجزء الغالب من السلوك الاجتماعى Social beliavior متجه نحو «التصورات» Concepts وليس «الأشياء» Things [(١)]

بل إنه إذا كلنا نجد (دور كيم) ينبذ أى نظرية تدعى أن هناك أى إرتباط تطورى بين الحقائق الأخلاقية للمجتمعات البدائية، والحقائق الأخلاقية فى المجتمعات المتقدمة، وذلك من خلال عدم رغبته فى إمكانية هذا الإعتقاد، واستخداماته القليلة لتطوريه (سبنسر) بل وصوله إلى أن وجهة النظر التطورية فى إعتمادها على الطبيعة الإنسانية تكون خاطئة ويجب نبذها. فهو بذلك يكون قد فصل نفسه عن إثنين من الدعامات المأمولة بالنسبة لعلم الإجتماع، حتى ولو كان قد كتب كثيرا قبل (واطسون) John B. Watson بواجهته السيكولوجية السلوكية، حيث كانت الاستجابة للدوافع السيكولوجية على الملأ، - Stimulus

(1) Arnold W. Grlen; Sociology " An analysis of Lofe in Modern Society". Mc Graw - Hill Book Company, Inc., New York, Toranto, London, 1960, p. 1.

Respomse - Psychology وكان عمل (فوندت) Wundt معروف لديه في ألمانيا، وأيضا (وليم جيمس)William James [1] - في عام ١٨٩٠م.

ومن الموضوعات الرئيسية التى أهتم بها هذا إتجاه السلوكية الاجتماعية فى دراسة المجتمع، هو مدى اعتماد الوجود الإنسانى على وجود «النظام المعيارى» Normative System حيث يرى «ديفد كنجزى» فى هذا الصدد أن الاعتماد الفرد على المجتمع غير متماثل مما هو لدى الحشرات Insects وناتج عن إستجابات غريزية مختلطة، ولكنه ناتج من استجابات مكتسبة Leorned Responses . ومن ثم يكون إعتماد الإنسان على المجتمع يكون في بعده الأقصى إعتماد على «النسق المعيارى» حيث يجعل هذا النسق من «النظام الواقعي» Factual onder أمراً ممكناً من خلال الدافع الاجتماعى ذو المعنى[2] Meaning Stimuli .

وكان تالكوت بارسونز من ابرز العلماء الذين أسسوا النموذج البنائى الوظيفى العضوى فى النظرية الاجتماعية، متأثرة فى ذلك بأفكار دوركيم وفيبر. واطلق على نظريته بالنسق البنائى الوظيفى» [3] وقد قام بارسونز بنائه النظرى على تصورات سيكولوجية ويتضح ذلك فى معالجته بناء الفعل الاجتماعى حين «اعتبر أن الخلية الرئيسية فى نموذجه هى الفعل مقابل السلوك. وأن الفعل يفترض فاعلا خلاقا. وأنه قبل كل شئ اختيارى أى موجه نحو غايه محددة على أساس ذاتى، ومن خلال وسيلة واحدة بين عدد من الوسائل البديلة [4]

وفى تناولنا للقضايا النظرية التى أنشغلت بها اتجاهات السلوكية الاجتماعية الثلاثة أو الاتجاه السلوكى الاجتماعى الذى يفسر المجتمع والظواهر الاجتماعية فى

---

(1) Robert, Bierstedt., Emile Durkheim; "Ihe Division of Labor " Deel Publishing Co., Inc., Ny, 1966, P. 42.

(2) Kingsley, Davis; Op. Cit., p. 53.

(3) Friendrich , R.W., Sociology of Sociology, New York : Free Press, P. 15.

(٤) على جلبى ، قضايا علم الاجتماع المعاصر . الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٧٩، ص ١١٥

اطار العلاقات المباشرة وتتخذ تفسيراتها شكلا اسقاطيا يشير إلى المعانى التى تكمن وراءها دوافع معينة. إذ لا تقوم تلك التفسيرات على الاستنتاج، بل بصورة عامة تهتم بالفرد أكثر من اهتماها بالموضوعات على النطاق المجتمعي[١] .

ونبدأ بعرض القضايا النظرية التى تضمنتها اهتمامات السلوكية الاجتماعية والتقليدية ؛ «التى تهتم بقضايا الفهم التفسيرى للفعل على المستوى الذاتى وفى ضوء دوافع الفاعلين. وبالتالى ظهرت التفسيرات الاجتماعية والطبيعية لدى ماكس فيبر، وجورج هربرت ميد فى دراسة الفرد باعتباره نتاج اجتماعى. وايضا التركيز على المعانى الذاتية للسلوك الاجتماعى، والعمليات التفاعلية الاجتماعية[٢]. ويورد هارولد جيرالد فى هذا الصدد» أن السلوكية الاجتماعية، ظهرت من خلالها وتطورت القضايا السيكولوجية لدى تارد والبيون سمول، وكولى. والتى اهتمت بصفة أساسية بالعمليات المتداخلة فى اطار التفاعل وجها وجها. ويبدو ذلك فى تصورات الاختراع والتعقيد والتعاطف وفهم الشخصية [٣]. كما اتخذ كذلك علماء الاتجاه النفسى وفى اطار السلوكية الاجتماعية التقليدية، «من اهتماتا جورج زيمل بدراسة الغرائز والرغبات، أساسا للاهتمام بدراسة قضايا البناء الاجتماعى والتطور. إذ حاول أن يحدد بدقة أشكال العلاقات الاجتماعية العليا والدنيا على مستوى المواقف المختلفة التى تبدو عليها [٤].

أما عن القضايا الاتجاه النظرية التى اهتم بها علماء السلوكية الاجتماعية المعاصرين أمثال : جورج هومانز، وجورج جارفينكل، فقد تمثلت فى قضايا البيئة الاجتماعية وعلاقة الفرد بها، وذلك من خلال المشاركة وشغل الأدوار والتغير

---

(1) Kinloch, G.C., Op. Cit., P. 33.

(2) Ibid., P. 33.

(3) Gerald, H.B., "Social Psychology", In Encyclopidia of Social Science,, Volume (13-14) Op. Cit. P. 460.

(٤) وقد ارتبط بدراسة الذات أو الشخصية لدى كولى وميد العديد من القضايا النظرية مثل قضايا ؛ الاتجاهات، الحاجة إلى الانجاز، والتنشئة الاجتماعية، محمد سعيد فرج، مرجع سابق ، ص ٨٤.

والتعريف الشخصى بالواقع . وكان ذلك من خلال ارتباط تلك القضايا بمفهوم التفاعل الرمزى والاثنوميثودولوجى[1]

وأخيرا كان للقضايا التى اهتم بها المدخل السيكولوجى للسلوكية الاجتماعية أثر بالغ فى نمو هذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع. وقد أوضحها بيلنلجرو على ثلاث نطاقات ونوجزها فيما يلى : أولا - «التحليل النفسى» Psychoanalysis وقد احتوت قضاياه عمليات ضبط وتوجيه الرغبات الطبيعية للطفل. كما احتوت قضاياه أيضا تحليل الحياة اللاشعورية للبالغين، والضمير الذى يعمل على كبح السلوك، وكذلك فهم عقده أويب التى تعد واحدة من الميكانيزمات الرئيسية ثانياً - «النطاق السلوكى» ويحتوى على قضايا السلوك والتعليم الاجتماعى ويرجعها إلى قوة الرابطة بين الاستجابة والدافع. كما يرى السلوك الاجتماعى على أنه مجموعة من الاستجابات المتعددة للشخصية. ثالثاً - «القضايا التى شغلت اهتمام نظرية الجشطلت» وهى قضايا الادراك الفردى ودراسة معانية، والمعرفة، كما اهتمت بدراسة عمليات التفكير الشعورية المشتمل عليها التفاعل . وتجلى ذلك فى دراسات فتز وهيدير لواقع الفرد السلوكى ومعتقداته بما يتوافق مع تكوينه الذاتى» [2].

وفى النهاية يرى (ديفد كنجزلى) Davisking Sley أنه إذا كان المفكرين المحدثين قد نظروا إلى مصدر تلك الانماط المجتمعة Social Norms ، من خلال الطبيعة البيولوجية وتعاملوا معها كما لو كانت عرائز. فهذا لا يمكن أن يكون مصدراً حقيقاً لها على اعتبار أن الطبيعة العضوية للكائن تكون مضبوطه بواسطة «النسق المعيارى» اكثر من كون أن «النسق المعيارى» يكون ناتج من خلال الطبيعة العضوية للكائن. وأن كانت هناك أيضا تفسيرات أخرى ترجع مصادر تلك الأنماط المجتمعية إلى اطارات : الأخلاق، الديانات، والمعتقدات. ولكن الأفكار الدينية والأخلاقية تكون فى ذاتها جزءاً من «النسق المعيارى». ومن ثم فإننا نتق مع (ديفد

(1) Gerald, H.B., "Social Psychology" In Encycloedia of Social Scince Volume (13-14) New York : Macmillan Company & THe Free Press., 1948. P. 460.

(2) Ibid., PP 460 - 461.

كنجزل) فى ضرورة أحتواء ذلك النسق المعيارى كجزء من المجتمع الانسانى، نظرا لما ينهض به من المساعدة فى إشباع الحاجات المجتمعية الرئيسية، وبالتالى يجعل من المجتمعات وأفرادها قادره على الاستمرار فى البقاء. ويبدو هذا جليا اذا ما وجدنا ان «النظام الواقعى» لا يستطيع ان يحقق الضبط على البيئة الطبيعية من خلال وسائل الثقافة، بدون أيضا ان يقوم الانسان بضبط نفسه من خلال «النسق المعيارى».(١)

هذا وقد لعب علماء هذا المدخل السلوكى الاجتماعى دورا هاما فى الاهتمام بقضايا «الجماعة» Group كمدخل للتنظيم الإجتماعى، ومدى الدور الذى تلعبه من تطور ونمو الطبيعة الانسانية الشخصية. فنجد عن اجماعة (شارلز هورتون كولى) Charles Horton Cooly عن الجماعة الاولية، اصبح الآن عاملا أساسيا فى تصنيف الجماعات . وظهرت تساؤلات عديدة عن كيفية تحديدها، ووصفها بأنها أولية.(٢) وقد قال كولى عن روح الجماعة

« ان وجود واستمرار روح الجماعه ينعش ويرفع العقل الفردى بوضوح». ومن خلال هذا توجد العاطفة الاجماعية متمثلة فى مستويات الاستحسان ونوع من الاحساس بالأمان.»(٣)

كما أنه من بين العلماء المميثلن لإتجاه السلوكية الاجتماعية (جورج هربرت ميد) George Herbert Mead الذى تناول قضايا الذات فى علاقتها بالمجتمع ويرى «من وحدة بناء الذات تعكس وحدة بناء العمليات الاجتماعية ككل، وان كل من الذوات الاولية ومركباتها يقاس وحده بناء واحدة من الواجبهات المختلفة من تلك العمليات الاولية الاجتماعيه التى يكون الأفراد فيها متداخلين»(٤)

واذا كان (جورج هومانز) George Homans فى دراساته يصب اهتمامه

(1) Gerald H.D., Ibid.; P. 54 - 55. •
(2) Edward V. Jandy; & Charles Horton Cooboy : His life and his theory L The No wood Press; N.Y. 1942, PP. 172 - 173.
(3) Charles H. Cooly.; Social (Process; Southern Ileinois University Press; 1966. P. 38.
(4) George II. Mead.,"The self" in peter, Wosly; (ed) penquin education, 1970. p. 45

واذا كان (جورج هومانز) George Homans في دراساته يصب اهتمامه على عمليات لتفسير الخاصه بالعمليات الاجتماعيه الرئيسية fundamental social process بمعنى أن مجال دراسته ينصب على العمليات الرئيسية في السلوك الأجتماعي ، فليس هناك أكثر من أن الأنسان قد ملك التجربة الشخصية في علاقته بالسلوك الأجتماعي ، وكلٌ منا يكون عضواً في جماعة ، وبشكل على الأقل قليلاً من القواعد والمعايير norms ويأخذ مكانه في هيئة إنساق . ويضيف (هومانز) أن تآلفنا مع المادة المدروسة لايعني أنها ليست محتاجة للبحث ، لأن معرفتنا الحدسية لها ربما في الغالب تسمح لنا أن نفعل الكثير ، وتكون معتمدة على إحساس تام بالفراسه والتي نادراً ما تختبر أمبرقياً - أما البحث فسوف يجعل من هذه المعرفة أكثر وضوحاً ودقه -(1)

ويتضح لنا مما سبق أهتمام كلٌ من ميد ، وهومانز بدراسة قضايا العمليات الأجتماعية الرئيسية في السلوك الأجتماعي ، ومحاولة التفسير لتلك العمليات ، والذي يقوم في جانب كبير منه على الجوانب السيكولوجية من خلال علاقات «المواجهه المباشرة» face-To-face وسوف نعالج ذلك بالتفصيل من خلال عرضنا لوجهات نظر كلٌ منهما في نطاق المدرسة التي ينتمي إليها في الفصول التالية .

هذا وقد أهتم أصحاب «مدرسه الفعل الاجتماعي» من أنصار هذا الأتجاه بمحاولة فهم « الفعل » action « أو السلوك » وحاول ماكس فيبر تحقيق قضايا الفهم التفسيرى للفعل الأجتماعي بمعنى ان الفعل الاجتماعي أما أن يكون علني Ouert أو خفي أو ذاتي intomal وعموماً فهو أجتماعي منذ القدم من خلال الحقيقة التي ترى أن المعاني الذاتية، ترتب به من خلال أفعال الأفراد ، وتلك المعاني تأخذ أهمية في سلوك الأخرين ولهذا السبب تكون متوجهه في طبيعتها(2).

(1) Homans, George., 'Fundamenta Social Process"; in Neil 7. Smelser ., (ed) An introduction Sociology, First wiely Estern Repreintx, 967. P. 30.
(2) Weber, Max., Thetheory of Social and economic organization; "The defination of sociology ans social action" Copright Exford University Press, New York, 1947. p. 88.

وقد تمثل هذ الأتجاه السلوكى لدى العلامة (جوستان لوبون) فى تأكيده سيطرة العنصر النفسى على علاقات الأفراد وسلوك الجماهير lafoule أى قضايا نفسية الجماهير والشعوب أهتم بدراسة الروح الجمعية I am collective التى تسيطر على أعمال الناس وشعورهم وهم متجمعون فى صورة حشد، وبغض النظر عن إختلافهم فى الجنس أو المهنه أو المركز الاجتماعى. وهى حالة نفسية جديدة- تخالف تمام المخالفة نفسية الأفراد الذين تتكون منهم الجماهير، بل تعمل على تقلص الوعى الفردى وانصهار شخصية الفرد لأنها تركز أساسا على مفهوم «اللاوعى» أو «اللاشعور» Unconsciousness حيث يطلق الفرد العنان لما يكتبه فى نفسه من الرغبات، مستندا وراء المظهر الجماعى الذى يشجعه ويدفعه على العمل وفق ميوله وغرائزه.(١)

وقد أوضح الدكتور أحمد الخشاب ان (ليبون) لم يكن واضحا فى تفسيرة لسيكولوجية الحشد، ولم يبين ما إذا كان الفرد يفقد وعيه بصورة كلية بإندماجه فى المجتمع، أو يقصد بوجود وجدان جمعى يطغى على الارادات والوجدانات الفردية وتنساق وفقا له أفكار ومشاعر الأفراد، وان كان ميله أكثر الى الاتجاه الثانى. واكد فى هذا الصدد على عمليتين نفسيتين أساسيتين هما:-

«عملية التواصل عن طريق العدوى الفكرية»

La Contagion Mental والتى من خلالها تسرى الأفكار والحركات من فرد الى فرد كالعدوى من الجسم المريض الى الجسم السليم، ثم يحاكيها الأفراد بشكل لاشعورى، وهذه العمليه تنطوى على سلبيه لدور الفرد وتجرده من ذاتيته الواعيه وتدمجه فى الروح الجماعيه. والعملية الثانية هى عملية «الايحاء» La Suggestibilite بمعنى ان الأفكار والأفعال تتجه من أعلى السلم الاجتماعى الى القاعده الشعبيه عن طريق القاده والزعماء بوسائل الأغراء والايحاء فى صورة إتجاهات جماعيه، ووفقا لما يوجهونهم اليه من أعمال وأفكار، وبذلك يسلب

(١) د. أحمد الخشاب التفكير الاجتماعى، مرجع سابق، ص ٤٧٦

الأفراد إرادتهم الشخصية. كما أن هذه الآراء لا تصدق على اى مظهر باثولوجى من أنماط التجمعات البشرية غير المستقره الثورية، والتى تصل بأفرادها الى التذمر أو التعصب أو الحماس المتدفق، نظراً لأن تلك الآراء تكون خطيرة لا تخضع للنقد العلمى، كما ان النظم والأنساق الاجتماعية تكون أوضح عن كونها عابره ومقصودة على صوره الحشد الطائش، وان الآراء العامة فى الأشكال الاجتماعيه المتقدمة الثابتة يتكون عن طريق النقاش والجدل الهادئ سواء بوسائل الدعاية والترغيب أو التنظيم العلمى المدروس.[1]

وان كنت فى هذا الصدد أرى ان هناك ما يدعم هذا التصور النفسى لنفسية الحشد فى عالم اليوم، حتى وان كان فى شكل اجتماعى متقدم، وأوضح دليل على ذلك هو ما يحدث فى عالم اليوم فى ميكانيزمات الزعامه الدينية المتمثلة فى الثورة الايرانية، ودرجة تأثيرها على التابعين.

وبعد عرضنا للقضايا النظرية التى شغلت اهتمام علماء مدخل السلوكية الاجتماعية من خلال اطار المفاهيم أولاً، ثم القضايا النظرية التى تبنوها بالدراسة، ومحاولتنا فى هذا الصدد تحديد أبعادها وحصر اهتماماتها. يتضح لنا أنها شملت قضايا علم الاجتماع الرئيسى : من تقدم وتطور وتفاعل اجتماعى وعلاقة بين الفرد والمجتمع أو قضايا تخص السلوك أو الفعل والجماعة، أو البناء الاجتماعى. إذ حاولنا تفسير تلك القضايا فى ضوء مفاهيم سيكولوجية، منها ما يقع فى نطاق علم النفس الاجتماعى، ومنها ما يعتبر اضافة إلى اطار المفاهيم فى علم الاجتماع بوجه عام، وسوف نتناول فيما يلى عرض لقواعد المنهج لدى علماء الاتجاه النفسى فى علم الاجتماع.

٣- قواعد المنهج فى دراسات السلوكية الاجتماعية فى علم الاجتماع :

وبعد تناولنا للقضايا النظرية التى اهتم علماء السلوكية الاجتماعية بدراستها،

---

(١)أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعى ، مرجع سابق، ص. ٤٧٧ : ٤٧٩.

لدى المجتمع. إلا أنه يرى أن العامة من الناس لا يسلمون بتلك القضية التى أنه من الممكن أن تحل الحياة الاجتماعية وتأخذ لها مكانا آخر غير شعور الفرد، تلك القضية التى يعترف بصحتها فيما يتعلق بالظواهر الطبيعية الأخرى، بمعنى أنه إذا تفاعلت بعض العناصر فيما بينها ونشأ عن اتحادها بعض الظواهر الجديدة، فإنه يجب علينا القول بأن هذه الظواهر الجديدة لا توجد فى كل عنصر من تلك العناصر على حده، بل توجد فى الكل الذى نشأ بسبب اتحادها، وكما أن الخلية لا تحتوى على شيء آخر غير الجزئيات المعدنية، كذلك المجتمع لا يضم شيئاً آخر غير الأجزاء، ومن ثم فيجب علينا أن نطبق هذا المبدأ على علم الاجتماع، وإن ينظر الأفراد إلى ذلك المركب الفريد فى جنسه الذى يتكون منه كل مجتمع على أنه يؤدى إلى وجود بعض الظواهر الجديدة التى تختلف فى طبيعتها عن الظواهر النفسية التى تمر بشعور الأفراد، تلك الظواهر الجديدة التى توجد فى نفس المجتمع «وليست فى نفس افراده»، بمعنى أن هذه الظواهر تكون خارجة عن شعور الأفراد حالة تفرقهم، كما أن الخواص النوعية للجياه توجد خارج المواد المعدنية دون أن يقع تناقض.[1]

ويتضح لنا مما سبق أن دوركيم يحاول أن يحذو حذو العلوم الطبيعية، فى دراسته للواقع الاجتماعى، ومحاولاً تحقيق أن قدر من «الموضوعية» Objectivesm فى دراسته للظواهر الاجتماعية، ذلك المنهج المستخدم فى العلوم الطبيعية. وبالتالى كانت نظرته إلى الظواهر الاجتماعية على أنها خارجة عن شعور الفرد، وعلى أنها أشياء توجد فى الواقع الاجتماعى، وتمارس نوعاً من القهر الخارجى. ومن ثم كان تعريفه للظاهرة الاجتماعية على أنها «ضرب من السلوك. ثابتا كان أم غير ثابت، يمكن أن يباشر نوعا من القهر الخارجى على الأفراد، أو هى كل سلوك يعم فى المجتمع بأسره، وكان ذا وجود خاص مستقل عن الصور التى يتشكل بها فى الحالات الفردية»[2]

(١) أميل دوركيم ، قواعد المنهج فى علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ص ٢٩٠ - ٣٢ .
(٢) نفس المرجع ، ص ص ٦٨٠ - ٦٩ .

ويورد (تالكوت بارسونز) Talcot Parsons كتابه بنيه الفعل الاجتماعي Structure of social action[1] أن (دوركيم) قد أثار المشكلة التي تتعلق على وجه الخصوص بالحالات الواقعية للمقولات الذاتية حيث يسلم ويعترف بالأساس الاجتماعي النفسي في الفرد، ولكنه لم يحلل هذا التوريط يبعد كاف وترك برهنته على تلك النقطة معلقة في الهواء. ولكنه قدم بألفاظ عامة مناقشة مدهشة لتلك المسألة-لكنه دخل بنوع خاص في صعوبات خطيرة، من خلال معالجته «للقدرات» و «الاستعدادات» العامة لدى الفرد الانساني والتي تمثل المحتوى السيكولوجي، لتلك الأشكال النوعية العقلية التي توجد في الحياة - لا يمكن أن يهتم بها فقط في إطار تلك القدرات والاستعدادات، ولكن يجب بالاضافة إلى ذلك أن يدرس الفرد في إطار تلك القدرات والاستعدادات، ولكن يجب بالاضافة إلى ذلك أن يدرس الفرد في أطار «الوسط الاجتماعي» Social Miliew الذى يعيش فيه [1]. ومن ثم «فالنظرية النفسية الاجتماعية تكون غير كافية في تفسير الحياة الاجتماعية» [2]

وترتيبا على ما سبق يتضح لنا أن دوركيم لا ينفي الأساس السيكولوجي للحياة الاجتماعية، ولكنه يعترف به، ويسلم بوجوده، بل أنه كان أساساً لكثير من النظريات الكبرى في تفسير الحياة الاجتماعية. ويبدو أن اهتمامه بمسايرة اتجاه العلوم الطبيعية في دراسته للحياة الاجتماعية، ومحاولته الالتزام بمنهج الموضوعي في دراساته للظواهر الناجمة عن الاعتماد المتبادل بين الأفراد، هو الذى أدى به إلى اعطاء الأهمية الكبرى لدراسة الظاهرة الاجتماعية على أنها شيئا خارج عن الفرد، ومحاولاً تحقيق اكبر قدر من الموضوعية في دراساتها ومن خلال المنهج الوصفي في دراسة للظاهرة الاجتماعية، ثم تركيزه ايضا في دراسته للحياة الاجتماعية على العوامل الاجتماعية واعطاها اهتماماً أكبر من الجوانب النفسية هو الذى أدى به إلى عدم الاهتمام بالمناهج الذاتية في فهم السلوك الانساني.

---

(1) Parsons , Talcot., The Structure of Social Action, Op. Cit., PP. 357 - 358.
(2) Ibid ; P. 358.

ويرى (أرنولد جرين) Arnold w. Grean أن تركيز الانتباه من جانب علم الاجتماع على «المعنى» Meaning يفصل علم الاجتماع بجانب كل العلوم الاجتماعية الأخرى، عن العلوم الطبيعية، Physical Sciences بمعنى أن مادة العلوم الاجتماعية تكون مختلفة ومن ثم معالجة تلك المادة تكون أيضا مختلفة، فمن حيث اهتمام تلك العلوم الثقافية والاجتماعية بفهم «المعانى» يتساءل كيف ينتج التعميم Generalization أن ينتج من دراسة السلوك المدروس الذى ربما يختلف باختلاف المعنى الذاتى الذى يوجد لدى كل شخص؟ ......

وفى الاجابة يرى أن هناك ثلاثة حقائق متعلقة بطريقة دراستنا فى تلك العلوم الثقافية والاجتماعية والتعميمات والفروض المتعلقة بها :

أولاً : أن الفعل الاجتماعى يكون مكبوت، ومحدد.

ثانياً : أن مشكلات التفسير فى علم الاجتماع تختلف فى الدرجة التى تكون عليها إختلافات المعانى، ووجوب أخذ تلك المعانى فى الاعتبار.

ثالثاً : وجود المعانى النوعية ، والمقاصد فى الفعل الانسانى لدى العديد من الناس والتى يمكن دراستها مستقلة فى إطار المعانى الفردية. (١)

ولما كان هذا الاتجاه البيكولوجى فى علم الاجتماع هو ذلك الفرع الذى يهتم بدراسة السلوك الانسانى والحياه الانسانية، فى ضوء مبادئ وقوانين علم النفس الاجتماعى، وعلى الأخص «المعانى والدوافع الذاتية التى تكمن خلف سلوك الأفراد. وهذا ما ميز منهج العلوم الثقافية والاجتماعية ، عن العلوم الطبيعية فى ألمانيا وتمثلا فى منهج الفهم الذاتى للمعانى والدوافع التى تكمن وراء الأفعال والظاهرات(٢).

---

(1) Arnold W. Grlen., Sociology , Op. Cit., Pp. 2 - 4.
(2) Parsons, Talcot., Evoluation & Objectivity in Social Science : (in inter fpretation of Max Webers's Contrubution ", in international social science Journal, Vo. XVII No. 1, Unesco, 1960, Paris.

ويمكن تقسيم علماء تيار السلوكية الاجتماعية في اعتمادهم على المداخل المنهجية وفي اطار المدرستين الأمريكية والألمانية وفقا لاتجاهاتهم النظرية في اطار السلوكية الاجتماعية. وتجدر الاشارة مسبقا إلى «أن أى مدخل منهجى لدراسة السلوك الانسانى يمكن تحديده فى نطاق ثلاثة عناصر رئيسية هى : (د) وتشير إلى الباعث ، (هـ) وتشير إلى تأثيره على الكائن، (R) وتشير إلى الاستجابة المتمثلة فى السلوك الناتج»، وقد أوضح جيرالد هارولد فى هذا الصدد أيضا «أن الاختلافات بين المداخل المنهجية تكون منحصرة فى كيفية وصفها وتشكيلها لتلك العناصر. فبينما نجد علماء النفس التقليدى يصفون الدافع على أنه تتابع خاص، والاستجابة له تعتبر حالة طبيعية فى حدود الأطر الفيزيقية، نجد أن دراسة علماء الاتجاه النفسى الاجتماعى المعاصر للتعلم تتضمن مرحلتين من العمليات تتوسطا الاستجابات للدوافع. والأولى– هى المرحلة التصورية التى ترجع المعانى إلى بعض من أشكال الدوافع الخارجية. والثانية–المرحلة التى تكون فيها معانى الدوافع نابعة من السلوك التابع للشخص نفسه موضوع الدافع والاستجابة كما يعمل هؤلاء العلماء أيضا فى اطارين : الأول – يدرس السلوك الاجتماعى من خلال العالم اليومى والوسط الاجتماعى. والثانى – هو الاطار التجريبى بمعنى القدرة على معالجة وضبط واظهار حالات الدافعية التى تواجه الشخص محل الدراسة والتجريب. (١)

ويبدو أن منهج الفهم يعد أهم المناهج التى اعتمد عليها علماء مدخل السلوكية الاجتماعية فى علم الاجتماع متخذا صورا مختلفة فى تبنيهم للنزعة السلوكية، والتى توجههم فى دراسة الفعل أو السلوك فى نطاق المدرستين الأمريكية والألمانية. ففى نطاق المدرسة الأمريكية اتخذوا واجهة الاتجاه العضوى السيكولوجى أو الفهم التعاطفى، تلك الواجهة التى تفسر الفعل الاجتماعى

(1) Gerald, H.B., Op. Cit., PP. 460 - 461 .

بالاستعانة باطار الفهم والمعنى. كما تعد تلك الواجهة ضرورة لادراك وفهم العناصر الذاتية للدوافع والأغراض التى يتميز بها السلوك الاجتماعى للانسان. (١)

وقد أستخدم كولى وميد منهج الفهم أو التعاطف فى واجهته السيكولوجية لدراسة الذات الاجتماعية وتطورها نتيجة التفاعل بين الفرد والمجتمع. وكذلك فى اظهار الدور الذى تلعبه الجماعات الأولية فى تشكيل الذات أو الطبيعة الانسانية. وجاء ذلك فى اطار «قناعتهم بأن منهج الفهم التعاطفى يمثل طريقة خاصة للحصول على المعرفة فى العلوم الانسانية، وكعملية حدسية عقلية. إذ يدرك الفرد طريقة من خلال عقل وانفعالات شخص آخر ، ويحاول توليد أفكار الشخص الآخر لديه ويشاركه مشاعره. (٢)

وكما اتخذ كذلك منهج الفهم واجهة تفسيرية سيكولوجية لدى كل من ماكس فيبر وجورج هربرت ميد «وذلك فى اطار النمط التحليلى الكلى من السلوكية الاجتماعية. وقدم فيبر عددا من الأنماط الاجتماعية للمعنى. كما اهتم بتنمية عددا من المداخل المنهجية التى تضمنت منهجين رئيسيين : أولهما – منهج الفهم التفسيرى، ثانيهما – منهج التجربة التخيلية، والأول يتضمن محاولة تفسير السلوك على المستوى الفردى والجماعى فى اطار الأنماط المثالية للمعنى الاجتماعى. والثانى – يتمم الأول ويتضمن افتراض امكانية قيام أنماط للمعنى الاجتماعى يمكن أن تكون مرتبطة بالدافع. وفى كلا المنهجين أكد فيبر على محاولة تحديد نوع الدافع الذى يمكن خلف الفعل الاجتماعى المتضمن، وجاء استخدامه لتلك المناهج فى محاولة للربط بين الديانة البروتستانتية والرأسمالية. بمعنى أن هدفه الرئيسى كان يتمثل فى الربط بين الدافع والفعل الاجتماعى

(١) على جلبى ، « النظرية واتجاهات تطورها فى علم الاجتماع المعاصر» مقالة فى كتاب دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا، مرجع سابق، ص ١٨٠.

(٢) نفس المرجع ، ص ١٧٩.

وبين القيم والسلوك الاجتماعي، وذلك من خلال استخدامه لمناهج الفهم التفسيرية[1].

ومتابعة لاستخدام منهج الفهم في واجهة التفسيرية السيكولوجية جاءت أيضا «مناهج ميد مثل فيبر تفسيرية وذاتية. إذا استخدم منهج الفهم التفسيرى الذاتى أو الاسقاطى، والذى يتماثل مع اتجاه السلوكية الاجتماعية. وأتخذ منه محتوى ملائم فى محاولته الوصول إلى ما فى داخل الفرد بهدف فهم العمليات الاجتماعية العامة[2].

وفى المقابل من النمط التحليلى من السلوكية الاجتماعية لدى فيبر وميد جاءت اهتمامات جورج زيمل المنهجية فى اطار النمط الطبيعى من السلوكية الاجتماعية «واهتم بتطور علم الاجتماع الصورى وأنماط معينة من التفاعل، والتى تعتبر أساسا لأنماط معينة من البناء الاجتماعى. واعتمد زيمل فى ذلك على المناهج التحليلية التاريخية والمقارنة. وشجع استخدام النماذج الاجتماعية كأدوات منهجية لدراسة البناء الاجتماعى. وقام بتحليل نماذج الغريب والوسيط والشخص الفقير واعتبرها تقدم ما هو ملائم من أنواع المشاركة والتفاعل بين أفراد المجتمع. والذى ينهض من وجهة نظره على غريزة المنافسة الانسانية وحجم الجماعة والتطور الاجتماعى»[3].

ويمكن القول بوجه عام أن عددا كبيرا من علماء التيار السلوكى الاجتماعى فى المدرستين الأمريكية والألمانية قد تبنوا منهج الفهم، وأن كان أتخذ لديهم واجهات سيكولوجية مختلفة. وهذا يرجع إلى اهتمامات كل منهم النظرية فى اطار الاتجاه السلوكى من النظرية الاجتماعية. وكانت هناك مناهج نفسية أخرى

(1) Kinloch, G.C. , Op. Cit., P. 141.
(2) Ibid., P. 147.
(3) Kinloch, G.C. Op. Cit., P. 154.

اعتمد عليها علماء الاتجاه النفسى بجانب منهج الفهم، وقد وضحت تلك المناهج لدى زيمل، و «جورج هومانز الذى استخدم منهج دراسة الحالة» [١].

كما عرف عالم الاجتماع الأمريكى المعاصر هارولد جارفينكل باعتباره من العلماء الممثلين لهذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع. وجاء هذا الاهتمام فى اطار اتجاهه الاثنوميثودولوجى والذى اعتبر أحد الاتجاهات السائدة للفينومينولوجيا فى علم الاجتماع[٢]. وقد تشابه جاد فينكل فى اتجاهه هذا مع نظرية التفاعل الرمزى. حيث يعتبرا مداخل نفسيه اجتماعية تهتم بالأفراد أكثر من الأدوار والبناءات الاجتماعية [٣]. وقد تبنى جارفينكل فى دراساته النفسية الاجتماعية مدخلا منهجيا يساير فيه دعوة شتيس للعقلانية والنمط الاجتماعى الامبريقى فى علم الاجتماع. ومن ثم كانت مناهجه الامبيريقية مشتملة على محاولة دراسة العمليات العقلانية. وذلك من خلال عددا من الطرق المنهجية ، والتى تهدف إلى القاء الضوء على الطريقة التى من خلالها يعمل النظام الأخلاقى فى عمليات التفسير الفردية. إذا اعتبر أن الفرد يكابد للوصول إلى حالة التوافق والعقلانية وتشكيل احساسه بالموقف. وحدد تلك الطرق المنهجية فيما يلى: تحليل الديالوج، دراسة الحالة، والتجارب التى تحتاج إلى امضاع عن الشك المتضمن فيها وتكون الاستجابة فيها ملاحظة [٤].

وهكذا يتضح لنا مدى اهتمام علماء السلوكية الاجتماعية بالمناهج الذاتية فى دراسة الشئون الانسانية. إذ يرى ماكس فيبر يرى أن الاختلافات القائمة بين العلوم الانسانية والعلوم الطبيعية لا ترجع إلى الموضوعات التى يهتم بها كلا العلمين، أو المناهج المستخدمة فى كليهما، بل ترجع فى الحقيقة إلى نوع المعرفة المتضمنة

---

(1) Martindale , Don., the Nature and types of Sociological Theory. London : Rotledge and Kegan Paul., 1961. P. 476.
(2) Wallace, R.A. & Wolf, A., Op. Cit., P. 267.
(3) Ibid., P. 280.
(4) Kinloch , G.C. , Op. Cit., P. 270.

المتضمنة فيهما. فعند دراسة الأمور الإنسانية يقوم الانسان بالدراسة ويكون هو نفسه موضوع الدراسة في نفس الوقت، بمعنى أن العلم الاجتماعي هو المعرفة بالذات ، كما أن علاقة الانسان بدوافعه واعرافه اكثر قوة من علاقته بالنجوم أو الأشياء الأخرى [1].

ولقد حاول (ماكس فيبر) أن يفيد من النسق السيولوجي الذى قدمه لعلم الاجتماع، مستعينا بالامكانيات التي توجد لدى العلوم الطبيعية، والروحية، ورأى أن تحقيق أعلى مستوى في فهم الظواهر الاجتماعية يكون ممكن، إذا ما كان هذا الفهم سببياً بدرجة كافية، وملائما على مستوى المعنى. وقد تتطلب ذلك من وجهة نظره تحليلا لثلاثة أسئلة هي : الأول ما هو الفهم السببي الملائم Causally Adequate Under Satanding . والثاني : ما هو الفهم الملائم ذو المعنى Meaning Adequate Under Stanfing والثالث : يفي بكيفية إرتباط الفهم السببي الملائم والفهم الملائم ذو المعنى معاً [2]. (وسوف نتناول ذلك بالتفصيل، ونحن بصدد معالجة الاتجاه النفسي لدى ماكس فيبر).

هذا وقد أورد الدكتور أحمد الخشاب، أن اليبون (Libon في تصوره لنفسه الحشد وتصرفه وفقا لميول وعرائز وعاطفة جامعة متمثلة في سلوك الأفراد، مما يؤدى إلى اختلاف سلوك الافراد داخل نطاق الحشد ، عن سلوكهم خارجه حيث يبدو كجسم واحد وككائن مستقل، ربما أستعار نظريته هذه من العلامة الانجليزى (هربرت سبنسر) من خلال تبنيه للمنهج العضوى السيكولوجي في دراسة المجتمع، وخاصة فيما يتعلق بسيادة ظاهرة التجانس على الفروق الفردية، وأراد أن يعقد صلة بين ظاهرة الحشد والمرحلة الدنيا من التطور العضوى دون تمييز بين التكتلات الحيوية والكتل الشعبية والطبقات أو الفئات الاجتماعية [3].

---

(1) Julien, Jreund.; The Sociology of Max Weber; Translated From French by Mar Ilford; Penguin Books . England, 1972, p. 38.

(٢) نيقولا تيماشيف. نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق ص ٢٥٥ .

(٣) د. أحمد الخشاب . التفكير الاجتماعي ، مرجع سابق ، ص ٤٧٧ .

وتدعيما لاستخدام علماء الاتجاه النفسي للمنهج العضوى فى دراسة سلوك الأفراد داخل نطاق الجماعات الصغيرة Small Groups يرى (جيرالد فيليبس)، (يوجينى أريكون) أن المنهج المناسب لتحليل السلوك الفردى جميعها تتمثل فى إمكانية الحصول على اكثر أو أقل من «التقدير الذاتى» Self-Esteem أثناء تفسير السلوك الذى يقوم به ، بمعنى أن هذا يتوقف على أنواع السلوك المباحة والمتوافقة أثناء نموه ومن خلال دوره ومكانته فى الجماعة. فليس هناك مجال لمناقشة التى ترى أن أى فرد لا يستطيع أن يقمع رغبته الخاصة من أجل أن يظهر التأثير على الآخرين، بمعنى الدافع الشخصى للكسب ربما يكون مشترك مع هدف الجماعة، فى حين يكون مشارك بدرجة كبرى حينما يمكن للفرد أن يحصل على الكسب الفعال Potential Gain لنفسه من خلال هذه المشاركة الجماعية واتفاقه مع أهداف الجماعة[1].

ومتابعة لهذا المنهج العضوى السيكولوجى فى فهم الفعل أو السلوك من وجهة نظر الذاتية Subjective - View، كما هو فى تفسير الحياة الاجتماعية، يرى (ديفيد كنجزى) Davis Kingstey أن الفعل Act يحلل فى إطار أربعة شروط معتمدة وغير منفصلة : أولا : الفعل Actor ثانيا: الغاية An end أى الحالة المستقبلية بالنسبة لما هى فى عقل الفاعل. ثالثاً : مجموعة من الشروط أو الحالات Conditions أى واجهات الموقف التى من خلالها لا يكون لدى الفاعل أى ضبط. رابعا : مجموعة الوسائل Set of Means ، أى واجهات الموقف التى من خلالها يملك الفاعل الضبط . بمعنى أننا نحلل سلوكنا فى اطار هذه العناصر ونتخيل أن نفس تلك الاعتبارات تكون مطبقة بالنسبة لسلوك الآخرين، كما أن كل واحد من تلك العناصر لا يكون مستقل عن الآخرين، فى حين أنه لا يكون ناتج فى نفس الوقت عن الآخر: «فالغايات» لا يمكن أن تكون مستنتجة

---

(1) Gerald: M. Phillips & Evgen C. Erickson., Interpersonal Dynamics in The small Groups : Op. Cit., P. 224 .

من «الوسائل» ، أو أن «الوسائل» تكون مستنتجة من «الشروط» ولكنها جميعاً ومن وجهة النظر العضوية التحليلية تكون متميزة، ولا أحد منها يستطيع أن يضع إحساساً في مناقشة «الفعل» بدون إستخدام كل التصورات الاربعة الأخرى[1].

وقد تبني ايضا (تشارلز هدرتون كولى) Chorles H. Cooly هذا المنهج العضوى السيكولوجي فى دراسته للجماعات الاولية من أجل الوصول إلى الدور الذى تلعبه تلك الجماعات فى تشكيل الذات Self أو الطبيعة الانسانية الأولية Humanature(وسوف نعرض لهذا بالتفصيل فى معالجتنا لدى الاسهام الذى قدمه فى هذا المجال)، من خلال ما يحدث بين الفرد والجماعة من تفاعل وتأثير متبادل[2]

(1) Davis, Kingisly . Human Society; Op. Cit.; Pp. 121 - 122.

(٢) نيقولا تيماشيف : نظرية علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٢١٦

خاتمة الباب الأول

خاتمة الباب الأول

بعد عرضنا فى الفصل الاول لحقيقة إتجاه السلوكية الاجتماعية وجذوره فى الفكر الاجتماعى، وبدايات تطوره فى علم الاجتماع. وفى الفصل الثانى – لقضاياه النظرية والمنهجية من خلال : المفاهيم ثم القضايا التى انشغلت بها مداخله النظرية ثم للمداخل المنهجية التى اعتمد عليها علماؤه فى دراسة هذه المفاهيم وتلك القضايا بهدف فهم وتفسير الحياة الاجتماعية . وجاء العرض فى ضوء اسهامات العلماء الأوائل لهذا الاتجاه، وعلماء المدرستين الامريكية والالمانية بوجه عام. يتضح لنا فيما يتعلق بحقيقة وجذور هذا الاتجاه السلوكى فى تاريخ الفكر الاجتماعى أنه كانت له مقدماته وجذوره الواضحة فى الفكر الفلسفى لدى افلاطون وارسطو. وجاء ذلك فى اطار اهتمام فلاسفة الاغريق بوجه عام بالفرد اكثر من الدولة . ثم قمنا باستعراض لتاريخ هذا الاتجاه لدى رواده فى اضافة محاولة للوقوف على اسهاماتهم الجوهرية وذلك بهدف ايضاح نقاط الاتفاق والاختلاف فيما بينهما .

وذلك بغرض الوقوف على مدى الاسهام الذى قدمه هذا المدخل السلوكى متمثلا فى مجهودات رواده الأوائل فى مجال نظرية علم الاجتماع وموضوعاته ومناهجها، ولعله من المهام فى نهاية هذا الفصل الأول الاجابة على سؤال جوهرى يتعلق بتقييم الدور الهام للأفكار الدوركيمية والافكار الفرويدية، وأحكام جابرائيل تارد فى بذوغ هذا الاتجاه النفسى؟ وهل كان هناك إتفاق فى وجهات النظر بين كل من دور كيم وفرويد فيما يتعلق بموضوعات هذا الاتجاه أم أنهما يمثلان قطبى الرحا فى علم التقائهما؟

وتجدر الاشارة إلى أن تطور هذا السلوكية الاجتماعية فى علم الاجتماع قد شهدتها بدايات القرن العشرين بظهور اتجاه اساس فى علم الاجتماع أطلق عليه بعلم الاجتماع النفسى[1] وانعكاس بشكل واضح فى تراث المدرستين الامريكيه

---

(١) نيقولا تيماشيف : نظرية علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص. ٢٠٧ .

والالمانية إلاأننا فى هذه الخاتمة سوف نولى اهتماما لما سبق أن طرحناه وذلك لاعتبارين : أولهما أن العلماء الثلاثة خارج نطاق المدرستين الامريكية والالمانية ، ولما لأفكارهم من أهمية خاصة فى بدايات ظهور هذا الاتجاه النفسى فى علم الاجتماع وثانيهما : أن تقييم اسهام علماء المدرستين الأمريكية والالمانية سوف يلى عرضه خلال فصول الدراسة التالية:

ولقد أعتبر فى هذا الصدد أن هناك سوء فهم فى موقف دور كيم من العلاقة بين علم الاجتماع وعلم النفس، على اعتبار أنه ملك فى تفكيره إهتماما بألا يجب أن يفعل عنم الاجتماع من خلال المستويات السيكولوجية Psychological Levels فى التفسير، وإن كان اهتمامه الرئيسى كان منصب على جعل المشاركة الاجتماعيةSocial association هى الواجهة المركزية للكائنات الانسانية، وحيث يعتبر فى هذا الصدد أن معاشرة الانسان Nan Sociability هى نقطة الالتقاء فى تطور الضمير Conscience ، والاخلاق Marality والعواطف Sentiments ، وأن هذه المشاركة وتلك المعاشرة يجب أن تأتى أولاً وقبل تصور الفرد فى فهم أفعال الناس فى المجتمع، كما أن هذا المجال المتعلق بالضمير الاجتماعى Social Science أو الاخلاق لا يمكن أن يفهم باستخدام المدخل النفسى الفسيولوجى Psycho-Physiological ولكن يحتاج المدخل «الاجتماعى النفسى» Psycho-Physiological approch وهذا يعنى أن دوركيم كان مهتم بتأسيس أن المدخل السيكولوجى فى اعتماده على الاختلافات الفردية الفيزيقية لا يستطيع أن يفسر ظهور الضمير الاجتماعى، والذى يعتبر عنده واجهة مركزية لكل المجتمع الانسانى.[1] .

وانطلاقا من اهتمامه الرئيسى بالمشاركة الاجتماعية، واهتمامه بدراسة الواقع الاجتماعى وجعله الأساس الجوهرى فى فهم وتفسير حياة المجتمع والفرد، نجده

---

(1) Bocock . Robert.: "Emile Durkheim" P. 138.

يشارك الاهتمام القائل بأن الحضارة الحديثة قد فشلت فى تقديم السعادة المنشودة من خلال الفلاسفة الذين ظهروا كنهاية لفترة الاقطاع – وهو فى ذلك يختلف مع وجهة النظر الفرويدية – حيث يرى دوركيم أن هناك امكانية قليلة فى تحقيق السعادة للناس خارج نطاق البناء الاجتماعى المضبوط أو المعيارى Normative social structure ، بمعنى أن «السعادة» هنا تكمن فى إنجاز الأهداف من خلال الواجهات الضبطية للمجتمع، أما «التعاسة» تنبع من الاضطراب فى تتابع الأهداف والغايات ومن الحاجة إلى مجموعة من المثل الواضحة التى تقود نحو متابعة الأهداف، وقد أوضح (روبرت بوكوك) أن (دوركيم) لم يناقش كثيرا محتوى تلك الأهداف والمثل Goolsand Norms» بل كان الشيئ الأهم بالنسبة له يكمن فى مجموعة واضحة من القيم التى تتابعها. أما بالنسبة للنظرية الفرويدية فى هذا الصدد فهى ترى أنه لن تكون هناك سعادة فى تلك البناءات المجتمعة العليا، إذا لم تسمح تلك القيم والمثل بالتعبير عن «الطاقة العريزية» Instinctual Energy ، بمعنى أن (فرويد) فضل مساعدة الفرد على العمل من خلال المثل والأهداف، وعلى أرضية سيكولوجية أكثر من الاتجاه للبناء الحضارى المضبوط Tightly Structured Civilization ، حيث فهمت نظريته على أنها صممت لفهم الطرق التى من خلالها يسبب هذا البناء المثالى عدم السعادة أو التعاسة لتلك الناس المرضى، وحيث أيضا لم

يكن هناك عند دوركيم حل لتلك الأمراض بالنسبة لنموذج فرويد عن وجود الانسان فى المجتمع والذى يشتمل على فكرة «إشباع العرائز والكبت» Instinctual Gratification and Repression والتى أفتقرها دور كيم فى تفكيره.(١)

وإذا كان ما سبق هو الفهم السائد لنظريتى دور كيم وفرويد بإعتبار الأولى يركز على البناء الاجتماعى الذى يعمل من خلال الواجهات المجتمعية المضبوطة

(1) Bocock, Robert: "Emile Le Durkheim" Ibid ; PP 13 - 14

(من مثل واهداف يتابعها الأفراد) ويعتبر الواقع الاجتماعي هو نقطة الانطلاق في فهم السلوك الأفراد والجماعات والحياة الانسانية بوجه عام أما الثاني فيجعل من الفرد ومكونات شخصية بما تحتويه من مكونات شعورية ولا شعورية منطلقا لفهم سلوكه وسلوك الآخرين بل وتفسر لديه الحياه الانسانية ونموها وتغيرها من خلال الطاقات الغريزية الكامنة لديه والتي تدفعه إلي العمل والتعاون. فهل معني هذا أنه ليس هناك نقاط اتفاق في وجهات نظر كل منهما؟ وليس هناك امكانية في الوصول إلي نقطة التقاء بين الأثنين؟ ... وفي اعتقادي أن الاجابة على هذا السؤال تعتبر أساسا جوهريا ومنطلقا لبدايات الاهتماما بهذا الاتجاه النفسي في علم الاجتماع مع بدايات هذا القرن العشرين، حيث أرى أن هناك من الدلالات ما يشير إلي مثل هذا الاتفاق في بعض من وجهات نظرهما : وقد كان منهم (دوركيم) للدور الذى تلعبه الغريزة لعبا هاما جدا في هذا الصدد:

«حقيقة أن الضمير لا يعزو فقط إلا المجال الذى فيه تتوقف الغريزة عن العمل، أو حيث تستطيع الغريزة أن تشيد : فالضمير لا يجعل الغريزة تتقهقر ولكن فقط يملأ الفراغ الذى تتركه الغريزة بل الاكثر من ذلك أنه إذا حدث نكوص للغريزة في عدم اتساعها فهذا يرجع إلي العامل الاجتماعي، نظرا للإختلاف الكبير الذى يفصل بين الانسان والحيوانات ، وهذا هو التطور العظيم للحياة النفسية الذى يأتي من المعاشرة أو الألفة العظيمة.» (١)

وقد أوضح (روبرت بوكوك) عددا من المتشابهات الهامة بين كل من دوركيم وفرويد من خلال تلك العبارة السابقة هي : أولا- أنه بجانب القول العام بأن الانسانيين توجد لديهم بوجه عام غرائز، يوجد لديهم أيضا حصة إضافية تسمي بالألفة أو المعاشرة، والتي لا توجد لدى الحيوانات بنفس الدرجة. ثانيا- يضع فرويد تأكيد متشابه على أهمية الضمير بدرجة كبيرة على أنه نتاج إجتماعي، وكما هو عند دوركيم في نظريته الاخيرة عن الذات العليا

(1) Durkheim, Emile.; The Division of Labour in Society; (trans by) G. Simpson., New York , 1960, p 346.

Super-Ego كما توجد في سيكولوجية الجماعة وإذا كان فرويد قد أستبقى على فكرة إمكانية وجود الصراع بين الدوافع الغريزية والضمير ذلك الصراع الذى يتكون من القيم التى تمثيلها الفرد نتيجة لمشاركاته فى جماعات اجتماعية مختلفة ونظم مختلفة، فهذا الصراع لا يكون مركزيا لدى (دوركيم) ولكن النظريتين تكونا متشابهتان فى إدراكهما للغرائز والطريق الذى تمتطيه بواسطة تطور المجتمع أو الحضارة فى تعبيرات (فرويد). ثالثاً - نجد أن (دوركيم) قد أستخدم لفظ الحياة النفسية Psychic Life لوصف الاختلاف الذى يبدو بين الحيوانات والناس وكنتيجة للمعاشرة الانسانية، وفى نفس الوقت يمكن أن نرى (فرويد) مهتم بتأميد ذلك من خلال فهمه للتعميم الاجتماعى للحياة النفسية والذى يتمثل فى الدوافع الغريزية[1]

وتعقيبا على ما سبق فإن أتفق مع (روبرت بوكوك) فى أن الاهمية التى أعطاها (دوركيم) للمجتمع تكمن فى ادراكه للحقيقة التى ترى أن الأفراد عندما يصبحوا مجتمعين فى تفاعل اجتماعى، وعلى وجه الخصوص عندما يكون تجميعهم من خلال حوادث جمعية كبرى، مثل الثورات السياسية، والعقلية والفنية، والدينية. ومن ثم نتيجة لذلك تكون هناك أفكار ومبادئ جديدة متشكلة وهذا هو الطريق الذى من خلاله تتغير المجتمعات، حيث قال فى هذا الصدد.

«أن العقول الفردية لا تكون منعزلة، ولكن تتداخل وتعمل مع بعضها فى علاقات وثيقة ، فمن تحليلها يظهر نوع جديد من الحياة النفسية، وتلك تكون مميزة بوضوح بكثافتها وقوتها النوعية عن تلك التى تأتى بواسطة الوحدة الفردية. فالعواطف التى تولد وتتطور فى الجماعة تملك طاقة كبرى عن العواطف الفردية الخالصة»[2]

---

(1) Bocock, Robert , "Emile Durkheim" Ibid; P. 38 - 39.
(2) Bocock, Robert , "Emile Durkheim" Ibid; P. 139.

وما سبق يوضح لنا أنه إذا كان دوركيم وهو بصدد مسايرته للعلوم الطبيعية في دراسة الواقع الاجتماعي، ومحاولته تطبيق المنهج الوصفي في دراسة الظواهر المجتمعة على أنها أشياء وخارجه عن الشعور الفردي، بالاضافة إلى أنه تكون ملزمة للأفراد. ويؤكد في هذا الصدد أنه لا يجوز لعلم الاجتماع بحال ما أن يستعي من علم النفس بعض قضايا لكي يطبقها بدون تحوير على الظواهر الاجتماعية التي يجب دراستها في نطاق التفكير الاجتماعي برمته شكلا وموضوعا، حيث يرى في هذا الصدد «أنها تكون نتيجة لمركبات يتم تكوينها خارج شعور كل فرد منا، وليس من الممكن أن تدرك هذه المركبات ولو بصورة غامضة على النحو الذي تدرك به الظواهر النفسية الداخلية»[1]. إلا أننا لا نرى أن دوركيم، قد ذهب بعيدا عن علم النفس، وإن كان شكلا قد أنتقل إلى مستوى آخر يتشكل من مجموع المعتقدات والعواطف الفردية، بل تستخدم نفس المدلولات النفسية لدى (فرويد) من «ضمير» و«الشعور» ، و«اللاشعور» بل أنهما يتشابهان في تحليلهما لمحتوى هذا الضمير من مبادئ ومثل تكون في اطار الحياة الاجتماعية والتفاعل الجماعي. بل أن (دوركيم) في محاولته التزام منهج العلوم الوصفية في دراسته للظواهر الاجتماعية كما هي في الواقع، وعلى وجه التحديد فيما يتعلق بظاهرة الانتحار قد توصل إلى النتيجة التالية:

«أنه بلا شك أن الانتحار لا يحدث إلا إذا كان التركيب الفردي يهيئ له . ولكن القول بأن الحالة الفردية اكثر المفضلات بالنسبة لحدوثه لا بشكل إتجاها أتوماتيكيا (فيما عدا حالة الجنون) .... كما أن يصوره عامة الاستعدادات السيكوباتية النفسية التي تدعى أشكالا مختلفة للانتحار وفقا لامور شخصية ... فهي تبيحه أو تجيزه، ولكن ليس حتما أن تتضمن كل أشكال الانتحار، ولهذا السبب فهي لا تعطي تفسير كافيا له»[2].

---

(١) أميل دوركيم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٣٨.

(1) Durkheim, Emile.; Sucide; Op. Cit., PP. 102 - 103 .

ومن ثم يتضح لنا أن دوركيم لا ينكر الحالات الفردية التي تؤدى إلى الانتحار ولكنه يرفض أن تكون محتواه لكل أشكال الانتحار، وانطلاقا من نظريته التي تمنح الوسط الاجتماعي الدور الاول في فهم وتفسير الظواهر المجتمعية فهو يرى أن الانتحار قد يكون راجع إلى درجة التضامن الاجتماعي أو عدم التوافق الاجتماعي مع المعايير والمثل المجتمعية والتي تكون ماثلة في نطاق الضمير الجمعي.

وفما يمكن لي أن اتفق مع روبرت بوكوك إلى أن هناك نقاط إتصال عديدة بين نظريتي دوركيم وفرويد على نحو ما سبق إيضاحه وإن كانت نقطة الالتقاء الاكثر أهمية ووضوحا في هذا الصدد هي مسألة العلاقة بين «الفرد والمجتمع». حيث يكون اهتمام نظرية فرويد هو تحقيق السعادة في المجتمع الحديث، وهو بهذا يكون ضمن الآباء المؤسسين لعلم الاجتماع وليس خارجا عنهم وإن كانت نظريته قدر ركزت على طبيعة الفرد وضرورة السماح بالتعبير عن طاقاته العزيزية داخل نطاق البناءات المجتمعية، في حين ركز بعض من السيولوجيون بصورة أكثر على بناء المجتمع، اكثر من الفرد . ولكنهم جميعا كانوا مهتمين بالتفاعل بين ذلك الكائن البيولوجي ومجتمعاته، وكان فرويد من أغلب هؤلاء العلماء، وتساءلوا جميعا عن كيفية الحصول على السعادة الايجابية؟ .. ومن ثم ومن خلال هذا الاحساس يكون هناك اتصال مستمر بين وجهة النظر القيمية وبين المجتمع Value Stand Points and Society ، ويوضح (بوكوك) في هذا الصدد أن نظرية التحليل النفسي والعملي عند فرويد يوجد فيها الكثير مما هو اجتماعيا، وأن واحد من الأغراض الكبرى لكثافة «فرويد والمجتمع الحديث» يكمن في أن فهم النظرية في كونها فقط عن الأفراد لا يكون مفسر لها، وأن (فرويد) قد اصبح اكثر دقة في رؤيته للفرد في المجتمع الحديث على اعتبار أنه تجريد من الجماعة السيكولوجية، تلك النتيجة التي يكون لها مضامين بعيدة المدى بالنسبة لفهم نظرية فرويد على أنه اجتماعية، حيث يصبح الفرد مخلوق وليس موجود Credionnata Given وتكون طبيعة تلك العمليات الخالقة رغما عن ذلك

غامضة ويكون كلا الفرد الجماعة ضروريان لتلك العمليات. ومن ثم يمكن لنا في البداية أن نرى نظرية فرويد في كونها اجتماعية في فهمها للفرد كنتاج اجتماعي – تملك افضلية على سيولوجية دوركيم- في كونها قادرة على الخلق والتغير For Creation and For Changing في المجتمعات الانسانية[1] وفي هذه النقطة يرى (بوكوك) أن (فرويد) يكون أقرب إلى ماكس فيبر حيث يلعب الشكل الكاريزمي Charisnatic Figure دوراً مشابها في خلق التغير وأن كان فيبر لم يشيد تلك العمليات الخالقة بنفس هذا الاتساع كما هو عند (فرويد) [2]

وما يؤيد وجهة النظر هذه والتي تتمثل في أن العلاقة بين الفرد والمجتمع كانت محوراً أساسياً ونقطة إتفاق لدى كل من دوركيم وفرويد من فهم الحياة الاجتماعية وتفسيرها، ما ذهب اليه (بارسونز) Parsons في أن الاستنتاج الجوهري في تفكير دوركيم بالنسبة لعالم الاجتماع فيما يتعلق بالرابطة بين الفرد Individual والمجتمع Society ، لا يمكن أن تكون من خلال وجهة نظر الملاحظ للحقائق العلمية، ولكن يجب أن ينظر اليها في نطاق الواجهات الاخلاقية للمجتمع، بمعنى أن تصور الفرد يجب أن يكون في اعتباره ممثلا لقطاعا من النسق الاجتماعي، وعلى وجه التحديد باعتباره ممثلا للواجهة الضبطية «أو المعيارية» Normative والتي تحتوى على المعتقدات والعواطف المشتركة التي تشكل الضمير الجمعي، ومن خلال هذا التصور يرى (بارسونز) أن دوركيم وصل إلى نقطة الالتقاء الهامة مع نظرية (فرويد) والتي تتمثل في أن العناصر الجوهرية في الثقافة والبناءات الاجتماعية تكون مشتركة كجزء من شخصية الفرد[3]

ومن ثم يتضح لنا من خلال التحليلات السابقة للعلاقة بين الفرد والمجتمع، وفي ضوء التحليلات الدوركيمية والفرودية التي لا تنصب على جانب وتهمل الآخر أن نصل إلى نقطة التقاء جوهرية بين علمي «الاجتماع والنفس» في تصور

(1) Bocock, Robert.; Op. Cit.; PP. 14 - 15.
(2) Ibid ; P. 15.
(3) Parsons, Talcot.; Durkheim Emile; Op. cit .; P. 315.

هما لفهم الحياة الانسانية من خلال تلك العلاقة العضوية بين الفرد وجماعته او مجتمعه المنتمي اليه، ومن ثم يكون المنهج العضوى السيكولوجي هو أفضل المناهج المتلائمة لتمثيل تلك الرابطة العضوية لعلاقة التأثير والتأثير بين الشخص وجماعته، بل أن محاولة الفصل بين العلمين في البداية هي محاولة خاطئة كمن يفصل بين «البنية والشجرة» ، أو بين «الطفولة والشيخوخة»، ويبدو وهذا واضحا إذا ما رأينا أن علماء الاجتماع بصورة عامة «قد أصبحوا يتفقون على أن الافعال الانسانية تشكل نظام اجتماعي ، كما يحاول علماء النفس الآن دراسة هذا السلوك الانساني وتفسيره في ضوء إن إشارات علم الاجتماع لنتائج دراسات علم النفس في هذا المجال الاجتماعي، لم يعد مسموحا بها فقط، بل ضروريا»[1] .

كما يتضح لنا أيضا أن نقطة الالتقاء هذه في اهتمام كلا العلمين في دراسة مشاركة الفرد في علاقاته بحياته الاجتماعية ومدى التأثير والتأثير بينهما تمثل المجال الرئيسي لاهتمام علماء هذا الاتجاه النفسي في علم الاجتماع والذى يعتبر من وجهة نظرنا محاولة لربط المجتمع بنقطة بدايته الضرورية ويحاول فهم السلوك الفردى والجماعي وتفسير الحياة الاجتماعية من خلال المتطورات السيكولوجية.

فقد جاء الدور الهام الذى لعبته افكار جبرائيل تارد في بدايات تطور هذا إتجاه السلوكية الاجتماعية في علم الاجتماع من خلال اهتماماته بدراسة العلاقات الاجتماعية بين الأفراد والجماعات الصغيرة وعمله قاضيا إذ كان يتعامل مع جرائم متعددة مما أضفى على نظريته في تفسير التغير الاجتماعي والحياة الاجتماعية واجهة نفسية وقد أعطى للرغبات والعقائد أهمية كبرى في نظريته بجانب المحاكاة والتقليد، والاختراع والتجديد. واعتبر تلك الرغبات والعقائد قوى مسيرة للحياة الاجتماعية، وتنتقل بالمحاكاة من فرد إلى آخر ومن فئة اجتماعية إلى أخرى . وأن الرغبة تعبر عن الميل الذاتي تجاه شيئ ما، أما القيمة فهي تمثل الفكرة المتعلقة بالشئ موضوع الرغبة[2]

(١) نيقولا تيماشيف ، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق ، ص ص ١٦٢ ، ١٦٣.
(٢) أحمد الخشاب ، مرجع سابق ، ص ص ٤٦٩ - ٤٧٠.

ويمكن القول بوجه عام أن تارد يعد أحد الدعائم الرئيسية لمدخل السلوكية الاجتماعية في علم الاجتماع، وكان من أوائل العلماء الذين وضعوا التصورات السيكولوجية أساسا لفهم وتفسير علاقات وسلوك الافراد والجماعات والحياة الاجتماعية بوجه عام. وقد ساعد تارد في بدايات تطور هذا الاتجاه النفسي في علم الاجتماع. وجاءت تصوراته عن التفاعل الاجتماعي ومدى تأثيره على الافراد والجماعات والمجتمع بصورة عامة، لتمدنا بالأسس الجوهرية لظهور السيكولوجية الاجتماعية[1].

وبصدد القضايا النظرية التي تبناها علماء الاتجاه السلوكي واهتموا بدراساتها من خلال مفاهيم سيكولوجية ومعتمدين في ذلك على مداخل منهجية تلائم هذه المفاهيم والقضايا، وانتهينا سابقا من تحديد ابعادها وحصر اهتماماتها. ويمكن القول أن تلك القضايا النظرية التي تناولها علماء الاتجاه النفسي في علم الاجتماع بالدراسة، قد استهدفوا بها تحقيق الفهم والتفسير للمجتمع وظواهره وسلوك أفراده في ضوء المفاهيم النفسية. ولم يقتصر دور علماء الاتجاه النفسي على مشاركة علماء الاجتماع العام اهتماماتهم النظرية والمنهجية ايضا بل كان لهم إسهام واضح تمثل في اضافتهم الى مجال قضايا علم الاجتماع ومناهجه.

ففيما يتعلق بالقضايا النظرية نجد أن بجانب مشاركة هذه الاتجاهات السلوكية في دراسة وتفسير القضايا العامة التي انشغل بها علماء الاجتماع من خلال تصوراتهم النفسية للحياة الاجتماعيه- من قضايا الجماعات، النظم وقضايا التفاعل وقضايا العلاقة بين الفرد والمجتمع أو الوراثة والبيئة في حياة الانسان- نجد أن علماء هذا الاتجاه النفسي قد استخدموا مفاهيم نفسية جديدة لتساهم في تحقيق هذا التفسير ومنها : بناء الذات أو الشخصية والجماعة الأولية ، والتفاعل الرمزي ، وسيكولوجية العقوبة *. ويلاحظ أيضا أنه بجانب استخدام علماء الاتجاه

(1) Klark, Tarry., Op. Cit., P. 313.

* وسوف نتناول القضايا والاساليب المنهجية التي اعتمد عليها علماء الاتجاه النفسي وفقا لاتجاهاتهم النظرية والسياق التاريخي في الفصول القادمة

النفسي للمناهج السائدة في علم الاجتماع، أنه استخداموا منهاج جديد كانت قاصرة على مجال علم النفس ، ويبدو ذلك في دراسة الحالة والقياس الاجتماعي لدى هومانز، والتجربة التخيلية عند فيبر، ومنهج التعاطفي عند فيبر وميد وكولي

وأخيرا وضح أيضا اعتماد اتجاه السلوكية الاجتماعية على قضايا المدخل السيكولوجي بمستوياته الثلاثة : التحليل النفسي ، والنطاق السلوكي، واهتمام نظرية الجشطلت بحيث يمكن لتلك المستويات الثلاثة أن تضفي كثيرا من العمق والوضوح في فهم السلوك او الفعل بوجه خاص، وتثرى مجال تفسيره في نطاق علم الاجتماع بوجه عام.

الباب الثاني
السلوكية الاجتماعية في قضايا علم الاجتماع الأمريكي

الفصل الثالث: الاتجاه النفسي في دراسات شارلز هورتون كولي

الفصل الرابع: السلوكية الاجتماعية في دراسات جورج كوسبار هومانز

الفصل الخامس: السلوكية الاجتماعية لدى جورج هربرت ميد.

الفصل السادس: السلوكية الاجتماعية لدى هارولد جارفنيكل

الباب الثانى

السلوكية الاجتماعية فى قضايا الاجتماع الأمريكى

لقد كانت محاول جعل علم الاجتماع أكثر مشابهة بالعلوم الطبيعية، سببا فى تواجد طابع مميز فى واجهة التفكير السوسيولوجى يعمل على تجنب النماذج السكولوجية فى التفسير Psychological Types . وكذلك تجنب محاولة بارسونز التوفيق بين علم الاجتماع وعلم النفس، من خلال موقفه النقدى داخل اطار المدرسة الأمريكية فى علم الاجتماع [1]. ورغم ذلك أشار بيتر بيرجر وتوماس لوكمان إلى «أنه كانت هناك مطابقة بين البناء الاجتماعى الأمريكى والسيكولوجية، والتى تعتبر متوافقة مع نظرية التحليل النفسى Psychoanatytic. ونظرا اليها على أنها واجهة سيوثقافية عامة وأهم عناصرها اللاشعورية الذى يؤثر فى الأفعال بطريقة لايمكن لسدات الشعورية أن تفهمها بدون المساعدات التفسيرية. وتتمثل تلك المساعدات التفسيرية فى الجنسية التى تعتبر مفتاحا لفهم السلوك الانسانى، والطفولة التى تعتبر مفتاحا للواجهة البيوجرافية الانسانية[2]

فقد كان يسود علم الاجتماع الأمريكى أيضا مشكلات منهجية ونظرية تجاذبت اهتمامات علمائه فمنهم من اعتمد على المنهج الامبريقى الذى يهتم بالأساليب البحثية الفنية المحدودة وزدى هذا إلى كم هائل من البيانات والمؤشرات التى تستخدم لتبرير الواقع والنظام القائم ، ورفض هذا الاتجاه استخدام المنهج التاريخى الذى يمكن من خلاله تفسير حوادث التغير. وقد زدى ذلك رلى ظهور مشكلات نظرية تختلف فى ابتعاد أصحاب الاتجاه الوظيفى فى المقابل، عن الواقع بالتحليق فى أمور مجردة وقضايا غامضة. وذلك بدلا من البحث فى المشكلات الاجتماعية الأساسية داخل سياقها البنائى التاريخى[3].

---

(1) Bocock, Robert., op.cit.,pp. 31 - 32.

(2) Ibid., p, 33.

(٣) عبد الباسط عبد المعطى، اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع. الكويت: عالم المعرفة ١٩٨١ . ص ٢٢٤

ويدعم تلك المطابقة بين البناء الاجتماعي الأمريكي والسيكولوجية. واقع الظروف المجتمعية والثقافية التى كانت سائدة فى نهاية القرن التاسع عشر والتى تمثلت فى صراع الاهتمامات الرأسمالية لرجال الصناعة والأعمال البنكية مع التفكير التقدمي لدى كولي وميد وأصدقائهم من المفكرين اذا أردات تلك الاهتمامات الرأسمالية فى اعتناقها مبدأ دعه يعمل أن تهدم الاحساس الجماعي بالتعاطف والمشاركة ومما دعى كولي وجماعة أصدقائه المفكرين للقيام بتأسيس الجماعة الأولية والاهتمام بدراسة مفهوم الذات، وكذلك تدعيم الحقائق التى تربط تلك الجماعات ككل. وأن الناس جميعا سوف يتعاطفون مع بعضهم البعض كما لو كانوا أعضاء فى أسرة واحدة. وكان كولي وميد وجماعة المفكرين يهدفون من ذلك إلى حماية الفردية من النتائج الشرسة لمبدأ دعه يعمل بالاضافة إلى ربط الفرد بالكل العضوى الذى يعتمد على جميع أجزائه فى اطار الكل الاجتماعي[1] بحيث جاءت اهتمامات هذا الاتجاه النفسي لتساهم في حل مشاكل البناء الاجتماعي الامريكي. بربط الفرد بجماعته الاجتماعية في وحدة عضوية سيكولوجية تسودها التعاطف والمشاركة. وتهدف إلى الحد من عمليات اغتراب الانسان الامريكي، وتزييف وعيه وطبعه باللامبالاة، والقصور فيما يتعلق بالتغير[2].

تيبا على ما انتهى اليه الباحث فى الباب الأول من اهتمام علماء السلوكية الاجتماعية فى علم الاجتماع بدراسة قضايا علم الاجتماع، فى ضوء مفاهيم وأفكار سيكولوجية تقع فى نطاق علم النفس الاجتماعي. ومن ثم الاهتمام بدراسة مشاركةالفرد فى الحياة الاجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعي فى اطار الجماعات والتنظيمات الاجتماعية سنحاول فى هذا «الباب الثاني»، الوقوف على مدى استخدام علماء الأمريكية لمفاهيم هذا السلوكية الاجتماعية فى تناول العديد من القضايا التى تشمل مختلف جوانب الحياة الاجتماعية. وكذلك التعرف على المناهج التى اعتمدوا عليها فى

(1) Coser L.A.. op cit.. p 334

(٢) عبد الباسط عبد المعطى مرجع سابق. ص ٢٢٦

معالجاتهم للموضوعات التي تناولوها في أطار هذا السلوكية الاجتماعية. وذلك بغرض الوقوف على ما أسهم به رواد هذا السلوكية الاجتماعية الأمريكي في مجال موضوع علم الاجتماع ومنهجه ونظريته وسيكون ذلك من خلال دراسات كل من :كولي، وهومانز ، وميد ، وجارفينكل على النحو الذى سنشير إليه في هذا الباب.

الفصل الثالث

السلوكية الاجتماعية في دراسات تشارلز هورتون كولى

٢ - التفسير العضوى السيكولوجي للوقاع الاجتماعي عند كولى

أ- العلاقة بين الفرد والمجتمع

ب- العلاقة بين الوراثة والبية في حياة الانسان

٣- الفهم النفسي السيكولوجي للجماعات الأولية عند كولى

أ- طبيعة وخصائص الجماعات الأوليه

ب- دور الجماعات الأولية فى تشكيل الدات أو الطبيعة الانسانية

١ - معنى وثبات الطبيعة الانسانية

٢ - دورها فى تشكيل الذات الاجتماعية أو المبادىء الأولية

أ- دور الجماعات الأولية فى تشكيل الداب الاجتماعية

ب- دور الجماعات الأولية فى تشكيل المبادىء الاوليه

٤- المعايير السيكولوجية للجماعات الأولية عند كولى

٥- الخاتمة

الفصل الثالث

السلوكية الاجتماعية فى دراسات تشارلز هرتون كولى

Charles Horton Cooly

بالرغم من مشاركة كولى للنزعة التطورية اهتماماتها فيما كتبه عن الوراثة والبيئة فى كتابه الطبيعية الانسانية والنظام الاجتماعى بقوله «أن حياتنا كلها ماضى ولايوجد شيء يحدث بدون اتصال. فكل شيء يحدث أو نفعله جزء من عام يأتى إلينا من الماضى، إلا أنه كان تطورياً من نوع خاص.

ولد كولى (١٨٦٤ - ١٩٢٩) فى مدينة آن أربور بولاية ميشجن Mitchigan الأمريكية. وكان لكتاباته آثار ملحوظة في أمريكا وخاصة علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماع وقد تميزت كتاباته بالاتزان وتلعقه بقيم المجتمع الريفى الأمريكى قبل أن يشهد آثار التصنيع. وتمثلت أعماله الرئيسية في ثلاثة مؤلفات هى: الطبيعة الانسانية والنظام الاجتماعى (١٩٨١) والتنظيم الاجتماعى (١٩٠٩) والعملية الاجتماعية (١٩١٨). كما نشرت بعد وفاته مجموعة من المقالات بعنوان النظرية والبحث الاجتماعى. وعصار كولى الجو الفكرى فى بادية القرن العشرين والذت مخض عن ظهور أتجاه أساسى فى علم الاجتماع أطلق عليه بعلم الاجتماع النفسى. وأصبح كولى من أبرز الباحثين فى هذا الوقت لهذا الاتجاه فى الولايات المتحدة، وقدم مساهمات جوهرية فى هذا المجال الجديد [١]. بل ان كل كلمة نقولها وكل لحظة نعيشها وكل فكرة تأتى الينا وكل احساس يأتى الينا بطريق أو بآخر هو بادية لما قاله أو فكر فيه أو أحسه أجدادنا فى الفترات السابقة. وأنه يوجد بالفعل اتصال تاريخى من حياتهم الينا. ونحن نحاول جاهدين أن نحقق هذا التاريخ لكى نرى كيف تأتى الينا الأشياء ولذلك سنحاول أن نفهم جيدا وربما نستطيع أن نتعلم كيف تحضر الينا الأشياء التى نتوق اليها أو نرغبها [٢].

---

(١) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(1) Cooly. C H., Human Nature and Social order New York: Schoken Books. 1967 p. 3

فقد أوضح تيماشيف أن كولي، كان تطوريا من نوع خاص، ولم يحصر اهتمامه في العملية التطورية التاريخية بالمعنى التقليدى، بل نظر إلى العملية التاريخية من خلال التطور الخاص بالكائن الفردى الاجتماعي أو الذات الاجتماعية. فلم ينظر اليها بصورة تجريدية أو يؤكد على ضرورة تقسيمها إلى مراحل محددة كما هو عند هربرت سبنسر وأوجست كونت. ولكنه اتخذ لنفسه موقفا مثاليا فى ادراكه للواقع الاجتماعى لايتفق مع الغايات الكبرى للنزعة الوضعية المحدثة بل نظر للواقع الاجتماعى على أنه يتكون من أفكارنا الشخصية عن الآخرين. كما حدد مهمة علم الاجتماع في دراسة العلاقات الاجتماعية كما تصورها الأفكار والاتجاهات والعواطف (١).

وبصورة عامة تتضح وجهات نظر كولى فى اطار تصوره لمهمة علم الاجتماع وادراكه للواقع الاجتماعى وعلاقته بنمو الذات الانسانية. اذ يكشف ذلك عن مدى تبنيه للاتجاه العضوى السيكولوجي في دراساته الاجتماعية. وفي محاولتنا التعرف على ما أضافه كولى إلى نظرية علم الاجتماع ومنهجه وموضوعه. وفى اطار اتجاهه العضوى السيكولوجي فى دراسة الواقع الاجتماعي. سوف نعرض بالمناقشة للعلاقة بين الفرد والمجتمع والعلاقة بين الوراثة والبيئة فى حياة الانسان ثم نعرض أيضا من خلال نظريته العضوية السيكولوجية لدور الذى تمارسه الجماعات الأولية فى تشكيل الذات الانسانية. ونعرض لكل من: معنى وثبات الطبيعة الانسانى ثم لدور تلك الجماعات فى تكوين الذات الاجتماعية، وكذلك دورها فى تشكيل المبادىء الأولية وفى النهاية نتناول المعايير النفسية لتلك الجماعات الأولية لدى كولى.

٢- التفسير العضوى السيكولوجى للواقع الاجتماعى عند كولى:

أ- العلاقة بين الفرد والمجتمع:

لقد خصص كولى كتابه الطبيعة الانسانية والنظام الاجتماعى لدراسة تلك الحقيقة المرتبطة بالعلاقة بين الفرد والمجتمع وقال «ان هدفه الرئيسى هو التركيز بشكل

---

(١) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ص ٢٠٧ - ٢١٠.

واضح على دراسة تلك الحقيقة. ومن وجهات نظر متعددة باعتبار أن الفرد يشكل عددا من الكل الاجتماعي (1). كما ذهب أيضا في كتابه العملية الاجتماعية إلى أن المجتمع كائن عضوى وأننا اذا ما وافقنا على وجهة النظر التطورية فيجب أن نرى العلاقة بين الفرد والمجتمع على أنها علاقة عضوية بحيث لايكون الفرد منفصل عن الكل الانسانية ولكنه يوجد كعدد في اطاره، ويستمد حياته من هذا الكل خلال عمليات التحول الوراثي والاجتماعي. ومن هذا المنطلق تملك كلمة عضوى باحساس متسع أن الحياة الكلية تقوم على الاختلافات العديدة بين الأجزاء، والتي يملك كل منها وظيفة خاصة في اطاره (2).

ويتضح من التعريف السابق أن كولى في دراسته للعلاقة بين الفرد والمجتمع بجانب اعتماده على المنهج العضوى، قد اكسب تلك العلاقة واجهة سيكولوجية تتمثل في الاعتماد المتبادل والتأثير من خلال عمليات التحول الوراثي والاجتماعي. بحيث يمكن وصف تلك العلاقة بأنها علاقة عضوية سيكولوجية. وفي مجال البرهنة على أن تلك الواجهة العضوية السيكولوجية تحتوى كلا من وحدة الكل والقيمة المتعلقة بالفرد، وتفسير كل منها من خلال الآخر ضرب كولى مثالين: الأول - يتعلق بمجتمع الجامعة الذي يشكل كل اجتماعي يحتوى الطلاب والمدرسين والموظفين بمعنى أن الكل يسهم في الحياة الكلية لمجتمع الجامعة، مع ملاحظة أن فريسه تختلف في وظيفتها عن الوظائف التي تؤديها الفرديات الأخرى والمثال الثاني - يتعلق بفريق كرة القدم وتساءل عن فائدة الفريق بدون أى عضو فيه، وأيضا عن فائدة أى عضو فيه بدون فريقه. ومن ثم توصل إلى أن النمو الجيد للفرد لايتحقق الا من خلال التنمية الجيدة للكل. وانتهى إلى أن الحياة الانسانية سواء أكانت في واجهتها الفردية أو الاجتماعية تمثل جوهر الحقيقة (3).

ويذهب كولى في شرحه لابعاد تلك العلاقة العضوية السيكولوجية بين الفرد

(1) Cooly, C.H.,op.cit.p 35.

(2) Ibid., p, 35.

(3) Ibid., p. 36.

والمجتمع إلى أنه لايوجد فرق بين الاثنين فى الواقع الا من وجهة نظرنا نحن ومن خلال الطريقة التى نتحدث بها عن المجتمع، أو نستخدم من خلالها أى اصطلاح جمعين – ويتوقف ذلك على الطريقة التى نصب فيها عقولنا سواء فيما يتعلق بالواجهة والكلية للأفراد أو باعتبارهم منفصلين. وضرب أمثلة على ذلك كما هو فى مجلس الوزراء كهيئة متمثلة فى شخصية رئيس المجلس كجنتلمان. وأيضا فى ادراكنا للزوايا المختلفة التى تقوم عليها الصورة، بمعنى أننا اذا نظرنا للصورة ككل لن ندرك تلك الزوايا المختلفة للألوان الخاصة بالأجزاء (١).

ويبدو أن كولى أراد أن ينتهى إلى مسلمة مؤداها أنه لايوجد تعارض بين نظريته العضوية السيكولوجية للعلاقة بين الفرد والمجتمع، وبين رؤيتنا للمجتمع أو الجماعة كشىء مختلف عن الأعداد المكونة له. ويأتى ذلك فى ضوء ما انتهى اليه كولى سابقا من أن الحياة الكلية تقوم على الاختلافات الفردية العديدة، والتى يملك كل منها وظيفة خاصة فى اطار الكل العضوى السيكولوجى.

ولقد ترتب على اعتبار أن الفرد لايملك وجودا منفصلا عن كلا اطاريه الوراثى والاجتماعى – واعتبار نفسه جزء من الكل الاجتماعى فى الوقت الذى يشكل فيه المجتمع جزءا من الأفراد – أن رأى كولى أن هناك مغالطة فى القول الشائع «الذى يضع الاجتماعى والفردى عكس الآخر. واعتبارهما منفصلين بوجهة نظرا انطولوجية» (٢) وأوضح كولى فى هذا الصدد انه لم يجد مايجعله ينظر إلى الواجهة الفردية على انها مسابقة على الواجهة الجمعية. اذ كان سائد من خلال الاعتقاد

---

(١) يفرق كولى بين هيئة مجلس الوزراء The Cabinent باعتباره يتكون من رئيس الوزراء والأعضاء والموظفين والسكرتارية، وبين شخصية رئيس المجلس Genterlman حينما ينظر إليه باعتباره منفصلا عن المجلس

- Cooly, C.H. Ibid.p. 37.

(٢) ويعنى كولى بوجهة النظر الأنطولوجية أن هناك الكثيرون ينظرون إلى تلك العلاقة على أنها أكثر أو أقل تناقضا بل الأكثرية يعتبرون أن الأفراد سابقين على المجتمع ويجعلون منهم مادة مسلم بها كمجال للدراسة. ولكن المجتمع يجعل الأفراد يضربون فى العديد من البدايات الظنية.

Cooly. C.H. op.cit .p. 38.

العام أن الواجهة الفردية تكون ملموسة، بينما حيوية الجماعات تكون مدركة فقط عن طريق النشاط والتصورات. ومن ثم أولى اهتماما إلى كلا الاثنين وأعتبر أنهما يملكان وجودهما معا بجانب بعضهم البعض، ويمثلان واجهات تامة لشيء واحد يوجد في داخل كل منهما [1]

وهكذا توصل كولى إلى أن «الحياة الانسانية تملك عناصر الوحدة الضرورية. وأن حياة النوع الانسانى مثل بقية الأنواع الأخرى يجب أن تشتمل على كل من العمومية والخصوصية. وذلك باعتبار أن الطبيعة الانسانية تكون مقسمة مابين الفردية وتملك الميول الاجتماعية وبالتالى كان هناك عواطف اجتماعية مثل الحب، وعواطف أخرى فردية غير اجتماعية مثل الخوف والغضب [2].

ويتضح لنا من هذه القضية أن كولى أراد أن يصل إلى نوع من الوحدة العضوية السيكولوجية لحياة النوع الانسانى، وبحيث تعتمد هذه الوحدة على كلا جانبيها الفردى والاجتماعى. وبالتالى أراد أن يفسر حياة النوع الانسانى داخل مجتمعه الأمريكى، ومن خلال منهجه العضوى ونظريته السيكولوجية. وأعتبر أن تلك الوحدة تشكل مزيج عضوى سيكولوجى يعتمد على كلا نوعى الفردية والاجتماعية، ولاتقوم له قائمة على أحد الاثنين فقط. وقد أعتمد كولى في دراسته لتلك القضية النظرية الكبرى التى شغلت جوهر اهتمامه على «منهج الفهم التعاطفى والمشاركة الوجدانية» [3].

وفى نهاية الحديث عن العلاقة بين الفرد والمجتمع أراد كولى أن يضفى عليها نوعا من الوضوح، باعتبارها قضية نظرة شغلت مساحة واسعة في اطار نظريته العضوية

---

(1) Cooly, C.H., op.cit.p 45.

(٢) أوضح كولى أنه اذا طبقنا كلمة اجتماعى Social على الأشكال الاجتماعية العليا يكون معروف أنها تكون عكس ماهو فردى Individnal بل وأيضا عكس ماهو مختص بالغرائز.

- Cooly, C.H. op.cit .p. 76.

(٣) منهج الفهم التعاطفى أو المشاركة الوجدانية هو منهج سيكولوجى اعتمد عليه كولى في دراسته لقضاياه النظرية التى اهتم بدراستها وقد أشرنا إلى ذلك في الباب الأول.

منهج السيكولوجي. ولذلك قدم العديد من الأسئلة وأوضح كيفية الاجابة عليها على النحو التالي:

أولاً: أليس المجتمع يقوم على الأفراد وليس هناك شيئا آخر غير ذلك؟ ثانيا: هل المجتمع شيئا أكثر من مجموع الأفراد؟ ويرى أن اجابتنا على السؤالين من خلال الاحساس العام تكون بنعم. لأن العمليات الاجتماعية داخل التنظيم الاجتماعي أو أي كل اجتماعي لانستطيع أن نراها في حالة انفصال عن الأفراد. واذا ماحاولنا دراسة الأفراد منفصلين فسوف نقود أنفسنا إلى الضلال. ثالثا: هل الفرد ينتج عن المجتمع؟ ويجيب بأن كل شيء انسان له تاريخه في الماضي الاجتماعي. وبالتالي يكون المصدرين الذين عن طريقهما تتشكل حياته هما: الوراثة والانصال الاجتماعي وأن مايحصل عليه الفرد عن طريق الوراثة يجب أن يتواءم مع المجتمع القديم حتى يستمر في البقاء. رابعا. هل يمكن لنا أن نفصل الفرد عن المجتمع؟ ويرى أن ذلك يحدث في حالات عارضة فقط، لأن الفرد اذا ذهب إلى صحراء جرداء يصاحبه عقل مكون في مجتمع. كما تكون مخالطاته الاجتماعية موجودة في ذاكرته وهو مايجعل الانسانية تعيش مع الفرد وبداخله. أما في حالة فقدان الانسان القدرة على المعاشرة فان عقله يتخور وضرب كولي مثلا على ذلك بأن الوحدة غالبا ماينتج عنها البلادة والغباوة، وكما هو في رعي سرب الغنم في المناطق الصحراوية النائية وعلى الخصوص لغير المتعلمين. خامسا: هل الفرد وفقا لأي احساس يعتبر حرا أم هو جزء من المجتمع؟ ويرى كولي أن الفرد يكون حرا. ويعتبر أن حريته هي حرية عضوية Organic Freedom بتعاونه مع الآخرين وهذا يعني أنه يلعب دوره كما لو كانت الحياة تلقى به في داخلها [1].

ومن خلال الاجابات السابقة يتضح مدى تأكيد كولي على العلاقة العضوية السيكولوجية بين الفرد والمجتمع، وأيضا تدعيم الاعتماد المتبادل بين الطرفين. بل ويرى «أن المفاضلة بينهما كمن يفاضل بين أسبقية المادة على الروح والمكس

(1) Cooly, C.H., op.cit.pp. 37 - 50.

بالعكس [1]. وأخيـر يمكن الانفاق مع كولى فى تأكيد تلك الواجهة العضوية السيكولوجية فى دراسته لقضية العلاقة بين الفرد والمجتمع. وان كنت أرى أيضا أن هناك مايدعم تلك الوحدة الكلية للعلاقة العضوية السيكولوجية فى مجالات العلاقات بين الدول. فالبرغ من اختلاف الوظائف التى تشكل سمات معينة لكل دولة، الا أن هذا الاختلاف يأتى فى إطار الكل الانسانى العضوى السيكولوجي المتكامل. والذى يؤدى إلى اشباع الرغبات وسد الاحتياجات بوجه عام، والتى لايمكن أن تنهض بها الوظائف الفردية لكل دولة على حدها.

ب- العلاقة بين الوراثة والبيئة فى حياة الانسان:

يأتى اهتمام كولى بدراسة قضية العلاقة بين الوراثة والبيئة فى عصره ضمن اهتماماته النظرية. كما يمثل فى الواقع تطورا فى اهتمامه بدراسة القضية الجوهرية للعلاقة بين الفرد والمجتمع، ويعد أيضا تدعيماً لها من خلال محاولته فهمها وتفسيرها فى اطار نظريته العضوية السيكولوجية. وقد بدأ كولى دراسته وتفسيره لتلك العلاقة بتساؤله عن أولوية الوراثة أم البيئة فى تحديد السلوك الانسانى. وقال «انه يوجد مجرى وطريق ممتدان بطول الشاطىء، ويمثلان خطى من خطوط النقل والاتصال. والمجرى يمثل الوراثة أو النقل الحيوانى، أما الطريق فيمثل البيئة أو الاتصال و«الأول» يتدفق من جرثومة البلادما و«الثانى» يأتى بطريق اللغة والجنس والتعليم» . [2]

ونرى من هذا التعريف أن كولى حدد قنوات الوراثة فى حياة الانسان بالمجرى الذى يحمل صفات الآباء والأجداد. وتلك الصفات يرى أنها تتدعم وتنمو من خلال الطريق الممتد بجوار المجرى، اذ يمثل هذا الطريق العنصر الاجتماعى فى حياة الفرد. وهنا تتضح العلاقة السيكولوجية فى فهم كولى لطبيعة العلاقة بين الوراثة والبيئة فى اطار اتجاهه العضوى السيكولوجية. وقد أوضح فى هذا الصدد أن حصولنا على هذا الارث الحيوانى يأتى من خلال قابلية الفرد للتأثير باللمس ونغمات الصوت

(١) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ص ٢١١.

(2) Cooly, C.H., op.cit.p.4.

والاشارات التعبيرية. ثم أخيرا يأتي العنصر الاجتماعي ويدعم تلك الجوانب الوراثية من خلال الفهم التدريجي بواسطة الكلام في نطاق الأسرة مع رفقاء اللعب. وأيضا بواسطة الكلام في نطاق الأسرة مع رفقاء اللعب وأيضا بواسطة الأشياء التي تتعلمها من كبار السن وتنتقل عن الأسلاف إلى الأجداد في التاريخ الانساني [1].

وتتضح أيضا تلك العلاقة العضوية السيكولوجية في فهم كولي للعلاقة بين الوراثة والبيئة في حياة الانسان، من خلال ماذهب اليه في كتابه التنظيم الاجتماع «من أن الطفل منذ أن يولد يكون تأثير المجتمع واضح عليه. ويتمثل ذلك التأثر في ضعف عامل الوراثة بالنسبة لعامل التقاليد والاتصال الاجتماعي. حيث يكون الطفل في تلك الفترة مجرد فردية بيولوجية في مقارنته بالكل الاجتماعي الذي ينزل اليه [2] ويدعم تلك العلاقة العضوية السيكولوجية بين الوراثة والبيئة وتأثيرهما في حياة الانسان، ما ذهب اليه ارمان كوفيليه من أن كولي كان يتفق مع تشارلز ألود في تأكيدهما على أن الفردية ما هي الا جزء من كل أكثر اتساعا. وأن محتوى الشعور لتلك الروح الفردية يأتي بصفة خاصة من الوراثة والبيئه [3]

وبصدد ايضاح درجة التفاعل بين خطي الوراثة والبيئة في اطار علاقة التأثير السيكولوجي. أورد كولي مثال مؤداه: «أن أسرة أمريكية بالصين تبنت طفلا وأحضرته ينمو في أمريكا. فسوف يبقى تاريخ الحياة الحيوانية للطفل صينيا، ويتمثل في امتلاكه الشعر الأسود المستقيم والبشرة الصينية الصفراء والاتجاهات العقلية التي تشكل جزءا من وراثتهم. أما تاريخه الاجتماعي سيكون أمريكيا. وسوف يُحصل على ممن حوله على اللغة الانجليزية والعادات والأساليب والمبادىء التي تنمى في البلاد بل سيتشرب السياسة والديانة والتعليم والنظم الاقتصادية الأمريكية، بحيث يكون عقله الكلي عقل أمريكي. وبالتالي يمكن القول المجري الصيني والطريق الأمريكي أصبحا يلتقيان في حياة الطفل [4].

---

(1) Cooly, C.H., Hman Nature and Social Order Ibid, pp. 4-5.

(2) Cooly, C.H.Social Organization. New York: Schooken Books, 1909.p. 315.

(٣) ارمان كوفيليه، مقدمة في علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٥٥.

(4) Cooly, Hman Nature and Social Order, op. cit.p.6.

وذهب كولى فى تحديده درجة التفاعل فى هذا الصدد من خلال نظريته العضوية ومنهجه السيكولوجى. وحاول الاجابة عما اذا كان هناك تأثير للأسلوب حياتنا فى التغيير والتعديل فى الصفات الوراثية؟ أم أننا نتنقل بكاملنا إلى أطفالنا؟ وكانت دعوى النظرية المادية فى هذا الصدد لاترى امكانية التحسن فى مستقبل العوامل الوراثية، والتى تأتى الينا الأفراد فقد كما تحمل التفاحة البذرة، وأنه لادخل لأساليب التنشئة الاجتماعية فيها. وأوضح كولى أن أحدا لايستطيع القول أننا نمتلك نفس الصفات الوراثية لمجرد أننا نرجع إلى أصل وراثى واحد. بل ان هناك امكانية لتأثير أساليب الحياة الاجتماعية على العوامل الوراثية فاذا ما لاحظنا أخوين أحدهما متعلم داخل الجامعة والآخر غير متعلم، فلايمكن أن يوجد لديهما نفس النضج فى الشخصية، لا لشىء الا أنهما يرجعان إلى مصدر وراثى واحد [١].

كما ذهب كولى فى تحديده للعلاقة العضوية السيكولوجية بين الوراثة والبيئة إلى «أنه حينما تبدأ حياتنا الفردية بالمقدمتين التاريخيتين التى من خلالهما تتعادل الصفات الوراثية والبيئية، والتى تندمج فى كل جديد وتنهى وجودها كقوى منفصلة فلايوجد مايدل على أن الفرد يكون منسوب إلى أحد الاثنين الوراثة أم البيئة لأن كل شىء يمر خلال الخبرة والطبع. بحيث يختلط الاثنان وتصبح الوراثة والبيئة يمثلان مجال واقعى للوجود الانسانى فأفكار مجردة، ويكون الشىء الواقعى هو حاصل جمع عمليات عضوية ليست منفصلة الأجزاء [٢].

وينتهى كولى فى معالجته النظرية لقضية العلاقة العضوية السيكولوجية الواضحة بين الوراثة والبيئة إلى أنه أصبح من الخطأ فى الحديث العام النظر إلى البيئة الاجتماعية والوراثة على أنهما أعداء، بل هما مكملان لبعضهما. اذ يملك كل منهما عمله الخاص ولافائدة لأى منهما بدون الآخر وأصبح السؤال عن أيهما أكثر فائدة وكفاءة؟ سؤال عقيم كمن يسأل عما هو أكثر أهمية فى أفراد الأسرة الأب أم الأم؟ لأن كلاهما يمكن أن يقال عن أهميته المطلقة، بالاضافة إلى أن وظائفهما

(1) Cooly, Hman Nature and Social Order, op. cit.p.8.

(2) Cooly, Ibid., p.15.

تكون مختلفة فى النوع ولكنها لاتتقارن من حيث الحجم [١].

ويتضح مما سبق مدى اعتماد كولى فى دراسته للعلاقة بين الوراثة والبيئة، على منهج الفهم التعاطفى السيكولوجى بجانب المنهج العضوى. والذى يعكس مدى الاعتماد المتبادل بين الصفات الوراثية والبيئية فى حياة الوجود الانسانى بحيث لايمكن القول بأسبقية أى منهما أو الأفضلية لأى منهما، أو أن هناك تأثير من طرف واحد على حياة الفرد يغلب على الجانب الآخر. فالعلاقة بينهما هى علاقة تكامل عضوى سيكولوجى يأخذ صورة صب التيارات فى مجرى واحد هو حياة الفرد. ويمكن القول أن حياة الوجود الانسانى تأخذ طريقها الانسانى بعد أن تقدم الوراثة للبيئة المادة الخام بما تحتوى من مواهب عقلية وميول فطرية. ثم تتلقفها البيئة بالرعاية والتهذيب من خلال أساليب الرعاية الاجتماعية، وأنساق ونظم المجتمع وعاداته وتقاليده، حتى تصل إلى مرحلة النضج الاجتماعى التام.

٣- الفهم السيكولوجى للجماعات الأولية عند كولى:

لقى الاهتمام بدراسة الجماعات الأولية ترحيبا فى فترة مابين الحربين العالميتين وجاء ذلك فى اطار العديد من الافتراضات التى تهتم بسيكولوجية الفرد، وتتجه نحو التجريب تحت شروط معينة. ولكن كانت هناك حيطة فى استخدام القوانين السيكولوجية الخاصة بالجماعات الصغيرة فقط. كما كانت هناك رغبة أيضا فى عدم توسيع نطاقها، لأن هناك من حاول من علماء الاجتماع النفسى أن يجعلها تشمل التراث الاجتماعى بأشمله [٢]. وسوف تشمل معالجتنا للفهم النفسى للجماعات الأولية لدى كولى كل من: طبيعة وخصائص تلك الجماعات الأولية. ودورها فى تشكيل الذات أو الطبيعة الانسانية، وأيضا المثاليات أو المبادىء الأولية. ثم أخيرا للمقاييس النفسية لتلك الجماعات الأولية وذلك على النحو التالى:

---

(1) Cooly, Hman Nature and Social Order, op. cit.p.17.

(2) Coser and Rosenberg, Sociological Theory . New York: Macmillan Company, 1957.p. 310.

(أ) طبيعة وخصائص الجماعات الأولى:

يأتى اهتمامنا بدراسة طبيعة وخصائص الجماعات الأولية لدى كولى، لما لهذا المفهوم من أهمية كبرى فى نظريته الاجتماعية العضوية السيكولوجية. والتى تناول من خلالها دراسة الذات أو الطبيعة الانسانية وتطورها فى اطار التفاعل الاجتماعى، فقد «أكد كولى دور الجماعات الأولية، والتفاعل الاجتماعى وبخاصة الاتصال فى نشأة الشخصية ونموها» [١].

وسوف نحاول الوقوف على الخصائص السيكولوجية لمفهوم الجماعات الأولية عن كودلى والذى منحه دورا هاما فى فهم الشخصية الانسانية ونموها فى اطار نظريته العضوية السيكولوجية ولقد عرف مفهوم الجماعة الأولية فى كتابات كولى، ممهدا الطريق لعلماء الاجتماع الأمريكان وعلماء النفس الاجتماعى لاستخدامه فيما بعد. وأشار من خلاله لطبيعة وخصائص الجماعات الأولية، وحدد تلك الخصائص بأوجه التعاطف المألوفة والمباشرة وجها لوجه. والتى تبدو فى المشاركات والتعاون فى هيئة جماعة كالأسرة، واللعب، والجوانب والقرابة [٢].

كما حدد كولى فكرته عن الجماعات الأولية فى كتابه التنظيم الاجتماعى (١٠٩) «بأنها عبارة عن جماعات الوجه للوجه حيث تقوم علاقات المواجهة المباشرة بين الأشخاص. وتذوب الفرديات فى كلمة نحن، على اعتبار أن شخصية الفرد هى نتاج لحياة الجماعة. وبذلك يكون المجتمع والفرد مظهران لحقيقة نفسية واحدة [٣]. ولقد ذهب كولى أيضا فى ايضاحه لمكانه وخصائص تلك الجماعات الأولية، على أنها تمثل الوسائل الأولية فى المشاركات، كما تقوم بنقل الثقافة. وأوضح أن تلك الوظيفتين تبدو متباعدتين. وأن من يعتقد بالفعل فى ذلك، فهذا يرجع إلى اسرافه فى التفسير الأحادى الذى يفسر السلوك أو الطبيعة الانسانية من زاوية واحدة [٤].

---

(١) نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢١٣.

(2) Coser and Rosenberg. Sociological Theory . op.cit.p. 309.

(٣) ارمان كوفيليه، مرجع سابق، ص ٥٥.

(4) Coser and Rosenberg, op.cit.p. 310.

ويلاحظ مما سبق أن فهم كولى لطبيعة وخصائص الجماعات الأولية والتى تشكل اطارا لمفهومها، هو فهم عضوى سيكولوجي يعتمد على علاقات المواجهة المباشرة بين الفرديات. بحيث تبدو المشاركات والعواطف مزلوفة ومباشرة وتذوب الفرديات فى عشور النحن وهذه تمثل صفات نفسية لخصائص تلك الجماعات. ويتضح لنا فهمه العضوى لتلك الخصائص على اعتبار أنها تتخض بمهمتين مترابطتين هما: أنها تمثل الوسائل الأولية للمشاركات، وأيضا تقوم بنقل الثقافة فى نفس الوقت. وقد ذهب كولى فى ايضاحه للبعد النفسى لاحدى خصائص الجماعات الأولية من أن المودة والوفاء لحق الجوار أصبح له بعد هام فى حياتنا. وذلك بعد أن اتسعت شبكة العلاقات والتفاعلات اليومية وأصبحنا غرباء حتى بالنسبة للذين يعيشون معنا فى منزل واحد. بل حاول الارتقاء بخاصية المودة والوفاء لحق الجوار وتطبيقها فى مجال العلاقات الدولية [(١)].

ويبدو أن خاصية الأولية التى منحها كولى لتلك الجماعات وبما تحتويه من خاصئص نفسية تعد عاملا هاما فى فهمه للدور الذى يمكن أن يلعبه مفهوم الجماعات الأولية فى نظريته العضوية السيكولوجية فهى أولية عنده لأنها تمثل تعبيرا عن الطبيعة العامة، فالديانة والحكومة الخاصة بنا يمكن أن تبدو مختلفة عن ديانات ومكونات أخرى، ولكن الطفل فى جماعة الأسرة يرتدى أى الحياة العامة فى بلده من حكومة وديانة، ومن ثم يمكن أن تتشكل ذواتنا فى المنزل [(٢)].

ونتنهى مما سبق إلى أن خاصية الأولية التى منحها كولى للجماعات الأولية ترتبط ارتباطا وثيقا بفهمه النفسى لخصائصها التى تتصف بها. وبالتالى منهج تلك الخصائص دورا هاما فى تفسيره لنمو الشخصية أو الطبيعة الانسانية فهى تمثل الوسائل الأولية فى المشاركات بين الأفراد، وبالتالى تشكل طبيعتهم الانسانية فى أى زمان وفى أى مكان، لأنها تزودهم بالمبادىء والمثاليات الأولية. والتى تتنوع باختلاف

---

(1) Cooly., "Primary Group", En Coser and Rosenberg (eds) Sociological Theory,op.cit., pp. 312 - 313.

(2) Cooly., "Primary Group" Ibid., p. 314.

الديانات والحضارات ونظم الحكم - كما أنها تمثل وسائل لنقل الثقافة أيضا. ويأتى اضطلاعها بتلك المهام السابقة فى اطار أنها لاتتعرض للتغير بنفس المستوى الذى يحدث للعلاقات القديمة، كما أنها لاتكون مستقلة عن اطار المجتمع الكبير الذى توجد بداخله.

(ب) دور الجماعات الأولية فى تشكيل الذات أو الطبيعة الانسانية

بعد أن وقفنا على أن طبيعة مفهوم الجماعات الأولية لدى كولى ينهض على خصائص نفسية تمثل المنبع الدائم للوجود الانسانى، ننتقل الآن إلى محاولة الوقوف على الدور الذى يمكن أن تقوم به تلك الجماعات الأولية فيما يتعلق بتكوين وتطور لشخصية أو الذات الانسانية من خلال خصائصها النفسية على النحو التالى:

١- معنى وثبات الطبيعة الانسانية:

يأتى تحديد كولى معنى الطبيعة الانسانية فى ضوء الخصائص الجوهرية التى تتميز بها الجماعات الأولية، اذ يؤكد فى هذا الصدد أن مايحدث بداخل تلك الجماعات الأولية من عمليات تتمثل فى التعاون والوفاء والتقليد والحب والمساعدة، وهى فى جوهرها عمليات نفسية تشكل خصائص جوهرية لتلك الجماعات الأولية. كما حدد اطار تلك العمليات النفسية بثقافة المجتمع الذى تشكل تلك الجماعات جزءا منه، بحيث تلعب هذه الخصائص الدور الأكثر أهمية فى نمو الشخصية الانسانية داخل الجماعات الأولية (١).

وكان كولى يعتقد بأنه يمكن لنا فهم تكوين الدوافع والميول من خلال الطبيعة الانسانية بمعناها الواسع، والذى لايخص سلالة معينة فى وقت معين بمعنى أنه يرى أن الطبيعة الانسانية يمكن أن تتخذ أساسا دائما وثابتا للمقارنة فى المجتمع. ويأتى ذلك فى ضوء اشتمالها على التعاطف وميول الحب والاستياء والغضب والطموح والغرور وتقديس الشجاعة وأخيرا الاحساس بالصواب أو بالخطأ الاجتماعى (٢).

---

(1) Wlkines, E.J., op.cit.,pp. 97 - 98.

(2) Cooly, Social Organization. op .cit., pp. 28 - 29.

كما ذهب كولى أيضا فى تحديده لمعنى الذات أو الطبيعة الانسانية إلى مدلولات عديدة مثل: ذات الجماعة أو طبيعة الجماعة، أو الواجهة الرئيسية للمجتمع أو الحالة العامة للعقل العام. وجاء تحديده لتلك المدلولات في اطار احتوائها على مايولد معنا من غرائزه بجانب قيامها أيضا بالدور الهائل فى نمو المبادىء والميول والعواطف والأحاسيس التى تصنع النظم ويعبر عنها فى جماعات المواجهة المباشرة، وأوضح كولى أن تلك الجماعات المباشرة تتشابه إلى حد ما فى كل المجمعات وتتمثل فى جماعات: الأسرة واللعب والجوار [1]. وقال كولى فى هذا الصدد «أن الطبيعة الانسانية تأتى إلى الوجود ولايحصل عليها الانسان ولايمتلكها بالمولد، اذ لايمكن أن يمتلكها الانسان الا من خلال الصداقة والمشاركة [2].

ويتضح لنا مدى الدور الهام الذى تلعبه الجماعات الأولية فى تفكيز كولى فى تكوين الطبيعة الانسانية وتطورها، اذ لايكون لواجهتها الفردية كبير فائدة ما لم تدخل فى علاقات المشاركة مثل: الصداقة والتعاون والجوار واللعب والأسرة. أى فى اطار الجماعات الأولية وما تحتويه من خصائص نفسية تمنح الشخصية أو الذات الانسانية معناها وثباتها. وتتمثل تلك الخصائص النفسية الأولية فى: المبادىء والعواطف، والأفكار والأحاسيس المشتركة فى العقل الانسانى للأفراد والجماعة. وقال كولى بصدد هذه الحالة من المشاركة أنه حينما توجد الحقيقة الفردية، يمكن أن نحصل على الحقيقة الاجتماعية التى توجد معها [3].

وننتهى مما سبق إلى أن كولى عرف مفهوم الجماعة الأولية فى ضوء خصائصها النفسية. كما ربط استخدامه لهذا المفهوم فى علم الاجتماع، بالدور الذى يلعبه من خلال خصائصه النفسية فى تشكيل الذات أو الطبيعة الانسانية والتى لاتصل إلى وحدتها الكاملة الا فى ضوء الجماعة الأولية التى تنتمى اليها. كما يمثل مفهوم الجماعة الزولية لدى كولى اسهما نظريا فى مجال علم الاجتماع، وقد

---

(1) Cooly. Social Organization. op .cit., p. 29.

(2) Ibid.p. 30.

(3) Ibid.p. 31.

جاء في ضوء تبنيه لوجهة النظر العضوية السيكولوجية والتي ميزت اتجاهه النظرى بوجه عام. كما أعتمد في ذلك على منهج سيكولوجى يدعو إلى الفهم التعاطفى ويمارسه، ويذهب إلى أن التماطف أمر ضرورى فى أى بحث سوسيولوجى [١].

وقد تطور اهتمام علماء الاجتماع فيما بعد بدراسة مفهوم الجماعات الأولية بعد كولى «بالرغم من أن معالجته للجماعات الأولية ظلت اضافة جوهرية لعلم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى. كما أصبحت مقولة أساسية فى تصنيف نماذج الجماعات الاجتماعية [٢] وأمكن لعلماء الاجتماع فيما بعد وعلى ضوء استخدام كولى لمفهوم الجماعة الأولية «أن يضيفوا مفهوم الجماعة الثانوية المتميزة بعكس السمات التى وضعها كولى للجماعة الأولية» [٣] وقد ميز علماء الاجتماع تلك الجماعة الثانوية كما يشير فيبر فى هذا الصدد «بأنها تشير إلى وسائل الاتصال الغير مباشرة بين الأفراد كما هو فى جماعة الأخيار مثلا» [٤].

والواقع أن مفهوم الجماعة الأولية لدى كولى ارتبط بدراسة مفاهيم أخرى مثل الذات Self والشعور بالـ (نحن) We. وذلك باعتبار أن السمات النفسية التى تشكل خصائص لمفهوم الجماعة الأولية، تلعب دورا مهما فى تشكيل الذات أو الطبيعة الانسانية بكلا اطاريها الفردى والاجتماعى. ولقد ذهب كولى فى هذا الصدد «إلى أن العلاقة بينهما تمثل واجهات غير منفصلة لكل واحد. ومن ثم يجب علينا النظر إلى الانسانية ككل نفسى بدلا من الفصل المصطنع. ويتضح ذلك فى اطار استخدامنا لمنهج الفهم التعاطفى فى استرجاع خبراتنا، ومحاولة الاجابة على أسئلة مثل: ماذا يوجد فى حياتنا ويشكل جماعات الأسرة والصداقة؟ وماذا نعرف عن الشعور بالـ (نحن)؟ ورأى كولى أن التفكير بهذه الطريقة يمكن أن يساعدنا على الوصول إلى

---

(١) نقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢١٧.

(٢) المرجع السابق، ص ٢١٦.

(٣) عريب سيد أحمد، ص ١٧٨.

(4) Fairs. E.H., "The Primary Group". In Coser and Rosenberg. (eds) Sociological Theory. op. cit., p. 315.

شعور ثابت عن الذات Self أو الشعور بالـ (نحن)We والمبادىء الأولية Primary Idials .[1]

(٢) دور الجماعات الأولية فى تشكيل الذات الاجتماعية والمبادىء الأولية:

نحاول الآن الوقوف على الطريقة التى يتشكل بها مفهوم الذات الاجتماعية منذ بدايتها الفردية وحتى تصل إلى وحدتها الكاملة فى اطار الجماعة التى تنتمى اليها، وأيضا كيفية استخدام كولى لمفهوم الذات الاجتماعية فى معالجته النظرية لقضايا علم الاجتماع، ثم تطور استخدام مفهوم الذات الاجتماعية. وأخيرا نعرض لدور الذات الاجتماعية فى تشكيل المبادىء الأولية.

أ- دورها فى تشكيل الذات الاجتماعية:

يرى كولى أن الذات Self يشار اليها في بساطة فى الحديث العام بتلك الضمائر الدالة على الشخص الفرد My, Mine, Me, My Self .[2] وأوضح أنه سيهتم بمناقشة مايطلق عليه السيكولوجيون الذات الامبريقية Empirical Self والتى تمثل حقيقة سيكولوجية يمكن ادراكها بسهولة من خلال الملاحظة المنظمة، وأنه سيضيف عليها لفظة اجتماعى Social فى اطار اهتمامه بواجهتها الاجتماعية فى معالجته. وكان كولى يعتمد فى ذلك على منهج الملاحظة المنظمة بجانب الحدس فى ادراكه لحقائق الحياة الاجتماعية [3].

وقد ذهب كولى فى تحليله لطريقة تشكيل الذات الاجتماعة إلى «أن هناك نوعا من الاحساس يوجد لدى الشخص ويطلق عليه الاحساسا الذاتى Self Feeling، ويعبر عنه بالضمائر I, Mine [4] ووصف كولى هذا الاحساس بأنه يتصف بالغريزية وحب التملك ويوجد لدى الشخص منذ ولادته مثل بقية الأفكار الغريزية. ويمكن أن

---

(1) Cooly, Social Organization. op .cit., p. 31.

(2) Cooly, Hman Nature and Social Order, op. cit.p.168.

(3) Ibid.p. 169.

(4) Ibid.p. 169.

ينمو ويتطور من خلال المشاركات والخبرات الاجتماعية المختلفة، بمعنى أنه يتكون في البداية مرتبطا بغرائزه الجسدية والعضوية، ثم بادراكاته ومشاعره المتعلقة بتصوراته وتثبيت مدركاته الحسية، ثم بتصوراته المختلفة المحتوى والتركيب وبالتحديد أفكاره الشخصية، ثم بعد ذلك يتجه هذا الاحساس نحو أفعال الآخرين ويحاول التحكم فيها، وبالطبع يكون المجال الرئيسي لهذه الأفعال هو الحياة الاجتماعية (١).

وقد أوضح كولي أن هذا الرأى المتعلق بتطور الاحساس الذاتي من خلال المشاركات والخبرات الاجتماعية قد تناوله أيضا هيرمان ستانلي H.Stanly في دراسته تطور الاحساس السيكولوجي. ورأى أن شخصية الصديق تكون قائمة في عقلي على أنها مجموعة من الأفكار تصاحب رموزا معينة له. بمعنى أن ذات الشخص الاجتماعية توجد في بعض الأفكار التي يشار اليها بضمير المتكلم المفرد «أنا» وفي حقيقة الفاعل I، والمفعول Me، وياء المتكلم Mine، والذاتية My Self (٢) وقد أشار دون مارتندال إلى أن كولي انتهى في هذا الصدد إلى أن «التخيل هو العادة المرتبطة بعشر الذات المتميز ليصبح ذاتا اجتماعيا» (٣).

ولقد جعل كولي من الضمير I عنوانا للشعور أو الاحساس الذاتي وتعبيراته في إطار تحليله لطريقة تشكيل الذات الاجتماعية. وربما كانت الطريقة المثلى من وجهة نظر كولي لفهم المعنى الحقيقي له تكمن في الاستماع إلى حديث اللعب عند الأطفال وطريقة تفكيرهم المرتبطة بتمعن الملكية. اذ يلازم الاحساس بالملكية شعوريا بالفرح أو السعادة المصاحب لضمير التملك I. وأوضح كولي ذلك بأمثلة عديدة مثل: تمعن الطفل للأشياء الخاصة به، والبنت لملابسها الجديدة مع كلمات الاستحسان، والفلاح لحقوله ودوابه، والمشاعر لأعماله الناجحة. وانتهى كولي مما سبق إلى تحديد فكرة الذات بأنها شعور يميز حياة الفرد عن حياة الآخرين ويشار للأنا باعتباره واجهة لها، ثم يتجه الأنا للمشاركات الاجتماعية مع أفعال الآخرين سعيا للتحكم

---

(1) Cooly, Hman Nature and Social Order, op. cit.p.171.

(2) Ibid.p. 170.

(3) Martindallé, Doon., op. cit.p. 344.

فيها من خلال قدرته، ويكون هذا هو الطريق الذى يضفى على الأنا صفة الاجتماعية، ويمكن اعتباره ممثلا لتلك الواجهة الاجتماعية لفكرة الذات [1].

وبعد أن تحدث كولى عن طبيعة الشعور الذاتى، وانتهى إلى أن الضمير يمثل عنوانا للذات أو الشعور الذاتى، ويشكل فى نفس الوقت الواجهة الاجتماعية له، كما يعتبر فى نفس الوقت همزة الوصل للاشارة إلى الآخرين فى الحياة الاجتماعية. ينتقل للحديث عن الدور الذى تلعبه الجماعات الأولية فى تشكيل تلك الذات أو الطبيعة الانسانية ويرى «أنه يجب ألا يعتقد وحدة الجماعة هى مجرد انسجام وتوافق.... اذ أنها فى العادة تكون وحدة متغايرة ومتنافسة بين الأفراد. والتى تتيح لهم فرصة تأكيد الذات على اختلاف مشاعرهم وأهوائهم [2].

ثم ذهب كولى فى هذا الصدد إلى أن هذه المشاعر تأخذ شكلا اجتماعة عن طريق التعاطف، وتمارس فى اطار الروح المشتركة للجماعة، فالفرد قد يكون متطلع الطموح الا أن طموحه يكون مرغوب فيه من الآخرين. كما يشعر الفرد بالولاء والوفاء للمستويات الجماعية الكلية لدرجة أن الطفل قد يتخاصم أو يتنازع مع رفاقه مع مكان ما فى اطار جماعته الكلية، لدرجة أن الطفل قد يتخاصم أو يتنازع مع رفاقه على مكان ما فى اطار جماعته الكلية، ولكنه يضع فى اعتباره فى الوقت نفسه فوز فصله أو مدرسته فوق كل اعتبار. ويضيف كولى أن أحسن الدراسات المقارنة عن الأسرة والتى أجراها وسترمارك أوضحت أنها تمثل نظاميا عالميا. كما أننا ندرج انتشار جماعات اللعب وغيرها، ومدى تأثيرها الكبير على سلوكنا - من خلال المشاركة - واعتبر كولى أن تلك الجماعات الأولية تعد مولدا لتلك الطبيعة الانسانية العالمية، وكذلك المثل العليا بداخلنا فى أى زمان وفى أى مكان [3].

وقد أشار فيرز Fars فى كتاب النظرية السوسيولوجية إلى أنه اذا سايرنا التصور القائل بأن الجماعة الأولية ليست أهم اسهام لدى كولى، فانها تكون واحدة من

---

(1) Cooly, Hman Nature and Social Order, op. cit.pp.173 - 174.

(2,3) Cooly, Hman Nature and Social Order, Ibid., pp.311 - 312.

العديد الذى قديمه، فقد تحدث الآخرون عن جماعات الـ (نحن) بينما أكد كولى على الجماعات الأولية والتى تمدنا بأصول الطبيعة الإنسانية. وتوصل فيرز من خلال استعراضه لمقاله كولى عن الجماعات الأولية فى كتابه التنظيم الاجتماعى إلى ثلاث خصائص عبر عنها فيما يلى: أولا - علاقة المواجهة المباشرة وجها لوجه وبداية اكتساب الخبرات. وثانيا - الشعور بالكل المعبر عنه فى الـ (نحن). ثالثا - أن أهمية الجماعة الأولية على الاطلاق تبدو فى أن طبيعتنا البشرية تنهض من خلالها ومتمثلة فى التعاطف والشفقة والاحساس، والعدل والانصاف، ثم اللعب المباشر الحر [(1)]

ويمكن للباحث الاتفاق مع كل من كوزر، ورد سنبرج بصدد الدور الهام الذى تلعبه الجماعات الأولية فى تشكيل الطبيعة الانسانية أو الذات الفردية. بحيث يمكننا أن نطلق عليها ذات اجتماعية فى اطار المشاركات والتعاطف والمنافسة التى تدخل فيها مع الآخرين، وفى نطاق الجماعات الأولية المختلفة. اذ تتمثل الذات مبادىء الجماعة التى تنتمى اليها، ومثلهما ومعاييرها وميولها وعواطفها ومشاعرها حتى تصل الى الاحساس بالكل المعبر عنه فى الـ (نحن). وبالتالى يمكننا القول أنها تشكل بيئة مهيأة ومناخا ملائما لنمو وتطور الذات الانسانية، حتى تصل إلى مرحلة الاحساس بالكل الاجتماعى. وتدعم هذه الوجهة اتجاه كولى النظرى العضوى ومنهجه السيكولوجى فى فهمه لعلاقة الذات باطار الحياة الاجتماعية. وذلك باعتبار أن الذات لاتنمو فى فراغ، ولكن فى اطار الوسط الاجتماعى المتمثل فى الجماعات الأولية.

وأخيرا ننتهى إلى أن كولى قد استخدم مفهوم الذات الاجتماعية لحل قضية العلاقة بين الفرد والمجتمع - وهى القضية النظرية الكبرى التى حاول فهمها وتفسيرها عضويا ونفسيا ومعتمدا على المنهج التعاطفى. اذ يقول لويس كوزر فى هذا الصدد وأن العلاقة بين الذات والمجتمع معا - فى كتابات كولى - تمثلان توأما. وتؤكد تلك العلاقة على الرابطة العضوية والاتصال المتبادل بين الذات والمجتمع وهو

(1) Faris, E., "The Primary Gorup" In Coser & Rosenbery (eds). Cit.pp. 314 - 315.

مايميز أغلب كتابات كولى، ويمثل الاسهام المشترك الذى قدمه إلى علم النفس الاجتماعى الحديث وعلم الاجتماع المعاصر» [١].

ولقد تطور الاهتمام بدراسة مفهوم الذات الاجتماعية لدى كولى فى دراسات علماء الاجتماع المعاصرين. فاهتم جورج هيربرت ميد بدراسة بناء الذات أو الشخصية وتطورها فى اطار استجابة الفرد لدوافع الآخرين ورغباتهم. بحيث أمكن فهم وتفسير قضايا التفاعل الاجتماعية داخل اطار الجماعة الاجتماعية، وذلك منخلال الاهتمام بدراسة مفهوم بناء الشخصية وتطورها. كما تمثل هذا الاهتمام فى محاولة بارسونز تحديد علاقة الذات العليا – فى بناء الشخصية – بالدلالات العاطفية الرمزية. وأيضا فى اطار صلاتها الوظيفية بالتفاعل الاجتماعى والعمليات التفاعلية داخل اطار الثقافة المرجعية للجماعة [٢]. بل لقد أصبح هذا الاهتمام بدراسة مفهوم الذات الاجتماعية فيما بعد أساس لدراسة العديد من القضايا النظرية مثل: قضايا الاتجاهات، والحاجة إلى الانجاز، والتنشئة الاجتماعية [٣].

ب- دورها فى تشكيل المبادىء الأولية

ويبدأ كولى ببيان الدور الذى تلعبه الجماعات الأولية فى تشكيل المبادىء الأولية، ببيان بعد هذا الدور وحجمه من خلال تساؤله «من أين نحصل على أفكارنا عن الحب والحرية والعدالة، وما نحتاجه من النظم الاجتماعية؟ وأن ذلك يكون من خلال الحياة الاجتماعية الواقعية والجماعات الأولية المنتشرة فى المجتمع كجماعات: الأسرة واللعب والجوار والصداقة وذلك بالرغم من أن طبيعة العلاقات الأولية المتشكلة داخل الجماعات الأولية لاتكون عامة فى كل المجتمعات، بل تختلف باختلاف السلالة وأنواع النظم السائدة، الا أنها تحاول أن تلبى وتشبع الحاجات الأولية للطبيعة الانسانية، ومن خلال الأشكال المختلفة لمستويات الخبرة السائدة عن طريق المشاركة

---

(1) Coser, L.A., Masters of Sociological Thought. op.cit., p. 305.
(2) Parsons, T., Social Structure and Personality. op.cit., p. 25.
(٣) محمد سعيد فرح، مرجع سابق، ص ٨٤

ولذلك كان البحث فيها يحتاج الملاحظة وكثير من الاهتمام [1]

ولقد رأى كولى أن المبادىء والمثاليات تنهض من خلال المشاركات المعتادة فى اطار الجماعات الأولية بحيث يمكن القول أنها تشكل جزءا من الطبيعة الانسانية في ذاتها، ثم بصورة عامة تشكل جزءا من الكل الأخلاقى ذو البعد المجتمعى لدرجة أن الفرد يعتبر الآخرين جزءا منه ويذيب ذاتيته معهم. كما توجد لديه القابلية لأن يلقى بنفسه فى جماعة العائلة أو جماعة أصدقاؤه من الشباب. وقد رأى كولى أن هذه الطبيعة سوف تنتشر وتمتد فى مجتمعاتنا وفى العالم [2].

وقد انتهى كولى إلى تعداد المبادىء والمثاليات الأولية التى تتبلور فى اطار الجماعات الأولية. ولكنه أكد على أن اطار الـ (نحن) We يمثل قاعدة للوحدة الاخلاقية ويعتبر المبدأ الرئيسى بالنسبة لبقية المبادىء الاجتماعية، وقد برهن كولى على ذلك بمثالين: **الأول** – يتمثل فى أن الحياة المتجانسة الكلية للعائلة منذ القدم هى نموذج للوحدة الأخلاقية الكلية. والثانى – أورده على لسان جوزيف تى ومؤداه أن الفرد لايشكل فقط جزء من الفريق ولكن الفريق بكامله يصبح جزءا من شخصية الفرد. ومن ثم توصل كولى إلى وجود الصدق فى الاحساس برفقة الآخرين داخل اطار الجماعة والذى يكون له صفة العمومية فى المثل الانسانية. كما يسود أيضا فى الجماعات الأولية كلمة الشفقة كقانون مشروع من حقوق الجماعة، وأيضا العدالة التى تتطور وتنمو داخل اطارها، والتعاطف الذى ينجم من اشتراك واتحاد العقول مع بعضها بحيث يسعى كل فرد إلى تحقيق حياته وحياة غيره. اذ يجد الفرد أحيانا مشابهة لما يفعل بواسطة الخبرات التى اكتسبها من خلال الجماعة، وبالتالى يرسم الجميع عن طريق خبراتهم تلك مستويات الطموح الفردى وأبعاد سلوكهم [3].

ويتضح لنا مما سبق طبيعة تلك المبادىء الأولية والتى تبدؤ فى أنها تنبع من الخبرات المألوفة والأكثر عمومية في الجنس الانسانى بوجه عام تتشكل داخل اطار

---

(1) Cooly, Social Organization. op .cit., p. 2.

(2) Ibid.p. 33.

(3) Cooly. Social Organization. op .cit., p. 35.

الجماعات الأولية. وان كانت تتلون بالطابع العام للحضارة وأشكال النظم والجماعات وخصائص السلالة ونوع الثقافة والتى تشكل الموجهات السلوكية الملائمة لحاضرها ومستقبلها. ونستدل في ذلك باختلاف الموجهات السلوكية فى المجتمعات الشيوعية عنها فى المجتمعات التى تبث موجهاتها السلوكية وفقا لقيم عقائدية. وكذلك يختلف ماهو لدى المجتمعات الغربية عنها ماهو لدى المجتمعات العربية، بل يمكن أن يكون اختلاف الموجهات السلوكية وارد فى اطار اختلاف الثقافات الفرعية داخل نطاق الثقافة الواحدة.

٤- المعايير السيكولوجية فى فهم للجماعات الأولية عند كولى

رغم اتفاق علماء الاجتماع مع كولى على طبيعة وخصائص الجماعات الأولية، الا أن ذلك لم يمنعهم من مناقشة المعايير السيكولوجية التى وضعها وعلى أساسها يمكن أن نطلق على الجماعة صفة الأولية. وتساءل فيرز كم تكون خاصية المواجهة المباشرة ضرورية فى وصف الجماعة الأولية لدى كولى؟ وهل كل جماعات المواجهة المباشرة تشكل لدى كولى جماعات أولية؟ أم أن علاقات المواجهة المباشرة تكون عارضة؟ ولقد اتضح «أن هناك جماعات توصف بأنها غاية في الأهمية من حيث ظهورها مثل المحكمة الأمريكية للجرائم An Amerecan Crimena Court اذ تشكل هذه الجماعة علاقة مواجهة مباشرة وجها لوجه مع القاضي وأعضاء مجلس الشورى والمستشار. وبالرغم من ذلك فهى لاتحتوى السمات أو الخصائص الضرورية للجماعات الأولية، وذلك باعتبار أن العلاقة بداخلها تكون حفنته باطار القواعد الموضوعة من قبل السلطات، وأيضا النشاطات التى تقوم بها تكون متلائمة مع طبيعتها التنظيمية [1].

ويبدو أن فيرز أراد تأكيد وجهة نظر كولى التى ترى أنه بالرغم من وجود علاقات المواجهة المباشرة لدى بعض الجماعات، الا أنها تفتقر إلى وجود العلاقات الأولية مثل المشاركة والتعاون والمبادىء الرئيسية لتكوين الشخصية أو الطبيعة الانسانية. ومن ثم

(1) Faris, op. cit., p. 315.

فهى لاتشكل جماعة أولية لأن الشخص يفتقر فى نطاقها إلى تلك الواجهة العضوية السيكولوجية، والتى تقوم على مشاركة الذات لأهداف الجماعة وتمثلها لغاياتها الكلية فى المقابل.

كما ناقش فيرز وجهة نظر كولى التى ترى أن الجماعة الأولية يمكن أن تكون صغيرة للغاية. وحاول الوقوف على امكانية اعتبار أن كل جماعات المواجهة المباشرة لدى كولى تشكل فى جوهرها جماعات أولية؟ وتساءل أيضا هل الجماعات غير المباشرة لدى كولى تملك خصائص الجماعة الأولية؟ وأجاب على هذه الأسئلة بثلاثة أمثلة: الأول - مؤداه أن جماعة القرابة التى تنتشر فى المكان وتتصل فقط بواسطة الخطابات تشكل بوضوح جماعة أولية. وذلك من خلال الاحساس بالوحدة وسيطرة الاندماج الواضح للأفراد فى الكل العام. والثانى - مؤداه أن المرأة الدراسة يمكن أن تحقق تجربة متجانسة ومتوافقة من الحب بعمق تجاه امرأة مبدعة وتتصل بها بواسطة الخطابات المستمرة لعدد من السنين. وذلك بالرغم من أنهما لم يتقابلا وبالتالى يمكن أن يطلق عليها جماعة أولية أما «المثال الثالث» فمؤداه يتعلق بايضاح لعلاقة التاريخية التى كانت قائمة بين أميرسون Emerson، وكارليل Carlyle لم تقم على الوجد الفيزيقى بل كانت صداقة تعتمد على روح الجماعة. وعلى هذا فقد تابع فيرز وجهة نظر كولى التى ترى أن الجماعة الأولية تعتمد على عدم الانفصال الفكرى، وهو مايشكل جوهرا لحقيقة الجماعة الأولية. ومن ثم يمكن الاتفاق مع وجهة النظر هذه - والتى ترى أن صفة المواجهة المباشرة ليست دائمة فى تكوين الجماعات الأولية [1]. وبالتالى لاتكون كل جماعات المواجهة المباشرة جماعات أولية.

واذا ماحاولنا تحديد البعد الذى يمكن معه وصف الجماعات الأولية بألفاظ موضوعية محددة لدى كولى؟ وإلى أى مدى يمكن اعتبار الاتجاهات الذاتية والخيال أساسا جوهريا فى تشكيلها؟ نجد أن كولى «لم يغفل واجهة التصورات والأفكار الذاتية وانتشار التعاطف Sympthy فى اطار الـ (نحن) بمعنى أن قيام الجماعة

(1) Faris, Ibid., p. 316.

الأولية على الاحساس بالـ (نحن) يوجب علينا الاهتمام بالميزان الذاتي، ولانستطيع أن نعتمد باتساع على مجرد ملاحظة الأفعال والتعبيرات وتفسيرها. أما التصورات العقلية والعواطف فتكون هامة في هذا الصدد. وضرب كولي مثلا مؤداه: أن الرجل حينما يقع في الحب أو في التدين فان تصوراته العقلية وعواطفة التي تشكل عمقا للحياة الاجتماعية لديه تعتبر حقائق جوهرية بالنسبة له. كما أن أحسن وصف وتحليل لصديقي، يتمثل فيما أتصور في حين يقول لي أو يفعل في مناسبه ما [1].

ويتضح مما سبق أن كولي رغم قوله بامكانية وصف الجماعة الأولية بناء على الملاحظات والمشاهدات الموضوعية، الا أنه أكد على الميزان الذاتي والتخيلي، والعواطف والمشاعر باعتبارها حقائق رئيسية في النظر إلى الجماعات الأولية. فالذات الاجتماعية التي ينهض من خلالها الاحساس بالـ (نحن) توجد الوجدان الجماعي، وبالتالي تسود الاتجاهات والعواطف الكلية وكذلك السلوك المتوافق الذي يمكن ملاحظته. وتلك هي المعايير النفسية والتي تشكل نوع العلاقة والمشاركات التي تقوم داخل الجماعات الأولية.

ولقد تابع الكثير من علماء الاجتماعي وعلم النفس الاجتماعي كولي في هذا الصدد، اذ يقول بيير بادان في نشرات مجمع العلوم الاقتصادية والتضيقية الأمريكية: «أن الجماعة الأولية هي أكثر مايربط الفرد بالجماعة بشكل مباشر، كما تقوم بمهام خطيرة لأنها تجلب للانسان السند العاطفي الذي ييسر اندماجه في الحياة الاجتماعية [2] كما أن هناك بعض من علماء الاجتماع أمثال فيرز وهنري نيري في كتابه الجماعات، لايرون صفة المواجهة المباشرة أساسا رئيسيا للتفرقة بين الجماعات الأولية والثانوية، لأن الخصائص السيكولوجية الأولية التي تنهض عليها تلك الجماعات غير مرتبطة بصفة المواجهة المباشرة ويدعم ذلك أنه غالبا مانلاحظ داخل العديد من الجماعات التي يمكن أن نعتبرها لأول وهلة جماعات أولية أن نجد نوعا

---

(1) Faris, op. cit., p. 317.

(٢) هنري نيري، الجماعات هل هي قوى فعالة. (ترجمة) رشدي كامل صالح، القاهرة: نيويورك، مؤسسة فرانكلين ومكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨، ص ٤٦.

من المشاركة تختلف أحيانا عما يدل عليه الهدف الوظيفى لها، وأن هذا الانطباع لدينا قد قام على وهم خاطئ فقد نجد فى مركز ما أو ناد أنه مغلق على نفسه وراء السعادة ويسعى وراء الروحانيات، وبالتالى نعتقد أن الجماعة المكونة لهذا النادى تكون غنية بالمشاعر أو المشاركات العميقة، وذلك على اعتبار أن أفرادها يتفاعلون وجها لوجه وعن قرب، ومع ذلك لايكون هناك وجود لتلك المشاعر والمشاركات العميقة[1].

(1) هنرى تيرى، المرجع السابق، ص ص ٤٨ ، ٤٩.

٥-خاتمـــة الفصل الثالث:

بعد عرضنا للتفسير السيكولوجي أو السلوكي للواقع الاجتماعي عند كولي من خلال تناوله لقضية العلاقة بين الفرد والمجتمع، ثم الوراثة والبيئة، ثم لتفسيره النفسي للجماعات الأولية في ضوء خصائصها النفسية والتي تشكل مكونات للذات أو الطبيعة الانسانية. وزخيرا للدور الذي منحه للجماعات الأولية في تشكيل الذات الاجتماعية والمبادىء والمثاليات الأولية، وكذلك وقفنا على تحديد للمفاهيم والقضايا النظرية، وكيفية استخدامه لها، ثم لتطور استخدامها لدى علماء الاجتماع بوجه عام. وسوف نحاول الآن الوقوف، على ما أسهم به كولي من خلال اتجاهه النفسي إلى مجال قضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية بوجه عام.

وفي ضوء اهتمامات علماء الاجتماع الأمريكيين الممثلين لهذا السلوكية الاجتماعية يمكن لنا أن نرى إهتمام كولي بتطور مفهوم الذات الانسانية في إطار الحياة الاجتماعية على نطاقين: الأول – من خلال معالجته بين الفرد والمجتمع ونظرته لكل منهما كواجهات توزيعيه لشيء واحد وفي هذا لاينكر (كولي) على (فرويد) اهتمامه بالجوانب الفردية الغريزية التي تلعبه دورها في تشكيل الطبيعة الانسانية، كما أنه لاينكر أيضا على (دوركايم) اتجاهه الاجتماعي الامبريقي ومدى الدور الذي تلعبه المشاركة الاجتماعية في تشكيل تلك الطبيعة. وهذا مايعكس نظريته العضوية ومنهجه العضوى السيكولوجي في دراسة للعلاقة بين الفرد والمجتمع. وثانيا – يتمثل النطاق الثاني في الدور الذي تلعبه الجماعات الأولية من خلال علاقات المواجهة المباشره في تشكيل الذات الفرديه، وفي هذا الصدد يمكن القول بأن كولي اذا كان لايفكر على (فرويد) ، و(دوركايم) اهتمامهما، الا أنه يرى ان الفرد لايعتبر كائنا اجتماعيا الا لأنه يعيش في الجماعات الاجتماعية.

واذا كان يمثلان الواجهات الجمعية والتوزيعيه لشيء واحد، الا أنه توجد فكره في حياه كل شخص تكون فيها الأسبقية للجماعة، طالما أنها توجد قبل الشخص وتترك تأثيراً قوياً في تطوره [1]. ويبدو أن كولي أراد أن يقول بأن الطبيعة الانسانية أو

1) Robert E.L. Fairis.. op.cit.;p. 555.

الذات الانسانية لاتكون أكثر أهمية في جانبها الفردى، الا اذا دخلت فى علاقات ومشاركات في جماعات اجتماعية أولية مثل الأسرة، والجوار، الصداقة... الخ تلك التى يتضمن طابعها وشتكل تلك الذات الانسانية من خلال المبادىء والمثل والأفكار والأحاسيس الأولية التى تكون مشترطة فى عقول أفراد الجماعة.

وهذا يعنى ان الذات الفردية فى نظرية كولى تجد الظروف الملائمة للنمو والتطور الا من خلال الاحساس العام والحقيقة الاجتماعية المتمثلة فى اطار الجماعات الأولية، مما يدعونا إلى القول بأن كولى كان أقرب إلى (دوركاين) من (فرويد)، وان كان لايتفق مع (دوركاين) فى ان الجماعة هى الفيصل فى تشكيل تلك «الذات» نظراً لاشتمالها على الجوانب الفردية الوراثية البيولوجية تلك التى تتفاعل مع البيئة الاجتماعية الممثلة فى الجماعات الأولية ليكونا سوياً الحقيقة الاجتماعية التى يدخل كل من الفرد والمجتمع واجهان لها. وهذا مايؤكد منهجه العضوى السيكولوجى الذى اعتمد عليه فى دراسته للواقع الاجتماعى.

واذا انتقلنا لمناقشة مدى الاسهام الذى مقده (جورج هربرت ميد) في مجال هذا السلوكية الاجتماعية فى علم الاجتماع، نجد ان (جيمس ودرارد) James Woo-dard مجمل هذا الاسهام فى اعتبار أنه يمثل الهيئة الدائمة للفردية التى لاتزال مرتبطة عضوياً بالمجال الثقافى الاجتماعى، والذى يملك بالضرورة مركزاً مختلف عما هو لدى الفرد، باعتباره مصدراً للمعانى وللافكار والقيم - تلك المعانى السيكولوجية العاطفية - هذا بالاضافة إلى أنه أفتقر أثر الاهتمام بتفسير ظهور الذات Self فى اطار السلوك من خلال اطارات التخيل Imagination واللعبPlay وأخيراً فى نطاق الأعمال الواقعية للحياة،تلك النظم التى أعتبرها تمثل دوافع تلقائية - ذاتية - لمركز الذات Spontaneous Self Centered Impulses.(1)

ويتضح من هذا شايع ميد لاتجاه علماء النفس الاجتماع الامريكى فى الاهتمام بظهور الذات الفردية فى اطار الحياة الاجتماعية الواقعية - فى السلوك - ووصوله إلى

(1) Robert E.L. Fairis.; op.cit.;pp: 238- 239.

أنها تنمو وتتشكل فى اطار الخبره الاجتماعية مما يؤكد الأصل الاجتماعى لها، وهو مابعكس لنا تبنى (ميد) للنظرية العضوية السيكولوجية فى دراستها لظهور الذات ونموها. ويتضح هذا اذا ما رأينا أنه يحدد هذا النمو والتطور فى اطار جماعات اللعب واللعبة تلك تشكل اطارات مرجعية لهذا النمو، حيث يتماثل الفرد مع الاتجاهات العامه فى الجماعة تلك التى تشكل الذات Me وتكون استجابته لها من خلال ذاته الفردية I تلك التى تتشكل فى اطارها ومن خلال تمثلها لاتجاهاتها السائدة فى الجماعة ككل، وأيضا الاحساس بالملكية العامة، والاستجابات العامة المتعلقة بتلك الجماعة.

ففى مجال المفاهيم يأتى استخدام كولى لمفهوم الجماعة الأولية اسهاما هاما واضافة جوهرية إلى مفاهيم علم الاجتماع بوجه عام، وذلك فى اطار اسهاماته النظرية وجاء ذلك فى اطار نظريته العضوية السيكولوجية. اذا حاول منخلال استخدامه لمفهوم الجماعة الأولية أن يوضح الخصائص النفسية التى ينهض عليها هذا المفهوم. وقد تابع علماء الاجتماع هذا الاهتمام لدى كولى فيما بعد، اذ أورد بيير بادان فى «كتاب الجماعات هل هى قوى فعالة» وبصدد ايضاحه الخصائص النفسية التى تميز الجماعات الأولية تكون العلاقات أولية حينما يلتزم بها الأفراد فى وحدتهم وفى تشابكم، وتعنى الوحدة أن الاجابة الموجهة إلى شخص معين غير قابلة إلى التحول إلى أشخاص آخرين، ويعنى التشابك أن ماتضمنته العلاقة يتجاوب مع المظاهر المتعددة لشخصية الغير ويتصرف تلقائيا كأنه كل متكامل. وكلما قلت قابلية تحويل الاجابة الموجهة إلى شخص معين من التحويل إلى شخص آخر كانت العلاقة أولية، كما تكون الاتصالات حينئذ على مستوى عميق نسبيا، وتؤثر مباشرة على الشعور والاتجاهات وتقوم العلاقة الأولية لذاتها[١].

ويلاحظ أن مفهوم الجماعة الأولية لدى كولى قد ارتبط به مفهوم الذات أو الشخصية الانسانية، وذلك لما للجماعة الأولية من دروهم فى تشكيل تلك الطبيعة الانسانية، بحيث تصل تلك الطبيعة الانسانية بجانبها الفردى إلى وحدتها التامة،

---

(١) هنرى تيرى، المرجع السابق، ص ٤٠.

ويمكن أن نطلق عليها صفة الاجتماعية، بمعنى أن كولى فى فهمه وتفسيره لتكوين الشخصية الانسانية ونموها داخل اطار الجماعة الأولية قد اعتمد على فهمه النفسى لخصائص تلك الجماعات الأولية، واعتمد أيضا على الدور الذى تلعبه تلك الخصائص فى تشكيل مفهوم الذات أو الشخصية الانسانية، بحيث فسر كولى نمو الذات داخل اطار تلك الجماعات الأولية من خلال التفاعل بين ذات الفرد والآخرين. وحتى يمكن أيضا أن نطلق عليها صفة الاجتماعية لتشتمل على كلا جانبيها الفردى والاجتماعى فى كل عضوى سيكولوجى.

وقد اقترب كولى فى هذا الصدد من مفهوم الشعور الاجتماعى اذ يقول «أن الفصل بين الشعور الفردى والشعور الاجتماعى هو قصد مصطنع، لأن أى حكم على الشعور الفردى يكون حكم اجتماعى على اعتبار أنه يشتمل على المؤثرات الاجتماعية، كما يشكل أى شعور اجتماعى واجهه للمشاعر الفردية: وأن الشيء المحدد هو الكل الأخلاقى الذى ينهض على الأخلاقيات الفردية.[1] وقد منح كولى لتلك الذات الاجتماعية دورا مهما فى تكوين المبادىء والمثاليات الأولية. اذ يأتى هذا الدور فى اطار الشعور بالـ (نحن) الذى يوجد التصورات الذاتية وينشر التعاطف والوجدان الجماعى. وبالتالى يسود الجماعات الاتجاهات السيكولوجية، والتى تشكل معايير نفسية لاطار العلاقات والمشاركات التى تحدث داخل نطاق الجماعات الأولية.

والواقع أن معالجة كولى للعلاقة بين الفرد والمجتمع، تأتى فى اطار تصوره النظرى لمهمة علم الاجتماع وادراكه للواقع الاجتماعى وعلاقته بنمو الذات الانسانية. اذ تعد هذه القضية النظرية الرئيسية التى شغلت اهتمام كولى، وتعتبر اسهاما جوهريا له ونقطة التقاء فى مجال علم الاجتماع المعاصر وعلم النفس الاجتماعى. وقد جاء اهتمامه بها فى اطار اتجاهه النظرى العضوى السيكولوجى العام، وحاول تفسيرها على انها علاقة عضوية سيكولوجية. واعتمد فى دراسته لها على منهج سيكولوجى تمثل فى منهج المشاركة التعاطفية بجانب المنهج العضوى. وكان ذلك

---

(1) Cooly, Hman Nature and Social Order, op. cit.p.378.

بهدف اظهار علاقة الاعتماد المتبادل والتأثير بين كلا الجانبين.

وقد تطور هذا التفسير العضوى السيكولوجي للواقع الاجتماعي لدى كولى، كما أضفى على علاقة الذات الانسانية بالواقع الاجتماعي نوعا من الوضوح والعمق، اذ جاءت محاولته تحديد العلاقة بين الوراثة والبيئة وأثرها في حياة الانسان، تدعيما وتطورا لاهتماماته النظرية والمنهجية. فاعتمد في دراستها على منهج الفهم التعاطفي السيكولوجي بجانب المنهج العضوى. كما حاول تفسير العلاقة بين الوراثة والبيئة في اطار الكل العضوى السيكولوجي الذى يجمع بين الصفات الوراثية والبيئية في حياة الوجود الانساني، واعتبر كولي أن علاقتهما هي علاقة تكامل عضوى سيكولوجي. ولقد تطور هذا الفهم العضوى النفسي الذى أرساه كولي لعلاقة الوراثة والبية وأثرهما في حياة الانسان لدى علماء الاجتماع المعاصرين، اذ يقول أرنولد جرين في تحليله لعلاقة الفرد بالوجود الانساني لايوجد الفرد باعتباره شخصا. ولكن يولد فقد ولديه الامكانية أن يصبح شخصا ما، وذلك نتيجة للمؤثرات الاجتماعية التي تتعامل معه باعتباره كائنا له بناء فسيولوجي ولد به. ولكي يصبح الفرد شخصا يجب أن يكتسب اللغة والتفكير ويتمثل الأهداف والقيم، وحينئذ يشارك الشخص السمات الجتماعية في المجتمعات الانسانية مثل: اللغة والأدوار، والأخلاق والمعتقدات، والمبادىء الخلقية العامة بشكل خاص وبالتالي تضمن الشخصية مشاركة الشخص مع الآخرين، كما تتضمن أيضا الاشارة إلى مايميز الشخص من سمات عن الآخرين مثل: قيمة ومبادئه، وبرستيجه، بالاضافة إلى طرقه المعهدة في الفعل وردود الأفعال[1]

---

(1) Green, A.W., Sociology. New York: Mc Graw- Hill Books Comapny. 1960. pp. 115 - 116.

الفصل الرابع

السلوكية الاجتماعية فى دراسات

جورج كوسبار هومانز

٢- المفاهيم السيكولوجية فى تفسير السلوك أو الظاهرة الاجتماعية.

أ- النشاط.

ب- التفاعل.

جـ- الاحساس.

٣- التفسير السيكولوجى للسلوك الانسانى فى اطار النسق الخارجى (البيئة).

أ- قضية النجاح.

ب- قضية الدافع.

جـ- قضية القيمة.

د- قضية الحرمان من الاشباع.

هـ- قضية العداء المحبط

٤- الفهم السيكولوجى لدراسة السلوك الانسانى فى اطار التفاعل الاجتماعى.

٥- النزعة السيكولوجية الوظيفية لدراسة السلوك الانسانى لدى هومانز.

٦- خاتمة.

الفصل الرابع

السلوكية الاجتماعية فى دراسات جورج كوسبار هومانز

Ceorge Cospar Homans

لما كان اهتمام هومانز موجه إلى التفسير أكثر من الكشف على اعتبار أن العمليات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية تكون مألوفة لدينا وليست فى حاجة إلى اكتشاف، فقد ركز على تفسيره لعمليات وأنساق التعاون. والصراع والقوة والسلطة والتوافق. اذ تأخذ تلك العمليات الاجتماعية طابع الاستمرار فى أى زمان وفى أى مكان. وكان تفسيره لتلك العمليات الاجتماعية فى كتابه الجماعة الانسانية واضح ودقيق فى اطار المهمة الرئيسية لعلم النفس. وذلك على أساس أن دراسة الوحدات الرئيسية للسلوك تشتمل على أولا- أفعال الفرد الانسانى. ثانيا - الوظيفة المتعلقة بتلك الأفعال الفردية والتى تمثل قيمة لها. ثالثا - دراسة المكافآت Rewards والقيمة التى يكون عليها الفعل. وأوضح هومانز أن نظريته تبدأ بقضايا تتعلق بالتفسير العام للعمليات الاجتماعية والسلوك الانسانى، ويأتى فى اطار استخدامانا للحالات الواقعية للفعل. وقد نبه هومانز إلى أن هذا التفسير قد وافق عليه بعض علماء الاجتماع، فى

- ولد هومانز فى مدينة بوسطن عام ١٩١٠، تخرج فى جامعة هارفارد ١٩٣٢، ثم عين مدرسا فى نفس الجامعة الفترة من (٣٩ - ٤٦). ثم عين أستاذا زائر بجامعة منشستر من (١٩٥٥ - ١٩٥٦). ثم رئيسا لعلم الاجتماع بجامعة كمبردج. وقد تخصص هومانز فى النظرية السسيولوجية والعلاقات الصناعية. ولما بدأ الاتجاه نحو تكوين النظرية الوظيفية بنشر مقال ميرتون عام ١٩٤٩، تابعها هومانز بنشر كتابه الجماعة الانسانية والذى يعتبر مثال حديث لتكوين النظرية السسيولوجية الوظيفية. وقد رأى أن السلوك الانسانى لاينبغى أن يفسر بالرجوع إلى التغير الاجتماعى. ومن ثم اهتم فى كتابيه الجماعة الانسانية والسلوك الاجتماعى بالتصميم بعد الاستقراء لحوادث كثيرة، وأوضح أهمية دراسة الجماعات الانسانية، وقواعد بناء النظرية، موضحا منهجه المستخدم فى نظريته وهو منهج دراسة الحالة وكانت عناصر السلوك فى نظريته هى: الاحساس والتفاعل والنشاط، والاعتماد المتبادل بين هذه العناصر وقد قام بتحليل الجماعات فى اطار النسق الخارجى - أى البيئة - وأضاف عنصر آخر وهو المعايير. وتحدث أيضا عن النسق الداخلى فى اطار التفاعل بين أعضاء الجماعة

- Martindalle, Doon., op.cit., p. 476.

حين لم يوافق عليه البعض الآخر، واتجهوا إلى رسم خط فاصل بين علم الاجتماع وعلم النفس.

واعتبر هومانز أنه فى اطار دراسة قضايا السلوك الانسانى لايوجد خط فاصل بين علم الاجتماع وعلم النفس[1]

ولقد طبق هومانز قضايا نظريته السابقة فى اطار خمس دراسات تفصيلية فى كتابه الجماعة الانسانية، وكانت تشتمل تلك القضايا العامة على عناصر السلوك والعمليات الاجتماعية مثل: الاحساس والنشاط والتفاعل والمعايير. وجاءت معالجته لعناصر السلوك الاجتماعي تلك معالجة اجرائية توضح العلاقات القائمة بين هذه العناصر الأربعة. أما فى كتابه السلوك الاجتماعى فقد اعتمد على علم النفس السلوكي، ومبادىء الاقتصاد، كما تناول معطياته من البيئة الاجتماعية والنفسية فى الزمان والمكان، كما ركز أيضا على عامل النشاط والتفاعل، ودورهما فى بناء النسق الداخلى للجماعة فى علاقته بالبيئة الخارجية[2].

وبصدد دراسة الاتجاه النفسى فى دراسات جورج كوسبار هومانز ومحاولته بناء نظرية اجتماعية فى دراسة السلوك الاجتماعى والعمليات الاجتماعية، والتى اعتمد فيها على قضاذا سيكولوجية لفهم سلوك الأفراد سواء فى علاقاتهم بالبيئة أو فى اطار التفاعل الاجتماعى نتناول العناصر التالية: أولا – معالجة المفاهيم السيكولوجية التى تتضمنها نظريته الاجتماعية وتستخدم فى تفسير السلوك أو الظاهرة الاجتماعية. ثانيا – التفسير السيكولوجى للسلوك الانسانى على نطاقين: فى بداية علاقته بالنسق الخارجى (البيئة) من خلال قضاياه السلوكية الخمسة، ثم من خلال التفسير أو الفهم السيكولوجى للسلوك الانسانى فى اطار التفاعل الاجتماعى، وفى ضوء علاقة الشخص بالآخر داخل نطاق الجماعات الاجتماعية. وأخيرا نتناول النزعة السيكولوجية فى نظرية هومانز الوظيفية لدراسة السلوك الانسانى من خلال قضاياه الخمسة.

---

(1) Homans, George, "Fundamental Social Processes", In Neil 7 Smeler.. (ed) Sociology. New York: John, Wiely Sons., 1967, p. 31.

(2) Loomis; C.Charles & Loomes, Tonak., Modern Social Theories New York: Campany I. M. C., 1963. pp. 171 - 173.

٢ - المفاهيم السيكولوجية فى تفسير السلوك أو الظاهرة الاجتماعية.

قبل الدخول فى مناقشة المفهومات الأساسية والتى تشكل عناصر السلوك الاجتماعى يجدر بنا أو لا تحديد مضمون هذا السلوك الاجتماعى لدى هومانز. وقد أشار شادويك جونز فى هذا الصدد إلى أن هومانز فى تفسيره للسلوك الاجتماعى أهتم بوضع عدة شروط تحدد مضمونه وهى «أن يكون هذا السلوك اجتماعيا. ثم يكون هذا السلوك الاجتماعى الذى يقوم به الشخص مثابا أو معاقبا من شخص آخر، ويعتبر هذا شرطا ضروريا. وأن يتصف هذا السلوك الاجتماعى بأنه سلوك أولى، بمعنى أنه مباشرة فى العلاقة تمثل مجال هذا السلوك الاجتماعى الأولى بين الشخصين بدون ثالث معهما. كما تتضمن دراسة هذا السلوك الاجتماعى الملاحظة الخارجية للأفعال المباشرة وجها لوجه، وفى أقل وقت من الزمن. وأخيرا يحدد اطار هذا السلوك الاجتماعى الأولى على اعتبار أنه يأخذ طابع المواجهة المباشرة. وبالتالى يكون أسهل [illegible] فى تفسيره عن السلوك داخل نطاق التنظيمات الرسمية للمجتمع والتى تحتوى [illegible] قضايا سيكولوجية نظامية لاتحتاج إلى تفسير»[1]

[illegible] كان هومانز «يرى أن هناك مخاطرة فى دراسة السلوك الاجتماعى فى مستواه [illegible] على اعتبار أنه يكون مطلوب اقامة بناء من النظرية لتفسير هذا السلوك [illegible] الاجتماعى السائد فى كل المجتمعات، وفى اطار واجهاته السيكولوجية، كما تبرز أهمية استخدام أداة الملاحظة المباشرة باستمرار لتمدنا بالبرهان فى تحليلاتنا لهذا السلوك الاجتماعى. وذلك بالرغم من أن الملاحظة لايمكن القيام بها على أعداد ضخمة فى وقت واحد، ومن ثم يكون من المناسب دراسة هذا السلوك فى نطاق الجماعة الصغيرة والتى يكون كل عضو فيها فى حالة تفاعل مباشر مع الآخر. وبالتالى نهضت قضايا هومانز العامة لدراسة السلوك الانسانى والعمليات الاجتماعية من خلال الدراسات النظرية المتعددة والدراسات الامبريقية[2].

(1) Jones. J.K. Chadwick.. Social Exchange Theory New York Academic Press, 1967 pp. 154 - 155.

(2) Jones. J.K Chadwick op.cit. pp. 155 - 156

وقبل تناول قضايا هومانز الخمسة فى دراسة السلوك الاجتماعى، نعرض فيما يلى للجوانب السيكولوجية فى مفهوماته الأساسية التى تشكل عناصر السلوك الاجتماعى ويستخدمها هومانز فى تفسير السلوك أو الفعل والظواهر الاجتماعية.

(أ) النشاط Activity .

لقد اعتمد هومانز على مفاهيم عامة فى دراسته للسلوك الانسانى مثل العمل أو النشاط واعتبرها اطارا يحتوى كلمات معينة مثل: زراعة محصول معين، أو قطع الأخشاب، أو التدخين، أو تعاطى المخدرات، أو الحصول على الطعام، أو اللعب أو الراحة. ورأى أن تلك المفاهيم العامة تشكل اطارات لأفعال الانسان. وسواء تمثلت تلك الأعمال فى التعامل مع البيئة الخارجية باستخدام الآلات، أو فى التعامل مع الآخرين بالاعتماد على المساعدة. وبمعنى آخر يرى أن هذه المفاهيم تشتمل على الأفعال التى تعتمد على الحركات العضلية للانسان والتى حين نأتى للبحث عن خصائصها بوجه عام كعناصر للسلوك الاجتماعى تمنحها اسما عاما يطلق عليه بالفعل Action. أما اذا كانت بعض هذه الحركات تعتمد على معانى رمزية كما هو فى الكلام، فان تقييمها كعناصر للسلوك الاجتماعى يمكن أن يطلق عليه اسم النشاط والذى يستخدم بطرق متعددة فى لغة الحياة اليومية كمفهوم تحليلى لدراسة الجماعات الانسانية أو السلوك الانسانى[١].

ويلاحظ أن هومانز استنادا إلى قناعته بعدم امكانية الفصل بين علم الاجتماع وعلم النفس فى دراسة قضايا السلوك الانسانى، فقد اتخذ من مفهوم النشاط وسيلة ليشكل اطارا نفسيا للسلوك أو الفعل الانسانى. وأى كان مجال هذا السلوك سواء فى تعامله مع البيئة الخارجية فى صورة حركات عضلية، أو أتخذ هذا السلوك معانى رمزية تصورية فى اطار علاقة الفرد بالآخر. وهذا يؤكد المحتوى النفسى لمفهوم النشاط لدى هومانز. والذى يشكل عنصرا من عناصر السلوك الاجتماعى لديه.

---

(1) Homàns, G.C., The Human Group. London: Rothedge & Kegan Paul. 1959 . pp. 433 - 35.

(ب) التفاعل **Interaction**

ويشكل مفهوم التفاعل العنصر الثانى من عناصر السلوك الاجتماعى لدى هومانز ويعنى به أن الطفل حينما ينمو بين اخوته الكبار ويصبح شيئا فشيئا أكثر تفاعلا معهم وبوالديه - اذ يتلقى تعليماته منهم ويكون صداقة معهم - فبالتالى تصبح كل كلمة لديه لها معنى محدد فى اطار لغته اليومية وتفاعله اليومى، فمثلا كلمة يرى اذا استعملت فى اطار عبارة الذهاب لرؤية انسان ما، فهى تعبر عن فكرة التفاعل بين الأشخاص. ومن هنا جاءت اشارة هومانز إلى التفاعل على أنه عنصر من عناصر السلوك الاجتماعى، واستخدمه كتصور تحليلى فى دراسته. وأوضح أنه اذا كان مفهوم النشاط كعنصر من عناصر السلوك الاجتماعى يشتمل على العديد من المتغيرات التى تندرج تحته، فهذا ينطبق على مفهوم التفاعل حيث يشتمل على العديد من المتغيرات، ويمكننا دراسة تتابع نكرره فى العديد من الأوقات. وقد فرق هومانز بين الاتصال والتفاعل على اعتبار أن الاتصال يفكر فيه لمجرد الاتصال العاطفى اللفظى بطرق مختلفة فى الحديث اليومى، أما التفاعل فله معنى واحد محدد[1]. وقد وضح هذا المعنى المحدد للتفاعل لدى هومانز فى رؤيته «أنه لايتم الا اذا حدث نشاط أو حفز اليه نشاط شخص آخر. بل أن مجرد التتابع الزمنى ليس الا معيارا قاصرا للتفاعل»[2].

وهذا يعنى أن هومانز فى تحديده لمفهوم التفاعل واعتباره العنصر الثانى من عناصر السلوك الاجتماعى، قد وقف حدوثه على عامل الحفز أو الدافع المتمثل فى سلوك شخص آخر ليقوم الفرد بالتفاعل معه فى صورة رد فعل أو استجابة. ويمثل ذلك بعدا ومحتوى نفسيا لمفهوم التفاعل لديه، كما يشكل احدى العناصر الرئيسية فى تفسيره للسلوك الانسانى، كما يتضح هذا المحتوى النفسى الذى منحه هومانز لمفهوم التفاعل، فى اطار فهمه للجماعة كنسق اجتماعى. وأيضا فى تفسيره لسلوك أفرادها من خلال التفاعل السيكولوجى بين أعضائها.

---

(1)Homans, G.C., The Human Group. op. cit.pp. 35 - 37.

(٢) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ٣٨٨.

(جـ) الاحساس أو العاطفة Sentiment

وفي اطار اختيار هومانز لمفهومات عناصر السلوك الاجتماعي الذي اهتم بتفسيره، نحاول أن نقف على المحتوى النفسي للعنصر الثالث من عناصر السلوك الاجتماعي لديه. فقد وجه اهتمامه بالاضافة إلى مفهومي النشاط والتفاعل، إلى أمور تتعلق بالاحساسات المؤثرة والمحتوى التأثرى للعواطف والاتجاهات والاحترام والزهد والعداء والاحتقار والحنين إلى الوطن. ورأى أن علماء النفس أطلقوا على تلك الحالات التي تتردد كثيرا في سلوكنا وتتعلق بالحالات الداخلية للجسم صفة العواطف، وقد شكلت تلك العواطف العنصر الثالث من عناصر السلوك الاجتماعي والتي تبدأ من الخوف والجوع والعطش إلى أن تصل إلى مستوى الحالات السيكولوجية المعقدة: كالحب أو الكراهية أو الموافقة أو الرفض في الاتصال بالآخرين. وأوضح هومانز أننا لايمكن أن نقف على تلك الحالات الداخلية للجسم والتي تشكل العواطف وبالطريقة نفسها التي يمكن بها ملاحظة الأنشطة والتفاعلات. اذ يتخذ عنصر الاحساس أشكالا متنوعة، ولايمكننا الحديث عن شخصين يستطيعان اتيان فعل معين تحت نفس الظروف. ولذلك كانت دراسات متنوعة أجريت عن الرأي العام والاتجاهات بواسطة أدوات البحث الاجتماعي، وذلك بهدف الوصول إلى معدلات التوافق والاختلاف عن الحب أو الكره لفعل ما أو الترشيح لعمل ما[١].

ويبدو مما سبق أن نزعة هومانز السوسيولوجية الوظيفية قد اتخذت طابعا سيكولوجيا في محاولته الوصول إلى نظرية اجتماعية تفسير السلوك الاجتماعي. وانتهى هومانز إلى «أن اطاره التصوري طالما اشتمل على الأشخاص والدوائر الثلاثة المحددة لسلوكهم: النشاط والتفاعل والعواطف، فهو يهدف إلى تحديد المفهومات. كما يهدف إلى الوصول إلى الفروض التحليلية الوصفية لسلوك الأشخاص في الجماعات. اذ تشكل تلك الفروض مستوى العمليات التعميمية لعناصر السلوك الاجتماعي»[٢].

(1)Homans, G.C., The Human Group. op. cit.pp. 37 - 40.

(2)Homans, G.C., The Human Group. Ibid.; cit.pp. 34.

ولم يغفل هومانز المحتوى النفسى لمفاهيمه التعميمة التى تحدد عناصر السلوك الاجتماعى، فبجانب ملاحظتنا لنشاط الأفراد داخل اطار الجماعة من خلال التفاعل والذى يبدو فى تأثير الشخص فى الجماعة وتأثير الجماعة فيه من خلال المشاركة السيكولوجية والمعانى الرمزية. قدم هومانز إلى مجال مفاهيم علم الاجتماع ومن خلال اتجاهه النفسى للعواطف وماتعكسه وراءها من عمليات فسيولوجية وعضلية داخلية، وأيضا عمليات نفسية معقدة من حب وكره وتوافق ورفض والتى هى فى جوهرها عمليات سيكولوجية. هذا بالاضافة إلى أن العواطف تتم من خلال عمليات المواجهة المباشرة، وتمثل فى جوهرها علاقات تأثيرية تعتمد على المشاركة فى اطار الجماعات الانسانية بحيث يمكن القول أن هومانز اعتمد على تلك المفاهيم النفسية فى دراسة قضايا السلوك الانسانى والتفاعل الاجتماعى فى اطار الجماعة الاجتماعية ومايحدث بداخلها من عمليات اجتماعية.

٣- التفسير السيكولوجى للسلوك الانسانى فى اطار النسق الخارجى (البيئة).

وفى اطار نظرية هومانز الوظيفية السيكولوجية والتى تقوم على الاعتماد والتساند الوظيفى السيكولوجى المتبادل، قدم هومانز قضاياه الخمسة وأوضح الوظيفة التى تؤديها كل قضية بهدف الوصول إلى التفسير الكامل للسلوك الانسانى. وجاء ذلك فى اطار المفاهيم التى تناولناها سابقا والتى تحدد عناصر السلوك الاجتماعى لديه، وتقوم على مبادىء وقواع نفسية. اذ كان الموضوع الرئيسى لتلك المفاهيم هو دراسة السلوك الاجتماعى فى اطار العمليات الاجتماعية، وعلى وجه الخصوص فى اطار التفاعل الاجتماعى.

وقد أوضح هومانز فى هذا الصدد أنه بالاضافة إلى موضوع نظريته الرئيسى والمتمثل فى دراسة السلوك الانسانى - حينما يكون نشاط الانسان مثابا أو معاقبا مباشرة أو غير مباشرة بواسطة فرد أو أكثر من فرد انسانى - فان نظريته تشتمل أيضا على السلوك الانسانى فى تعامله مع البيئة الطبيعية وتحت تأثير الاثابة والعقاب أيضا. كما أنه ليس هناك خلاف بالنسبة لمصدرهما طالما أن السلوك فى كلا الاثنين يكون

خاضعا للمكافأة والعقاب. اذ لانكون فى حاجة إلى قضايا جديدة لتفسير السلوك الانسانى فى حالة اثابته من البيئة اللاانسانية. وذلك على اعتبار أنه يكون متوافقا مع القوانين السيكولوجية الانسانية. كما يكون كلا النموذجين متضمنيين فى لفظ اجتماعى عام، وهو التفاعل الذى يعنى تبادل التأثير وبسبب المشاركة فى العلاقة[1].

ولقد رأى هومانز فى اطار نظريته السابقة أن الفرد يلعب دوره فى نطاق ما نسميه بالنشاط والذى يشكل ببعض من الوضوح نموذجا للفعل الارادى وليس مجرد فعل منعكس. وحاول الوصول إلى القضايا السيكولوجية التفسيرية التى تقدم العلاقة بين متغيرين مختلفين من خلال القضايا التالية والتى تحكم هذه العلاقة.

أ- القضية الأولى: ومضمونها «أنه كلما كان نشاط الشخص مثابا فى الغالب، كلما كان هناك أكثر امكانية فى انجازه»[2] ويطلق هومانز على هذه القضية بقضية النجاح Success Proposition . وأنها تمثل حقيقة تقريبية، وتتضمن أن أى نشاط اذا أثيب بصورة نهائية فلن يكفافأ بعد ذلك، بل أن امكانية انجاز النشاط متأخر لدى الشخص حتى تصل إلى نقطة الصفر، ثم يتوقف نهائيا عن مباشرة النشاط. وهى النقطة التى يطلق عليها فى لغة السيكولوجيين أن النشاط أصبح مجمدا. كما تشير هذه القضية إلى أن الوقت الذى يستغرقه الشخص حتى يصل إلى نقطة الاثابة لايكون محددا، وهذا هو السبب فى أننا نجد الناس يعملون بقوة فى مباشرة الصيد ليحصلوا على السمك، وحتى اذا حققوا نجاحا نسبيا. ويرجع ذلك إلى أن الوصول إلى الاثابة أو المكافأة التامة لايكون محددا فى أوقات منظمة، وبالتالى رأى هومانز أن تلك القضية تمثل حقيقة تقريبية[3].

ب- أما القضية الثانية: فمؤداها «أنه اذا كان وجود دافع معين أو عدة دوافع فى الماضى قد ترتب عليه فى ظروف معينة أن أثيب الشخص. فحيئذ يكون من المتوقع اذا تشابه الدافع الحالى مع الدافع الماضى، أن يوجد لدى الشخص أكثر امكانية تجاه

(1) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 41.

(2) Homans, "Fundamental Social Processes", Ibid., p. 33.

(3) Ibid., p. 33.

انجاز نفس النشاط المتشابه في الوقت الحالي[١]. وقد خصص هومانز هذه القضية لتوضيح أي نشاط واثابته يكون مصحوبا في العادة بأمور شخصية، يمكن أن تؤثر في تكرار النشاط الذي يقوم به الشخص. فقد يشعر الصياد أن أماكن المياه المعكرة هي أفضل الأماكن للحصول على السمك وبصورة واضحة. ومن ثم أطلق هومانز على تلك القضية بقضية المثير أو الدافعية Stimulus Propositiòn. وأنها تمثل حقيقة تقريبية بمعنى أن الاحساس السيكولوجية المتعلقة بالشعور الذي يكمن خلف النشاط ويطلق عليها بالمثير، اذا كانت متطابقة مع النشاط المثاب في وقت ماتكون أكثر تأثيرا في التنبؤ بمستقبل هذا السلوك أو النشاط[٢].

جـ- **والقضية الثالثة**: تعني «أنها كلما كانت المكافأة المترتبة على النشاط ذو قيمـ عالية بالنسبة للشخص، كلما وجدنا لديه استعدادا أكبر نحو انجازه»[٣] وقد وضع هومانز هذه القضية في ضوء تخلينا لدرجة القيمة التي يمنحها الفرد للمكافأة التي تترتب على نشاطه. وأيضا في ضوء مدى تأثيرها على سلوكه، ولذلك أطلق عليها قضية القيمة Value Propposition. وقد رأى هومانز في هذا الصدد أن الدافع الذي يوجد لدى الشخص هو الذي يدفعه لينجز نشاطا مابغرض الوصول إلى المكافأة والتي تمثل القيمة المتعلقة بتلك الوحدات الناحجة من النشاط والتي تتغير بتغير الدافع، وأنه يجب أن نأخذ في اعتبارنا عند تحديد قيمة النشاط بقضيتي النجاح والقيمة معا. ولم يغفل هومانز أيضا الصعوبات المتعلقة بقيمة الاثابة، والتي تتمثل في صعوبة انجاز النشاط الذي ترتبط نتائجه بقيم سلبية. ومن ثم تتضمن تلك القضية الثالثة أن قيمة المكافآت التي يحصل عليها الفرد على نشاطه تكون مسببة وتختلف باختلاف الأنشطة المتنوعة، وعلى هذا فقط رأى هومانز أن هذه القضية تمثل حقيقة تقريبية أيضا[٤].

---

(1) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 34.

(2) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 33-34.

(3) Ibid., p. 35.

(4) Ibid., pp. 35 - 36.

د- وفى القضية الرابعة : يقرر «أنه فى الغالب اذا ماتلقى الشخص فى وقت قريب مضى مكافأة معينة على نشاط قام به، فان القيمة المتعلقة بالمكافأة التى سوف يحصل عليها عن أى وحدة قادمة من هذا النشاط سوف تكون أقل»[1]. وقد أطلق هومانز على تلك القضية قضية الحرمان من الاشباع Deprivation - Sation Prop-osition. بمعنى أن الفرد يصل إلى مرحلة الاشباع بعد أن يتلقى المكافأة على نشاطه وبالتالى تقل قيمة الاثابة بالنسبة لأى نشاط يقوم به فيما بعد. كما ترتبط هذه القضية لدى هومانز أيضا بالمكافأة التى يكون اشباعها وقتيا لدى الفرد بمعنى أن حالة الاشباع لاتدوم طويلا لدى صياد السمك، ومعاوده الاحساس بالجوع من جديد. وبالتالى يسط السمك لديه قيمته مرة ثانية، وهذا هو الحرمان من الاشباع[2].

وقد أوضح هومانز فى هذا الصدد «أن هناك صعوبة فى تقدير قيم الانسان وبالتالى فى تفسير سلوكه. والتى ترجع إلى أن القيم ليست غريزية ولكنها مكتسبة بمعنى أن قيم الانسان تشبه الغذاء فى عموميته، فبالرغم من أنه ليس هناك أنواع معينة من الغذاء تولد مع الانسان، الا أن الانسان يكتسب قيما أخرى كما يكتسب أنواعا مختلفة من الغذاء وهو فى طريق اشباع حاجاته الغريزية. وبالتالى كان هناك العديد من المكافآت التى تكتسب قيمتها وفقا لظروفها الخاصة، ووفقا لتكرارها وتتضح ذلك فى قيم البرستيج، وحب الأم والتى يمكن أن تكون غريزية[3].

هـ- ويرى هومانز فى تفسيره للسلوك الانسان فى اطار هذه القضية الرابعة، أن تصور القلق قد ينتج من الحرمان من الاشباع، ومن ثم دخل فى معالجة كبرى للسلوك العاطفى لدى الانسان من خلال مفهوم القلق. وذلك باعتبار أن الانسان هو واحد من أكثر الحيوانات عاطفية، ويأتى ذلك من خلال الأدوار التى يلعبها فى حياته اليومية من حب وكره، وفرح وحزن، وأمل وخوف، وراحة وتعب، ومن ثم فسر هومانز حالة الاحباط التى تبدو فى السلوك العاطفى لدى الصياد فى ضوء فهمه لهذا

(1) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 37.

(2) Ibid., p. 38.

(3) Ibid., p. 38.

لامعنى لمفهوم القلق، اذ يفاجأ الصياد بالفشل في الحصول على السمك من المكان الذى اعتاد الصيد فيه. وبالتالى تعتريه حالة من القلق والغضب. وتتبلور فى هيئة سلوك عدائى نحو تحطيم أداة صيده. بمعنى أن الصياد أصبح قلقا وثائرا الا أنه لم يحصل على ماتوقعه وأحبط. وتلك هي القضية الخامسة لدى هومانز(١).

وقد أطلق هومانز على تلك القضية الخامسة قضية الاعتداء المحبط Frustration Aggression. ويرى أن أبعادها تحتاج إلى تحديد أكثر على الوجه التالي: أولا - أن مايتوقعه الانسان يكون محددا فى اطار القضية الثانية، أى من خلال مجموعة الدوافع الحالية والمتشابهة مع الدوافع السابقة للنشاط السابق الذى أثيب عليه. وبالتالى يتوقع الفرد أن يكافأ نشاطه الحالى مثلما كوفىء فى الماضى، ولايكون هناك احباط أو غضب. ثانيا - يترتب على أنه اذا كان نشاط الانسان ناجحا ومكافأة بنفس المستوى السابق كما توضحه القضية الأولى، أن تكون المكافأة أكثر قيمة بالنسبة له كما توضحها القضية الثالثة. ثالثا - يترتب على فشل الشخص فى الحصول على المكافأة فى الوقت الحالي أن يغير من توقعاته بالنسبة للمستقبل. فاذا فشل فى الحصول على مكافآت تلائم توقعاته ربما يكون لديه أقل غضبا. سواءا أكان شيئا أو شخصا. وبوجه عام ترى القضية الخامسة أنه فى حالة الغضب والثورة الناجمة من الاحباط، تكون النتائج المترتبة على السلوك العدائى نسبيا أكثر قيمة عما كانت لديه سابقا(٢).

٤- الفهم السيكولوجي لدراسة السلوك الانسانى فى اطار التفاعل الاجتماعى.

وفى اطار رؤية هومانز أن تفسير قضايا السلوك الانسانى يخضع للقوانين السيكولوجية وسواء كان يتعامل هذا السلوك مع البيئة الفيزيقية أو فى اطار التفاعل الاجتماعى. فقد استبدل مثال الصيد والذى يمثل تعامل الانسان مع البيئة الفيزيقية، بمثال ينهض على التفاعل فى وجود شخصين - ويطلق عليه علاقة الشخص بالآخر، وتجمعهما علاقة عمل فى المكان نفسه.

---

(1) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 39.

(2) Ibid.op.cit, pp. 39 - 40.

أورد هومانز أنه أخذ هذا المثال من كتاب «البيروقراطية الديناميكية» لبلارر P.M.Plaur ص ص ١٦٩ - ١٧٩.

وقبل عرضنا لمحتوى نظرية هومانز في فهم وتفسير السلوك الاجتماعي والعمليات الاجتماعية، وعلى الأخص العمليات التفاعلية في ضو اهتماماته السيكولوجية، نرى من الأهمية في البداية ايضاح الأسس التي يقوم عليها التفاعل الاجتماعي لديه. وقد أوضح هومانز أن تلك الأسس تتمثل في أن التفاعل يتم بين شخصين يكافئ كل منهما الآخر، فالآخر يمنح النصيحة والشخص يعطي التوافق، وذلك على اعتبار أن الأنشطة بينهما تكون غير متشابهة بالضرورة. ومن ثم يدخلان في أكثر من نوع من التفاعلات المختلفة فقد تصل العلاقة بينهما إلى درجة الرسوخ ويكافيء كل منهما الآخر بأكثر من طريقة، ويصبحا أقل رغبة في التفاعل مع شخص آخر. وقد يتخذ التفاعل بينهما صورة عدم التوافق حين يعبر الشخص عن عدم موافقته على رأى الآخر، ويسحب منه توقعه للمكافأة وبالتالي يترك الآخر نموذج التفاعل معه ويمتنع عن تزويده بالنصيحة نتيجة لشعوره بالاحباط الناجم عن عدم حصوله على التوافق[1].

ونحاول الآن الوقوف على المبادىء والأفكار النفسية والتي تنهض عليها تلك العلاقات التفاعلية السيكولوجية بين الشخص والآخر. وذلك من خلال المكافأة والعقاب، والقبول والرفض والاتفاق والاختلاف، والدوافع والمشاركات، وسيكون ذلك في ضوء القضايا السلوكية التي وضعها هومانز لفهم وتفسير السلوك الانساني. ففي القضية الثانية والتي أسماها بقضية الدافع يرى، أنه اذا لوحظ في الماضي أن وجود دافع معين في وقت معين، يرافقه حدوث الظروف التي من خلالها يكافأ نشاط الفرد فاذا وجدت في الوقت الحالي دوافع أكثر تشابها مع الماضية، يكون لدى الفرد رغبة كبرى في الاقدام على نفس النشاط المتشابه[2]. بمعنى أن الشخص يمكن أن ينظر إلى الآخر على أنه شخص أو خبرة ويمكن أن يمنحه النصيحة، في ضوء خبراته ونجاحاته السابقة. ومن ثم يوجد لدى الشخص الدافع في أن يسأل الآخر عن المساعدة، وفي مقابل هذه المساعدة يحصل الآخر على مكافآته المتمثلة في الشكر على هذه المساعدة[3].

(1) Homans, Fundamental Social Process, op.cit p.45 - 46.

(2) Homans, Social Behavoiur. London: Rotledge and Kegan Paul, 1961, p. 53.

(3) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 42.

والقضية الثالثة – مؤداها «أنه كلما كان الشخص أكثر حاجة إلى النصيحة كلما كان أكثر طلب لها، بل وأكثر تقديما للشكر عندما يحصل عليها. وفي المقابل كلما كان الآخر أكثر حاجة للتوافق، كلما كان أكثر اقداما على منح المساعدة».[1]

ويشير هومانز إلى أن القضية الثانية والثالثة يبينان أن تكرار التفاعل بين الشخص والآخر يعتمد على تتابع الحدوث بينهما، والذى يعتبر في حد ذاته اثابة لنشاط آخر. كما يعتمد هذا التكرار على قيمة أى نشاط يتلقاه الشخص من الآخر. بمعنى أن القيمة المتعلقة بالنشاط المتمثل فى المساعدة التى يتلقاها الشخص من الآخر تكون نسبية. فقد تكون قيمة المساعدة في أوقات ما عالية، وفى أوقات أخرى قد لايسعى الفرد اليها. ومن ثم انتهى هومانز إلى أن السوسيولوجين يرون أن القيم تكون نسبية بين شخصين في حالة تفاعل[2].

وقد اعتمد هومانز على القضية الرابعة – قضية الحرمان من الاشباع – فى تفسير السلوك الاجتماعي المتضمن فى تلك العلاقة التفاعلية بين الشخص والآخر ويرى «أنه فى الغالب اذا ماتلقى الفرد فى الماضى القريب مكافأته على نشاط من الآخر، فسوف تقل قيمة أى وحدة قادمة من هذا النشاط بمعنى أن الشخص بعد حصوله فيالوقت الحالى على المساعدة الزائدة من الآخر، فسوف تقل فى نفس حاجته إلى المساعدة وكذلك رغبته فى طلبها وبالتالى يقل أيضا تقديمه للشكر[3].

وانتهى هومانز فى هذا الصدد إلى أن الشخص اذا كان ينجز نشاطا ما وتعود الحصول على اثابة بشكل منتظم من الآخر، ثم وجد فى ظرف ما أن الاثابة تتوقف ولن يحصل عليها. فسوف يصل إلى حالة من الاعتداد المحبط. وهذه هى القضية الخامسة لديه، والتى تعنى امكانية حدوث الغضب والثورة نتيجة الشعور بالاحباط اذ تتخذ هذه الثورة فى سلوك الشخص هيئة عدائية تبدو فى سلوكه تجاه الشخص الآخر. ويترتب على ذلك رفض الشخص الدخول فى أنشطة مستقبلية مع الآخر، حتى ولو

---

(1) Homans,Social Behaiour, op.cit p. 55.

(2) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 42.

(3) Homans, Social Behaviour, op.cit p. 55.

كان مزال فى حاجة إلى النصيحة. وفى اطار هذا التفاعل الذى وصل بالشخص الى الاحباط، نجده يبحث عن سبل أخرى للحصول على مايحتاجه، ويدخل فى نشاط مباشر مع شخص ثالث يمكن أن يزوده بالنصيحة، وفى الوقت نفسه يبحث الآخر عن شخص ثالث أيضا يمكن أن يزوده بالتوافق الذى أنكره عليه الشخص الأول[1].

ويتضح لنا من استعراض قضايا هومانز السلوكية التى وضعها لفهم وتفسير السلوك الانسانى. سواء فى علاقته بالبيئة الخارجية أو فى ضوء التفاعل الاجتماعى. وأن تلك القضايا تعتمد على مفاهيم وتصورات نفسية مثل: العواطف، والدوافع، والرغبات، وتخضع فى تفسيرها لهذا السلوك إلى القوانين السيكولوجية العامة على النحو التالى: ففى محاولة هومانز تفسير السلوك فى علاقته بالبيئة الفيزيقية من خلال مثال الصيد. أوضح أن هذا التفسير يعتمد على فهم رغبات ودوافع الفرد التى تدفعه إلى السلوك. وأيضا يعتمد هذا التفسير على مدى القيمة التى يحملها الفرد وتتعلق بالنشاط الذى يقدم عليه. كما يعتمد أيضا على مدى استجابة البيئة لهذه الدوافع والرغبات، ومايستتبع ذلك من عمليات نفسية شعورية من: نجاح أو فشل، اشباع أو حرمان، اثابة أو احباط. وتتم تلك العمليات النفسية فى اطار السعى للحصول على المكافأة التى يهدف إليها نشاط الفرد.

كما يبدو أيضا لنا المحتوى النفسى لقضايا هومانز السلوكية فى تفسيرها لعلاقات التفاعل بين الشخص والآخر، اذا حاول تفسير قضايا السلوك الانسانى والجماعة الاجتماعية، معتمدا على مفاهيم نفسية مثل: المشاركة السيكولوجية ومدى التأثير فى الوظائف المتبادلة بين الشخصين. كما اعتمد أيضا على العواطف التى تمثل عمليات داخلية تكمن وراء السلوك وتفسر العلاقة بين الاثنين فى ضوء: الدوافع، والرغبات ومشاعر القبول، والتوافق، والرفض، والتنافر. كما أضاف هومانز أيضا المعايير واعتبرها عنصرا مهما فى تفسير السلوك. ويمكن القول فى هذا الصدد أن ذلك يمثل اسهاما لاتجاه هومانز النفسى فى مجال دراسة القضايا النظرية لعلم الاجتماع. اذ حاول تفسير

---

(1) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 42-44.

قضايا السلوك الاجتماعى والعمليات الاجتماعية والجماعة، معتمدا فى ذلك على مفاهيم نفسية مثل: الدوافع والعواطف التى تكمن خلف السلوك. وأضاف أيضا مفهوم المعايير باعتبارها تمثل القيمة المتعلقة بالاثابة التى يهدف الفرد من نشاطه إلى الوصول إليها.

٥- النزعة السيكولوجية الوظيفية فى دراسة السلوك الانسانى لدى هومانز.

ونحاول الوقوف على الواجهة السيكولوجية التى ميزت اتجاه هومانز النظرى الوظيفى، فى تفسير قضايا السلوك الانسانى أو سلوك الجماعة أو النسق الاجتماعى. اذ كان يعتقد أن مهمة علم الاجتماع هى دراسة سلوك الجماعة بتحليله إلى عدد من العناصر التى تتناول الاعتماد فيما بين[١] فبعد تحليله لعناصر السلوك الاجتماعى وما تنهض عليه من قواعد نفسية. أوضح هومانز أن قضاياه الخمسة التى قدمها اذا كانت لاتستوعب كل مجالات علم النفس السلوكى التى يمكن أن تستخدم فى تفسير السلوك الانسانى، الا أنها قدمت الحد المطلوب فى تفسير الواجهات البسيطة للسلوك الاجتماعى. وتبدو أهمية تلك القضايا فى أنها تدعم حقيقة جوهرية تتمثل فى أنها ليست منفصلة فى أهدافها. بل تتحد فى تفسيرها للسلوك الانسان فى ضوء واجهاته الذاتية وفى اطار تفاعلنا مع الآخرين[٢].

وتبدو الواجهة النفسية لهذا التساند والاعتماد الوظيفى المتبادل فى الأهداف، بين قضايا هومانز السلوكية التى وضعها لتفسير السلوك الانسانى والعمليات الاجتماعية فى أنها كما أوضح تدعم حقائق سيكولوجية هامة، وقد أشار شاوديك جونز فى هذا الصدد إلى أن تلك القضايا لدى هومانز والتى وردت فى كتابه السلوك الاجتماعى،

---

(١) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ٣٨٨.

اذا كان هومانز يرى أن النشاط الانسانى سواء فى علاقته بالبيئة الخارجية أو النسق الداخلى، يقع تحت تأثير الاثابة والعقاب ويخضع لنفس القوانين السيكولوجية الانسانية. الا أن الباحث يرى أن تفسير قضايا السلوك فى ضوء علاقة الشخص بالآخر تحكمه قضايا سيكولوجية أعمق فى اطار التأثير المتبادل. بالاضافة إلى احتمالات التغير فى صوره السلوك المستقبلية فى علاقة الشخص بالأكثر أكثر من علاقة الشخص بالبيئة.

(2) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 40.

تعتبر نتائج لفروض ضمنها في دراساته التجريبية عن الحيوانات في مواقف غير اجتماعية، بمعنى أن هذه القضايا في ذاتها قد أتت من مجال علم النفسى السلوكى. ثم حدث تحول على نظرية هومانز، بحيث يمكن القول أنه انتقل من استخدام الألفاظ المتعلقة بالمجال الحيوانى والاقتصادى، مثل استخدام مصطلح المكافآت والعقوبات بدلا من مصطلح الفرض. وبذلك يكون هومانز انتقل من مجال الامبريقية الصارخة المتمثلة فى علم النفس التجريبى إلى التفسير فى اطار الدافع داخل النسق الاجتماعى. وذلك على اعتبار أن السلوك الانسانى موجه تجاه الآخرين فى اطار الجماعة. وبالتالى لم يؤكد هومانز على التكوين الانسانى الفردى لدى الفرد، والذى ينقص من الاستمتاع بالمشاركة الاجتماعية فى علاقته بالآخرين[1].

ويتضح مما سبق أن هومانز كان يساير النزعة الوظيفية الاجتماعية. وقام بوضع نظرية اجتماعية تحتوى على قضايا عامة لتفسير السلوك الاجتماعى والعمليات الاجتماعية. وتعتمد فى الوقت نفسه على التساند الوظيفى فيما بينها، وتشتمل على كل خصائص هذا السلوك بما يحقق الفهم والتفسير السليم له. وقد اتخذت نزعته الوظيفية هذه واجهة سيكولوجية، اذ أتى هومانز بقضايا، تلك من مجال علم النفس التجريبى وانتقل بها إلى مجال النسق الاجتماعى، ثم حاول تفسير السلوك الاجتماعى والعمليات الاجتماعية فى اطار الدوافع التى توجه السلوك اتجاه الآخرين. وأيضا من خلال عمليات المشاركة الاجتماعية، وذلك بهدف الوصول إلى المكافآت والاثابات، وسواء تمثل هذا السلوك الاجتماعى فى علاقته بالبيئة الخارجية، أو فى علاقة الشخص بالآخر داخل النسق الاجتماعى.

وأخيرا يمكن اجمال تلك الواجهة السيكولوجية فى نظرية هومانز الوظيفية، من خلال قضايا، الخمسة والتى وضعها لتفسير السلوك الانسانى على النحو التالى: فالقضية الأولى لديه «تعتبر فى جوهرها دراسة للشروط العامة للتعلم والدوافع العامة. على اعتبار أنها تقرر أن النشاط اذا كان فى موقف ما فى الماضى مكافأ. وكان الدافع له فى الوقت الحاضر متشابها، فحينئذ تكون هناك أكثر امكانية فى تكرار نفس

(1) Jones, J.K. Chadwick., op.cit. pp. 157 - 158.

النشاط. وتمثل هذه القضية دراسة عامة فى التعلم... وتتفق هذه القضية مع النظريات ذات العاملين فى تفسير التعلم من خلال الاتصال والدافعية»[1].

ويلاحظ أيضا أن قضايا الدافعية والقيمة والحرمان من الاشباع لدى هومانز تتخذ من العلاقة تكرار النشاط وتكرار المكافأة أساسا لتفسير السلوك الانسانى ويأتى ذلك فى ضوء الدوافع التى تكمن خلف سلوك الأفراد، وفى ضوء القيم التى ترتبط بالمكافآت التى يسعون للحصول عليها من خلال أنشطتهم. وهذا يمثل واجهة للقضايا الثلاثة فى تفسيرها للسلوك الانسانى والذى جاء فى ضوء تكرار المكافآت والدافعية والقيم. وقد أورد هومانز فى هذا الصدد «أن القضية الثانية» تقرر العلاقة بين قيمة المكافأة وتكرار السلوك و«القضية الثالثة» تحدد العلاقة بين تكرار المكافأة والموقف الداخلى لدى الفرد.. فكلما كانت المكافأة أكثر تكرارا فى نشاط الفرد، كلما كانت أقل قيمة يمنحها لها فى داخله. أما «القضية الرابعة» فتتمضن مبدأ الاشباع بحيث اذا كان النشاط الذى يؤديه الشخص مكافأ من قبل الشخص الآخر بصورة غالبة ومستمرة، فسوف يصبح هذا النشاط أقل قيمة لديه»[2].

وفى «القضية الخامسة» يشير جونز إلى أن هومانز قد تصوره فيها عن توزيع العدالة وأشار إلى توقعات الشخص للمكافآت التى يستحقها وتقديراته بمعنى أن هذه القضية تحدد نسبة تقديرات الشخص إلى مكافآته، بحيث تكون موزعة فى معدل متناسب بالنسبة لبعضها البعض. فالشخص الذى يسهم بالكثير فهو يتلقى أيضا الكثير. ومن ثم كانت العدالة لدى هومانز تشكل المتغير الثالث المتضمن فى قضاياه التفسيريه الخمسة لدراسة السلوك الانسانى. ويضاف إلى العدالة كل من تكرار المكافآت ودرجة القيمة المرتبطة بتلك المكافآت والتقديرات[3].

وقد قال هومانز بصدد تفسيره السيكولوجى للمتغير الثالث الذى ضمنه فى قضيته الخامسة – الاعتداء المحبط – ليمثل التوزيع العادل بين نسبة تقديرات الشخص

---

(1) Jones, J.K. op.cit. pp. 159 - 160.
(2) Jones, J.K. Ibid.; pp. 159 - 160.
(3) Ibid.p. 161.

إلى مكافآته: «أنه كلما لحق بالانسان الضرر، يختل ادراكه للتوزيع العادل بين نسبة تقديراته إلى مكافآته. وتوجد أكثر امكانية في ظهور السلوك العاطفي، الذى يسمى بالغضب»[1]. وقد ترتب على تفسير هومانز السيكولوجي هذا التوزيع العادل بين نسبة تقديرات الشخص إلى مكافآته. أن نظر إلى العدالة على أنها تمثل قيمة متغيرة لدى الناس وان كانت هناك صعوبات تتعلق بمقياسها المتغير، الا أنه وقف على المشكلة الرئيسية المتعلقة بمقياسها، وذلك حين أوضح أن شخصين قد يحتاان في ايجاد مقياس لتغير القيم. فبالرغم من اتفاقهما على قانون العدالة في التوزيع بين المكافآت والاثابات والاحباطات، الا أنهما قد يستخدما موازين مختلفة للقيم. وهذا يعنى أنهما لايتفقان على العناصر التى سوف تحسب وتقيم المكافآت. ومن ثم يكون هومانز قد تعرف على الصعوبة المتعلقة بالمقاييس الذاتية والمختلفة لقياس وتقدير القيم[2].

وهكذا يبدو لنا واضحا أن تفسير هومانز للسلوك الانساني بواسطة قضيته الأخيرة الاعتداء المحبط – قد نهض على أفكار ومفاهيم نفسية تمثلت في: ذاتية ونسبية القيم الخاصة بالمكافآت. وكذلك فسر حالة الاحباط التى يصل اليها الشخص نتيجة لفشل تقديراته في الحصول عليها تفسيرا نفسيا. وذلك على اعتبار أن سلوك الشخص يتخذ واجهة عدائية عاطفية يتمثل في الغضب والثورة.

إذ يرى (شادويك جونز) J.K.Chadwick Jones في هذا المجال أن (هومانز) فى كتابة السلوك الاجتماعى «أشكاله الأولية» – يفسر السلوك الانسانى من خلال وصفه لبناء رئيسى من القضايا العامة General Propositons أو ملحقات، وقضايا موصوفة وأيضا حالات موجودة Givin Conditions، تلك الحالات التى تسمح بتطبيق القياس على النتائج الامبريقية، وفى ضوء هذا قدم خمس قضايا عامة، ومنها استنتج عدد كبير من القضايا وملحقاتها فى تفسير السلوك الانسانى، وهو فى ذلك يتابع الاجراءات المتبعه عن النظريات السيكولوجية المعرفة جيداً، وكما هو متبع فى

(1) Homans, Social Behaviour, op.cit p. 75.
(2) Jones, J.K. op.cit. p. 162.

نظريات التعليم Learning Theory، حيث يستخدم عدداً قبس من القضايا العامة العامة فى وضع الشروط الرئيسية للنظرية. ويضيف (جونز) أنه قد قصد من تقديمه للخمس قضايا العامة الأولية[١]، تفسر العلاقات الاجتماعية بين الاعتمادات واللااعتمادات المختلفة، وحيث تقرر تلك العلاقات فى هيئة نظام من :قضايا والتى تكون موصفوه فى نطاق برهنه البحث. وقد أوضح (هومانز) إن الواجهة النهائية الأكثر أهمية لكتابة «الجماعة الانسانية» Human Group (1951) تمثلت فى تقديم التصورات والفروض العملية بدون الديني وذلك فى خطة تفسيرة، ولكنه فى كتابه الثانى «السلوك الاجتماعى» Social Behavoiur قد جعل فى محاوله واضحه لتطبيق جسم واحد من «القضايا» Propositions المناسبة لتلك الحالات الواقعية واتجاهاتها، وكان تأكيده الرئيسي على عملية المتغيرات الاجتماعية: عناصر السلوك الانسانى الأولية والتى تتمثل فى «التفاعل» أو الاتصال الاجتماعى، «الاحساس» أو «الاتجاهات» الأنشطة العاطفية المشارطه، وباستخدامه تلك الأوليات فى عنصار السلوك الانسانى كان قادراً على تفسير كل موقف اجتماعى موصوف فى الدراسات العلمية[٢]. هذا وقد أوضح (جونز) أن «أن المناقشة النظرية فى كتابه «السلوك الاجتماعى»، بتبدأ من المدخل الاستقرائى فى الجماعة الانسانية حتى يصل إلى النظرية الاسقاطية فى كتابة «السلوك الاجتماعى»، التى تأخذ بتفسير السلوك أفقيا من خلال تأكيدها على الواجهات السيكولوجية مثل الدافع، والشعور، القرار الذى يشتمل على تقييم وتوقع المكافأة والثمن[٣].

وسوف يتضح من خلال تفسيرنا لعناصر السلوك الانسانى التى درسها (هومانز) بواسطه قضايا السلوكيه الخمسه – التى سبق معالجتها – مدى اعتمادى أيضا على

---

(١) سبق الاشاره فى معالجة السلوكية الاجتماعية فى دراسات (جورج هومانز) للخمس قضايا السلوكية ومناقشه للمحتويات السيكولوجية للسلوك الانسانى مع ملاحظة عدم التفرقة فى تطبيقها على نمط التفاعل الانسانى مع البيئة الخارجية والنسق الخارجى– فى اطار المكافأة والعقاب. أو على نمط التفاعل الانسانى مع الشخص الآخر فى اطار الجماعة.

(2) Jones. J.K. Chadwick., op.cit. pp. 151 - 152.

(3) Ibid.p. 152.

المنهج العضوى وتبشيه للنظرية العضوية السيكولوجيه في تحليل عناصر السلوك الإنساني وتفسيرها، وسواء في حاله تعامل الفرد مع البيئه الخارجيه، وكما هو في مثال «الصيد»، أو حاله تعامله مع نشاط شخص آخر من خلال التفاعل الاجتماعي وكما هو في المثال الثاني علاقة «الشخص بالآخر» – يتضح ان تلك القضايا ماتقوم في جوهرها على تفسير السلوك الانساني في ضوء محتويات السيكولوجية، وليس على وصفه، وتعكس بوضوح، الجوانب السيكولوجية، وليس على وصفه، وتعكس بوضوح، الجوانب السيكولوجية في تفكيره، والتى تتضح اذا ماعرفنا ان تلك القضايا قد ذهبت في تحليلها لعناصر السلوك الانساني بوجه عام إلى تقسيمها إلى «تفاعلات» و«أنشطة» و«أحساسيس» ففي المثال الأول – يحدد أهداف السلوك الانساني في اطار «المكافآت» Rewarls و«العقاب»، كما يفرس حالات الاشباع والحرمان التى تصل اليها الفرد في اطار مكافآته وعقابه. ولايغفل في هذا الصدد الحالات الداخلية للفرد التي تصف علاقته بالبيئة وتحتوى مضموناً ذاتياً يتمثل في «الدافعية» Sfimulia ومايتبعها من نشاط مدفوع تجاه: الرضا والارتياح أو القلق النجاح او الفشل والاحباط. وفي المثال الثاني – في اطار التفاعل الاجتماعي فهو لايخرج عن نطاق التفسير السيكولوجي لعلاقة «الشخص بالآخر»، في اطار المشارطه التي تعتمد على تأثير الآخر في الشخص بإسلائه النصيحه له، في مقابل منح «الشخص» له التوافق – تلك العلاقة السيكولوجية في اطار التأثير والتأثير في اطار الجماعة والتى يتفق فيها مع كل من (ميد) و(كولي) – وفي حالة التوافق تلك يصل الفرد إلى حالة الاشباع، تلك التي تعكس وراءها فيما متغيره، وصعوبات تكمن في تحديد قيم الشخص – لأنها لاتعتمد على الدوافع الغريزيه اللاشعوريه فقط، بل تعتمد على مايكتسبه الشخص في الحياه من سمات ومبادىء وأفكار حملها خلال عمليات التنشئة الاجتماعية. وعن تسلسل قضايا (هومانز) في فهم تلك العلاقة العضوية السيكولوجية بين «الشخص والآخر». يبدأ بقضيه النجاح – الذى يتحقق لدى الشخص الآخر في حصوله على التوافق من «الآخر» مما يدفعه إلى تحقيق هذه العلاقة بصوره أوثق وتكراراً. ووفقاً للقضية الثانية – يرى (هومانز) ان حصول

«الشخص» على النصيحة من الآخر يكون فى اطار الدوافع التى تؤدى به إلى طلب النصيحه، وعلى اعتبار أنه يكون أكثر منه خبره، فى حين توجد لديه القابليه فى ان يتقدم له بالشكر، وهى علاقة سيكولوجية تعتمد على الدافعيه وفى اطار التأثير والتأثر. وإذا ما أنتقلنا إلى القضية الثالثة - نجد أن تفسير (هومانز) لمدى حاجة «الشخص» فى الحصول على النصيحة يعتدم على مدى القيمة المتعلقه بهذه النصيحه، تلك تعتمد فى تفسيرها على صعوبات كثيره، لأنها تكون نسبيه، ولاتعتمد فقط على الدوافع الداخلية الغريزية. بل تقوم أيضا على أمور يكتسبها «الشخص» من خلال إحتكاكه مع «الآخرين شكلاً لاتجاهات شعوريه ولاشعوريه تحوهم: سواء بالحب أو الكره،القبول أو الاشمئزاز والنفور، أو الرضا والقبول. الخ..... وعن قضية الحرمان من الاشباع - يبدو أن تفسير (هومانز) لها كان على مستويين:

الأول: يكمن فى اعتبار ان الاشباع فى علاقة «الشخص» «بالآخر» يحدث فى حين يسدي «الآخر» النصيحة اليه، ويمنح «الشخص» القبول والتوافق، أما الحرمان وفقاً لهذا يحدث فى ضوء تغير التوقعات التى تحدث مع تكرار وتغير التفاعلات المستمره بينهما، فى وقت يكون فيه «الشخص» متوقع للنصيحه من «الآخر»، ومن ثم يحدث الحرمان من الاشباع اذا أمتنع «الآخر» فجأة عن تقديم النصيحه. والمستوى الثاني: يتمثل فى ان هذا الحرمان من الاشباع «لدى الشخص» وشعوره بالاحباط وعدم حصوله على مايتوقعه من الآخر، ومايؤدى إليه من دلالات سيكولوجية، حيث يعيش الشخص فى حاله من التوتر والغضب يؤدى به إلى «الاعتداء المحبط» وهو القضية الخامسة - فى قضايا (هومانز) والتى يرى فيها ان هذا العداء الذى ينجم عن الحرمان من الاشباع، يوجه نحو «الآخر» ويعتبر فى نفس الوقت «مكافأة» واشباعاً له نظراً لأن «الآخر» لم يقدم له النصيحه التى توقعها منه بإستمرار. وبالتالى يضطر كل من الاثنين إلى البحث عن شخص ثالث ليمنح كل منهما ما أفتقده ولم يحصل عليه من الآخر، وليصبح أكثر اشباعا وتوافقا بدلا من حالة القلق والتوتر التى تنتابه، وسواء كان هذا الاشباع متعلق بما تفرضه عليه وطلبات الغرائزيه، أو تفرضه عليه توقعاته فى محيط العمل وعلى ضوء مايحمله من اتجاهات واستعدادات وميول عاطفية.

وتجدرا الاشاره فى هذا الصدد إلى أن نتائج تلك التحليلات النظرية كانت محاولة أكثر شمولاً وادراء لفهم وتفسير السلوك الانسانى من خلال تأكيده على الواجهات السيكولوجية، وذلك فى بناء من القضايا يبدأ من عدد صغير من القضايا، ويتحرك من خلال الاسقاط حتى يتنبأ بالسلوك الشخص فى تصنيفاته المختلفة ويرى (جونز) ان هذا كان من خلال ستين دراسة تطبيقية امبريقية نفدت على وجه التحديد بواسطه على النفس الاجتماعى، وجاء فى تقرير امبريقى (1958) ذلك التقرير الذى يعدد واحداً من أكثر التقارير سيكولوجية وندره، والذى يدين بالواجب إلى «الجماعة الانسانية» والذى كان بلاشك هو الكتاب المثير إلى ظهور كتاب «الجماعة السيكولوجية» والذى ظهر فى السنين الأخيرة منطوياً على الأهمية الكبرى فى مدى إلهامه للنظرية السيكولوجية Socialpsyhology Theory[1].

وهكذا يتضح مدى ظهور تلك العلاقة العضوية السيكولوجية فى تناول (هومانز) لعلاقة الفرد بالبيئة، أو فى علاقة بالشخص الآخر داخل اطار التفاعل، بمعنى انه اذا كان يتخذ اتجاه النزعة السلوكية فى دراسة السلوك الانسانى، الا أنه قد أتخذ ذلك فى نطاق مدخله الاسقاطى وفى اطار المحتويات السيكولوجية - التى سبق ذكرها - وهذا مايوضح مدى إتقان (هومانز) مع (كولى) و(ميد) فى اهتمامهم بتلك العلاقة العضوية بين الفرد والآخر فى نطاق الجماعة الاجتماعية، وأيضا وضوح تلك العلاقة فى اطار السلوك ومن خلال عمليات المشاركه الاجتماعية. وقد أكد (هومانز) اهتمامه فى هذا الصدد وتوافقه مع (ميد) بقوله:

«انه يكون حقيقياً اننا نشارك كل بدوره فى عمليات التعاون، والصراع، والتوافق، والقوه، تلك العمليات الاجتماعية، التى تأخذ طابع الاستمرار فى أى مكان وفى اى وقت، وفى كل المجتمعات، وذلك على عكس البناءات الاجتماعية التى غالباً، ماتختلف من مجتمع إلى آخر، ومن جماعة إلى أخرى داخل نطاق المجتمع الواحد، ومن ثم يطلق (ميد) على تلك العمليات الاجتماعية أنها أساسية، وان دراسة المجتمع تبدأ بدقة من تلك الطبائع، وان الواجهات البنائية للمجتمع تأتى بعدها[2].

---

(1) Jones J.K. Chadwick; op.cit .p. 153.

(2) Homans, "Fundamental Social Processes", op.cit p. 31.

٦- خاتمــة الفصل الرابع:

بعد عرضنا لعناصر السلوك الاجتماعي لدى هومانز ثم القضايا السلوكية التى اعتمد عليها فى تفسيره النفس للسلوك الانسانى على مستويين: الأول - فى علاقة السلوك بالبيئة الفيزيقية أو النسق الخارجى، والثانى - فى علاقة سلوك الشخص بالآخر من خلال التفاعل الاجتماعى. وأخيرا عرضنا للواجهة السيكولوجية لنظرية هومانز الوظيفية فى دراسة السلوك الانسانى بوجه عام. سنحاول الآن الوقوف على اسهام هومانز من خلال اتجاهه السلوكى هذا فى مجال قضايا علم الاجتماع النظرية المنهجية بوجه عام؟.

ويمكن القول أنه فى مجال المفاهيم: اعتمد هومانز فى دراسته لقضايا السلوك الاجتماعى والجماعة أو النسق الاجتماعى على مفاهيم تعميمية ذات محتوى نفس سيكولوجى، وقد اعتبر تلك المفاهيم تشكل عناصر لهذا السلوك الاجتماعى. حددها بنشاطات الأفراد داخل اطار الجماعة والتى تتم من خلال عمليات التفاعل. ذلك التفاعل الذى ينهض على التأثير المتبادل للشخص فى الجماعة، وتأثير الجماعة فيه من خلال عمليات المشاركة السيكولوجية والمعانى الرمزية أما «العواطف» فهى تمثل العمليات الداخلية التى تلعب دورا مهما فى توجيه سلوك الشخص وتبدو فى نغمات الصوت، وتعبيرات الوجه، وأوضاع الجسم، والدوافع والمشاعر الداخلية ثم أضاف هومانز مفهوم «المعايير» باعتبار أنها تمثل القيمة المتعلقة بالمكافأة التى يسعى اليها نشاط الأشخاص. بحيث يمكن القول بأن استخدام هومانز لمفاهيم: النشاط والعواطف والمعايير - بما تنهض عليه من مبادىء نفسيه - فى تفسير قضايا السلوك الانسانى، يعتبر اضافة الى مجال مفاهيم علم الاجتماع. ويمثل اسهاما يساعد فى اثراء الفهم والتفسير لقضاياه النظرية فى ضوئها.

ويلاحظ أيضا أن القضايا السلوكية التى وضعها هومانز لتفسير السلوك الانسانى، هى قضايا نفسية فى جوهرها. وتهدف إلى الوصول إلى نظرية اجتماعية فى دراسة التفاعل الاجتماعى والعمليات الاجتماعية داخل نطاق «الجماعات الصغيرة أو النسق

الاجتماعي»[1] ويمكن فهم هذه القضايا في ضوء متابعة هومانز للاتجاهات الوظيفية وفي واجهتها السيكولوجية اذ تتضح تلك الواجهة الوظيفية السيكولوجية لهذه القضايا في اعتمادها في تفسير السلوك الانساني بوجه عام على التساند الوظيفي فيما بينها ومن خلال القوانين السيكولوجية العامة. والتي تبدو في المكافأة والعقاب، والدوافع والعواطف التي تفسر السلوك الخاص بالآخرين، والمعايير التي تمثل القيم وتوجه سلوك الأشخاص. وقد جاء هذا التفسير على نطاقين: الأول –في ضوء علاقة السلوك بالبيئة الخارجية أو النسق الخارجي والثاني – في ضوء علاقة السلوك بالشخص الآخر من خلال عمليات المشاركة والتفاعل الاجتماعي داخل اطار الجماعة أو النسق الاجتماعي الداخلي.

ويمثل ذلك تأييد لاتجاه جورج هومانز النفس في مجال دراسة القضايا النظرية لعلم الاجتماع. اذ حاول الوصول الى تعميم نظرى من خلال دراسات تفصيلية أجراها واعتمد على قوانين سيكولوجية ترجع إلى مجال علم النفس السلوكي.

وانتهى إلى قضايا سلوكية خمسة ذات محتوى نفسي، وحاول الاعتماد عليها في تفسير قضايا السلوك الاجتماعي والعمليات الاجتماعية والجماعة أو النسق الاجتماعي. وجاء هذا التفسير في اطار مفاهيم نفسية مثل: الدوافع والعواطف، والتي تمثل عمليات داخلية تقف خلف السلوك وتساعد على تفسيره. ثم أضاف المعايير باعتبارها تمثل القيمة المتعلقة بالمكافأة التي يهدف الفرد من نشاطه إلى الوصول اليها.

أما اسهام هومانز في مجال منهج علم الاجتماع من خلال اتجاه السلوكية

---

(١) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ٣٨٩.

ولقد تمكن هومانز في ضوء تفسيره النفسي للسلوك الانساني داخل اطار الجماعة أو النسق الاجتماعي من «اكتشاف تفسيرات صحيحة تتعلق بقضايا الجماعة في الحياة الواقعية. مما اعتبر توثيقا بالغ الفائدة للبحوث المعاصرة في سبيل وضع نظرية للجماعات الصغيرة «نيقولا تيماشيف»، نفس المرجع، ص ٣٩٠ ويمكن القول أن هذا يمثل اسهاما نظريا لهومانز، جاء في ضوء تفسيره النفسي للسلوك الانساني في داخل نطاق الجماعة الاجتماعية وأيضا في ضوء قضاياه السلوكية ذات الواجهات النفسية

الاجتماعية فقد تمثل فى استخدامه لمنهج دراسة الحالة، وأيضا استخدامه لمناهج القياس الاجتماعى فى محاولته فهم وتفسير قضايا السلوك الانسانى، والجماعات الصغيرة أو النسق الاجتماعى. وهذه المناهج وان كانت أقرب إلى علم النفس الاجتماعى منها إلى الأهداف الرئيسية لعلم الاجتماع[1]. كما يرى تيماشيف ولكن اعتماد هومانز عليها بجانب منهج الملاحظة المباشرة، جاء فى ضوء اتجاهه النفسى الذى قصد من خلاله تحقيق مزيد من الفهم والتفسير لقضايا علم الاجتماع النظرية وأيضا اثراء مجال قضاياه المنهجية بالاعتماد على مناهج علم النفس الاجتماعى. وعلى وجه الخصوص مناهج القياس الاجتماعى على اعتبار أنها متأصلة لدى كل من علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى على السواء[2]. ومن ثم تمثل الاسهام المنهجى الرئيسى لهومانز، فى اعتماده على منهج دراسة الحالة فى تناول قضايا السلوك الانسانى. وفى اعتماده على مناهج القياس الاجتماعى فى فهم قضايا الجماعات الصغيرة، وقد ترتب على ذلك أن أصبح «مصطلح الميكروسوسيولوجيا معترفا به ومستقرا فى ميدان علم الاجتماع»[3].

(١) نيقولا تيماشيف، نفس المرجع، ص٤٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ٤٠٨.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠٩.

الفصل الخامس

السلوكية الاجتماعية فى دراسات

جورج هربرت ميد الاجتماعية

٢- التفسير الاجتماعى السيكولوجى لتطور الذات أو الطبيعة الانسانية.

٣- الدور الذى تلعبه الأطر المرجعية فى تشكيل وحدة الذات الاجتماعية.

٤- عناصر تحقيق الضبط الاجتماعى والسيكولوجى فى تكوين الشخصية بكلا اطاريها الفردى والاجتماعى.

٥- سيكولوجية العقوبة فى الجماعة المرجعية .

٦- خاتمة .

الفصل الخامس

السلوكية الاجتماعية فى دراسات جورج هربرت ميد الاجتماعية

GEORGE HERBAT MEAD

يشير كوذر، وروسبنرج أن علماء الاجتماع النفسى الأمريكيين قد افترضوا بوجه عام الأصل الاجتماعى لتصور الذات الفردية. بمعنى أن التصور الشخصى للذات يكون مأخوذا من التصور الذى يقدمه الاخرون لها، وذلك على اعتبار أن الذات يشار إليها من خلال رد فعل الآخرين بالموافقة أو عدم الموافق. ولكن مع الأخذ فى الاعتبار أن لقدرة الفرد على استقبال وجهة - نظر الآخرين وجهة، والقيام أيضا بدور التأثير والتأثر، وبالتالى كانت مقدرة الفرد على التوافق مع استجابات الآخرين. شرطا ضروريا للتوافق الخاص بالشعور الذاتى للفرد مع الآخرين. وقد شغل هذا الاهتمام ميد وجاء فى اطار قناعته بأن الموجودات الانسانية يجب أن ينظر إليها على أنها أجزاء من المجتمعات والجماعات، وليست منفصلة عنها، كما شارك ميد أيضا الاهتمام السائد بتصور الجماعة المرجعية، والذى تطور فى السنين الأخيرة، من خلال اهتمامات جماعة علم النفس الاجتماعى وعلم الاجتماع الأمريكى. وجاء ذلك فى ضوء الاهتمام بأن يربط الفرد ذاته، ويحقق شخصيته مع جماعات يكون عضوا فيها . وفى جماعات أخرى يرغب فى أن يكون عضوا فيها (١).

- عاصر جورج هربرت ميد (١٨٦٣ - ١٩١٣) جون ديوى فى ميتشجن وأيضا شيكاغو وكان كولى مسايرا لاتجاه النظرية المثالية للشخصية. ومتشابها مع أعمال كل من : تارد، وبالدوين، وصديقه كولى. كما درس فى ألمانيا وأقتنع بنظريات فونلت عن اللغة والاشارة، وابتداء من عام (١٩٥٥) بدأ تأثير ميد ينتشر فى الولايات المتحدة الامريكية عن طريق تدريسه لعلم النفس الاجتماعى بجامعة شيكاغو. إلا أنه بالرغم من المقالات العديدة التى نشرها فلم يقم بتجميعها فى كتاب. حيث قام تلامذته بنسخ عددا من محاضراته ومقالاته ، وأجمعوها بعناية فى أربعة مجلدات ثم نشرها بعد وفاته.

Martindalle, D., Op. Cit., P. 353.

(1) Mead , G.H., "Role taking and Reference group" In Coser and Rosenberg., (eds) Op. Cit. PP. 259 - 260.

وسوف نركز فى معالجة إتجاه السلوكية الاجتماعية فى دراسات ميد على كيفية معالجته لظهور الذات الفردية وتكوينها ونموها فى اطار المشاركات الاجتماعية. ومدى الدور الذى تلعبه الجماعات الاجتماعية الأولية فى تكوينها ونموها الكامل حتى تصل إلى وحدتها الكاملة. وعلى تنوعها بتنوع الجماعة التى تنتمى إليها. والهدف من ذلك أن نصل فى النهاية إلى ايضاح الاتجاه النظرى السيكولوجى الذى تبناه ميد فى دراسته للذات. وأيضا الاتجاه المنهجى الذى تناول من خلاله دراساته الاجتماعية النفسية . مع محاولة توضيحنا لتناوله للمجال السيكولوجى للعقوبة داخل اطار الجماعات الاجتماعية، ومدى تحقيقه لذاتيات الأفراد عن طريق تحقيق العدالة.

٢- التفسير الاجتماعى السيكولوجى لتطور الذات أو الطبيعة الانسانية :

يشكل اهتمام ميد بدراسة مفهوم الذات Self، واحدا من أهم انجازاته العلمية العديدة، ويأتى هذا الاهتمام فى اطار اتجاهه السلوكى فى علم الاجتماع، ويبدو ذلك واضحا فى مؤلفة الذى نشر بعد وفاته وهو العقل والذات والمجتمع. وكذلك فى مقالته المبكرة وكتاباته العديدة التى تشير كلها إلى حقيقة واحدة مؤداها أنها تمثل اسهامه فى مجال علم النفس الاجتماعى[1]. وسوف نتناول فى هذا الصدد محاولة ميد الاجتماعية النفسية، لدراسة وفهم الذات ، وتفسيره لكيفية ظهورها وتكوينها ومجال تطورها حتى تصل إلى وحدتها الكاملة.

ولقد بنى ميد فكرته عن مفهوم الذات الاجتماعية ووحدتها الكلية العضوية السيكولوجية، فى ضوء رؤيته «أن الذات إذا كانت تشكل موضوعا فى ذاتها فهى تشكل أيضا بناءاً اجتماعيا. والذى يبدو فى اطار التجربة الاجتماعية، ثم تبدأ بخطى ثابته فى تزويد نفسها بالخبرات الاجتماعية[2]. وهذا يعنى أن وحدة الذات كما يرى ميد لا يمكن التفكير فيها إلا داخل نطاق وحدة اجتماعية محددة، ولا

(1) Coser, L. A. 9 Masters of Sociological thought. Op. Cit., P. 333.

(2) Mead , George, Herbert, "The self In Peter, Worsly (ed) Modern Sociology. New York: Penguin Eduction , 1970, P. 43.

يمكن أيضا تخيل ظهورها الا فى نطاق التجربة الاجتماعية، بحيث يمكن للفرد أن ينظر إلى نفسه أو ذاته كمصديق، ويكون قادر فى الوقت نفسه على التفكير والتحدث إلى نفسه ويملك اتصالاته مع الآخرين [1].

وتتضح العمليات النفسية التى تحكم بناء وحدة الذات العضوية السيكولوجية بكلا جانبيها الفردى والاجتماعى فى ضوء اشارة ميد إلى أن تلك العمليات النفسية تمثل استجابة الذات مع نفسها، كما تشكل أيضا جزءا من حديث الفرد الخاص مع الآخرين، بمعنى أن الذات تدرك ما يقوله الآخرون، ثم تستخدم تلك الادراكات فى تحديد ما سوف تذهب اليه من قول Saying أو فعل Doing أو محادثة بالاشارات Conversation of gestures . وهذا يعنى أن الفعل يعتبر واحدا من المؤثرات على الذات، كما أن التأثير على الذات يشكل جزءا من المقدرة المستمرة على المحادثة مع الآخرين. وضرب ميد مثلا مؤداه : أن الفرد قد يفصل مضمون قوله عن الآخرين فى هيئة كتاب يؤلفه، ومع ذلك يمثل هذا الكتاب نوعا من المخالطة الاجتماعية. والتى يلتمس الفرد من خلالها الآخرين وفى الوقت نفسه يكون ملتمسا لذاته[2].

وفى ضوء رؤية ميد بأن ظهور الذات الفردية ووصولها إلى المستوى الاجتماعى يكون فى اطار ما تقوله أو تفعله عن طريق المعاملات والتجارب اليومية الاجتماعية والتى تضفى عليها قيمتها، أوضح أيضا «أننا يمكن أن نقسم ذواتنا إلى أنواع مختلفة وفقا لمعارفنا، بمعنى أن وجود أنواع مختلفة من الذوات يعتبر نتائج لردود الأفعال الاجتماعية والعمليات الاجتماعية. والتى تكون متوافقة مع ظهور الذات الملائمة. فكانت هناك الذات السياسية والذات الدينية، .. الخ ومن ثم كانت الشخصية أو الذات المركبة تعتبر باحساس ثابت ذات واقعية. وطالما أن التنظيم الكلى للذات تستند إلى الجماعة التى ينتمى إليها الشخص ، وأيضا الموقف الذى تتشكل فيه الذات [3].

---

(1) "The self" George, Herbert; "The self" OP. CIT., Ibid. P. 43.

(2) Mead, "The self" George, Herbert; "The self" Ibid.; PP. 43 - 44.

(3) Mead, "The self" Ibid., P. 45 .

ويبين ميد أن هناك مرحلتين تمر بهما الذات الاجتماعية منذ بدايتها الفردية وحتى تصل إلى وحدتها الكلية العضوية النفسية : الأولى تشكيل الذات الاجتماعية ويبدأ من خلال الاتجاهات الفردية الخاصة بالذات. ومن استجابتها للاتجاهات الخاصة بالآخرين، وفى اطار مشاركاتها المتزايدة وعلاقتها بأفعال الأفراد الآخرين. والمرحلة الثانية : وهى تطور الذات الفردية حتى تصل إلى مرحلة الاجتماعية، ويحتوى أيضا على التنظيم الخاص بالاتجاهات الاجتماعية الاكثر عمومية. أو الاتجاهات التى توجد لدى الجماعات الاجتماعية التى ينتمى إليها الأفراد. وهذا يعنى أن الذات الاجتماعية أنما تصل إلى نموها الكامل من خلال الاتجاهات الخاصة بالأفراد الآخرين. والذى يضمهم النظام الاجتماعى أو الاهتمامات الجماعية [1]. ومن ثم عرف ميد الذات الاجتماعية «بأنها رد الفعل الفردى للنمط العام المنظم للسلوك الاجتماعى أو الجماعى والذى يكون الفرد أو الأفراد الآخرين متضمنين فيه» [2].

وبصدد تطور تكوين الذات فى اطار التجربة الاجتماعية لدى ميد، أوضح مارتندال ثقل ميد بصدد تبنيه مدخل التوافق السيكولوجى السائد لدى فوندت. إذ حاول ميد تحقيق التوافق بين الحالات العقلية المتعلقة بالشعور والعالم الخارجي. ولكنه لم يكن توافقا ظاهريا كما هو عند فوندت والذى نظر للاشارة على أنها تعبير فيزيقي ورمزى، وتوجد فى حالاتها الأولية على أنها جزء من الفعل الاجتماعي. أما ميد فقد نظر إلى الاشارة علي أنها حلقة انتقالية بين الفعل Action واللغة Language، واعتبر أنها تعبير فيزيقي يتوسط تطور اللغة كظاهرة عقلية، وتمثل أيضا ميكانيزم أساس يسمح بظهور الذات فى اطار استمرار النشاط الاجتماعي. وقد أوضح ميد فى هذا الصدد أن الحياة الاجتماعية تعتمد على اللغة التى تمثل اطارا للاشارات. وتلك الاشارات تقضى بدورها إلى رموز ومعانى تحديد

(1) Mead, "The self " Op. Cit., p. 77. Ibid. PP. 76 - 77.
(2) Ibid . P. 78.

طبيعة الفعل الاجتماعي. وبالتالي كانت تلك الرموز والمعاني الخاصة بالاشارات تشكل قواعد منطقية عقلية. وتمثل أيضا طريقا نفرق من خلاله بين السلوك الاجتماعي الذي يتميز باللغة عن غيره اللا اجتماعي [١].

ويتضح مما سبق أن تفسير ميد لتطور الذات أو الطبيعة جاء تفسيرا اجتماعيا نفسيا. كما جاء في ضوء اعطائه ثقلا متعادلا لكل من الحالات العقلية السيكولوجية المتمثلة في الشعور، وكذلك للتجربة الاجتماعية المتمثلة في مشاركات الذات مع الآخرين والتوافق معهم داخل الجماعات الاجتماعية. بحيث يمكن القول أن هناك اتفاقا بين كل من كولي وميد على أن ظهور الذات وتطورها يأتي في اطار الجماعات الاجتماعية وما يسودها من ظواهر عقلية سيكولوجية، وقد حدد كولي تلك الظواهر العقلية السيكولوجية بالأفكار والتصورات الذاتية، والعواطف، والمبادئ الأولية، وأيضا بالاشارات والرموز والمعاني المحددة لطبيعة السلوك الاجتماعي ووسائل تطوره. وهذا ما يؤكد الأصل الاجتماعي النفسي لوحدة الذات العضوية بكلا اطاريها الفردي .

٣- الدور الذي تلعبه الجماعات الاجتماعية في تشكيل وحدة الذات الاجتماعية :

ويبدو في هذا الصدد أن تأكيد ميد على أن الشخصية المركبة تعتبر باحساس ثابت ظاهرة طبيعية، كان راجع إلى نظرته التي تتعلق بتلك الاطارات المرجعية، والتي نظر إليها على أنها جماعات أجتماعية مختلفة تتشكل وفقا لها الذوات الاجتماعية المختلفة، كما تمثل واجهات مختلفة للعمليات الاجتماعية تبعا لدرجات تخصصها، بمعنى أن تلك الجماعة أو المجتمع المنظم والذي يزود الفرد بوحدته الاجتماعية الذاتية، يمكن أن يتصف بالاطار المرجعي، وتمثل اتجاهات الأفراد بداخله اتجاهات الجماعة ككل. وضرب ميد مثلا بفريق كرة القدم الذي

(1) Martindalle, D., "Gearge Herbert, Mead" , Op. Cit. PP. 355- 356.

يتصف بالوحدة الكلية والنظام التام، إذ تمثل الخبرة الفردية لأى عضو فيه مجرد جزء فقط من العمليات الاجتماعية التى تتم داخله. وأضاف ميد أنه يجب على الذات الفردية أن تتمثل الواجهات المختلفة للنشاط الاجتماعى العام الذى ينشغل به أعضاء الجماعة، بحيث تقوم تلك الذات بتصميم الاتجاهات الممثلة لتلك الواجهات المختلفة للنشاط. وذلك على اعتبار أن تلك الاتجاهات تمثل النشاط الجماعى تجاه المشروعات الاجتماعية، والتى تنشغل بانجازها تلك الجماعات الاجتماعية أو الاطارات المرجعية (١).

وقد أوضح ميد فى تفسيره الاجتماعى النفسى للدور الذى تلعبه الجماعات الاجتماعية فى تشكيل وحدة الذات الاجتماعية، أن هناك واجهتين تمثلان اطارات أو جماعات اجتماعية لنمو الذات الفردية وهما : جماعات اللعب Play، واللعبة Game . وقد تحدث عنهما لدى الأطفال الصغار، وأيضا من خلال أكثر الاتجاهات السائدة فيهما لدى أكثر الناس بدائية. ويرى أن الواجهة المميزة لاتجاهات اللعب عند أكثر الناس بدائية هى الأساطير التى تختلف باختلاف الألعاب التى يؤديها الانسان البدائى. وبالتالى كانت جماعة اللعب لديهم تمثل تعبيرا عن آلهتهم، وذلك من خلال الطقوس الدينية والتى تقوم على ما يعتقده أفراد الجماعات فيما تكون عليه هذه الآلهة. أما عن جماعة اللعب لدى الأطفال باعتبارها واجهة اجتماعية لنمو الذات فى اطار لعب الأطفال. أوضح ميد أن تقليد الأطفال يكون للشخصيات التى تأخذ دورا له تأثير فى تنظيم اتجاهات العلاقات الاجتماعية. ويتمثل ذلك فى تقليد الآباء والمدرسين، والذى يؤدى إلى نمو ذواتهم وتطورها. وذلك باعتبار أن ما يفعله الطفل يكون مضبوطا بواسطة تنظيم الاتجاهات السائدة (٢).

---

(1) Mead, G.H., "The self", Op. Cit., Pp. 45 - 46.

(1) Mead,G.H.,"Play the game and the Generalized Other", In Goser and Rosenberg.,(eds) Sociological theory. Op. Cit., PP.260-261.

ثم انتقل ميد بعد ذلك للحديث عن جماعة اللعبة ومنطقها كاطار اجتماعى، يوجد لدينا امكانية التعبير عن تنظيم الذات. وقال «أن التعبير عن نشاطات اللعبة المختلفة فى اطار أى جماعة اجتماعية واقعية أو مجتمع منظم - باعتباره مجال للخبرة الاجتماعية لأى فرد من الأفراد المتضمنين فيه - يعتبر أساسا جوهريا للنمو الكامل لتلك الذات الفردية» (١). وضرب ميد مثلا بفريق كرة القدم، ورأى امكانية أن يطلق عليه جماعة أو اطار مرجعى. وذلك على اعتبار أن الاتجاه الجماعى يكون هو الأكثر تأثيرا فى نمو الذات الفردية، ووصولها إلى التطور الكامل حتى تصل إلى وحدتها الذاتية بحيث تحتوى تلك الوحدة تصميم الاتجاهات الفردية والنشاطات المختلفة التى ينشغل بها أفراد الجماعة (٢).

وفى اطار هذه الجماعة المرجعية الخاصة باللعبة والذى يمثل حالة اجتماعية يمكن أن تأخذ هيئة فريق منظم، وتشكل جماعة أو تنظيما خاصا له غاية وهدف. ويرى ميد أن الأفعال الفردية يمكن أن ترتبط فيما بينها على اختلافها، وذلك استنادا إلى الغاية التى تحكم منطق اللعبة بمعنى أن الفرد يمتلك اتجاه الفرد الآخر فى قذفه للكرة، والاثنان معا يصممان اتجاه اللعب ككل، كما يشكل أفراد اللعبة وحدة داخلية تتخذ واجهة عضوية، بحيث تشمل تنظيم ذوات الأفراد جميعا. ومن ثم أكد ميد على أن التيم يشكل هيئة الموقف المتمثل فى ظهور تنظيم الشخصية. وذلك باعتبار أن الطفل يأخذ باتجاه الفرد الآخر ويتابعه ليحدد ما يجب أن يفعله فى اطار الهدف العام للعبة. وبالتالى فالطفل يرتبط عضويا بالمجتمع. ويمثل تنظيم اللعبة اطارا مرجعيا لطبيعته الخاصة ويضبط استجابته. كما يمنحه الوحدة الكلية وينبنى فى النهاية ذاته الخاصة داخل نطاقه (٣).

---

(1) Mead. C.H.; "Plaoy the game and Generalied Other" Op. Cit.,p. 262.

(2) Ibid., P. 261.

(2) Ibid., PP. 264 - 266.

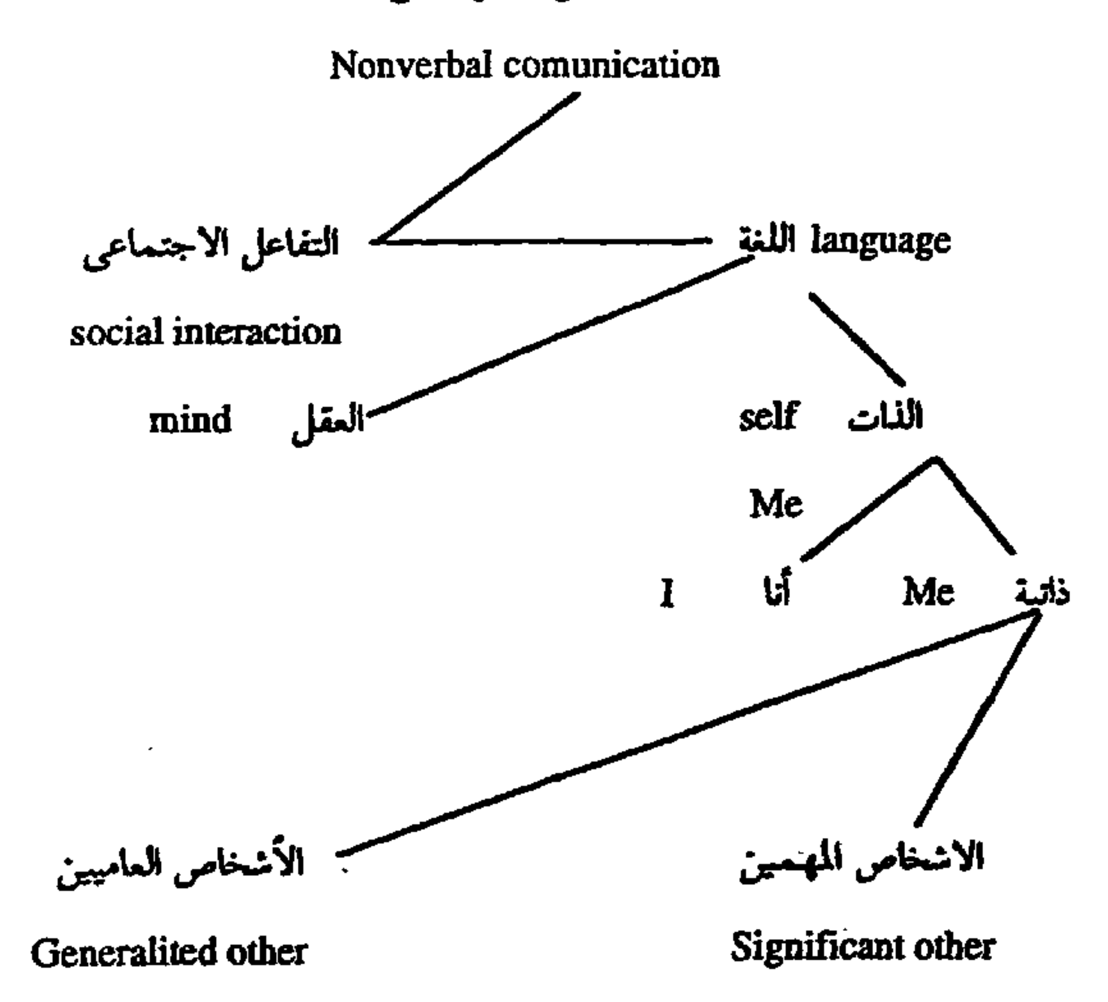
وقد انتهى ميد فى تناوله للدور الذى تلعبه الجماعات الاجتماعية فى تكوين وحدة الذات الاجتماعية النفسية إلى ما يلى : أولا – وصول الفرد أو الذات الفردية إلى مرحلة النمو الكامل. ثانيا – أن تلك الاتجاهات الجماعية توجد لدى الفرد العمليات التعاونية المركبة. والتى تمثل الوظائف النظامية للجماعة التى ينتمى إليها الفرد. وبالتالى يباشر الفرد سلوكه وفقا لتلك الاتجاهات. ثالثا – أن تلك العمليات الاجتماعية التعاونية، توجه سلوك الأفراد الداخلين فيها. وتحدد أيضا اتجاه التفكير السائد من خلال المحادثات بالاشارة واللغة. إذ تمثل اللغة اتجاه الجماعة باعتبارها نسقا عاما من المعانى الاجتماعية. رابعا – يترتب على وصول الذات إلى نموها الكامل داخل الجماعة، أن ينتحل الشعور الذاتى تلك الاتجاهات الاجتماعية المنظمة للجماعة. وبالتالى يضبط الفرد سلوكه وفقا لتلك الاتجاهات. خامسا – يدخل الفرد مع الافراد الآخرين الذين ينتمون إلى جماعته المرجعية نفسها، فى علاقات موجهة ومرتبطة وظيفيا بتلك الجماعة على مستويين : أولاً – جماعات يرتبط أعضاؤها ارتباطا مباشرا فى علاقاتهم بها مثل : مستوى العلاقات السياسية، وعلاقات النادى والاتحادات. ثانياً – جماعات يرتبط أعضاؤها بأكثر أو أقل مباشرة كوحدات وظيفية مثل : جماعة المدينين، وجماعة الدائنين[1].

وهكذا يمكننا القول بأن وحدة الذات لدى ميد هى وحدة اجتماعية نفسية. تبدأ بنمو الذات الفردية داخل اطار الجماعات الاجتماعية حتى تصل إلى وحدتها الكاملة. ويمكن فهمها من خلال كل من عمليات المشاركة والأخذ باتجاهات الأفراد الآخرين. وأيضا ادراك الشعور الذاتى – بما يحتويه من ظواهر عقلية سيكولوجية – للاتجاهات الاجتماعية المحددة للسلوك. ويأتى هذا الادراك فى ضوء المعانى الرمزية المتعلقة باللغة. وايضا فى ضوء الدوافع التى توجه السلوك داخل نطاق الجماعات الاجتماعية. وبالتالى كانت الجماعة الاجتماعية هى التى تمنح

---

(1) Mead, Op. Cit., PP. 262 - 264.

الذات تلك الوحدة الاجتماعية العضوية النفسية، وقد قدم لنا ميد نموذجا لكيفية تكوين وحدة الذات داخل الجماعة الاجتماعية على النحو التالى:[1]



٤- عناصر تحقيق الضبط الاجتماعى والسيكولوجى فى تكوين الشخصية بكلا اطاريها الفردى والاجتماعى داخل الجماعية الاجتماعية :

وبعد أن انتهينا مع ميد إلى أن النمو الكامل للذات الفردية، بما تحتويه من أفكار سيكولوجية يأتى فى اطار الجماعات الاجتماعية أو الاطارات المرجعية التى تمنحها وحدتها الكلية . وبعد أن وضح لنا أيضا أو بتلك الذوات تختلف باختلاف اطاراتها المرجعية والتى تنتمى إليها وتتشكل فى اطارها إلا أن ميد يرى أيضا

(1) Kinloch., Op. Cit., P. 148.

امكانية تدمير تلك الذات، بمعنى أن الشخص إذا كان له اتجاهات متصدعة وغير موحدة، يؤدى ذلك إلى تفكك شخصيته. وايضا انفصال ذاته عن الذات الجماعية التى تشمل الواجهات المختلفة للعمليات الاجتماعية. وبالتالى يوجد الاتجاه نحو تحطيم أو تدبير الذات [١].

وقبل مناقشة عناصر الضبط الاجتماعى والنفس الداخلة فى بناء الشخصية من خلال معالجة ميد للعلاقة بين الذاتية M, I، يجدر بنا تقديم تصوره الرئيسى عن فكرة الضبط الاجتماعى والنفس للذات من خلال معالجته لفكرة الملكية إذ قال «أننا إذا قلنا أن هذا يكون ملكا لى، فإنا يمكن أن أتحكم فيه وأضبطه» [٢]. وأوضح ميد أن هذا الضبط يستلزم مجموعة محددة من الاستجابات، تتعلق باتجاهات الجماعة، المنظمة تجاه الملكيات العامة بين كل أعضاء الجماعة. بحيث يمكن للفرد فى ضوء مجموع تلك الاتجاهات أن يضبط سلوكه، ويتحكم فى ملكيته الخاصة، وفى الوقت نفسه يحترم ملكيات الأفراد الآخرين. وأضاف ميد أن الاتجاهات عامة للملكية والتى تنظم الاستجابات العامة تشمل نظم مثل : الديانة والتعليم والأسرة، وانتهى إلى أن تلك النظم وما تحتويه من اتجاهات منظمة تؤدى إلى بناء تنظيم الذات الموحد. وبالتالى فهى تؤدى إلى بناء شخصية الانسان وضبط سلوكة والتحكم فى ملكياته. ويكون ذلك فى اطار تلك الاتجاهات المنظمة والمبادئ السائدة بحيث يمكن وصف سلوك الشخص الذى يحمل ذلك التنظيم من الاستجابات بأنه سلوك أخلاقى وحسن [٣].

كما اوضح ميد فى هذا الصدد أن تنظيم الذات الموحدة والمكون من تنظيم الاتجاهات الجماعية لمجموع استجابات الأفراد، يكون متميزا عن العادات

(1) Mead, "The self ", Op. Cit., P. 45.

(2) Mead, G.H. " Play the game and the generalized other" Op. Cit., P. 266.

(3) Mead., Ibid., PP. 266 - 267.

الجماعية. وأدخل ميد العادات ذات الدلالات العاطفية في هذا المستوى، لأنها لا تدخل في نطاق ذواتنا الشعورية. بل تدخل في تشكيل ما أصطلح على تسميته بالذات اللاشعورية لا تكون على نفس المستوى مع الشعور الذاتي. والذى يشير إلى مقدرة الذات الموحدة على استدعاء مجموعة محددة من الاستجابات في ذواتنا. والتي تكون متعلقة في الوقت نفسه بالأعضاء الآخرين في الجماعة[1]. اذ يرى ميد أن ما نحمله من شعور أو وعي ذاتي يجعلنا أعضاء في المجتمع. ويمنح ذواتنا المتعددة على الدخول في علاقات مع الذوات الاخرى. كما يعكس في نفس الوقت نمط السلوك العام للجماعة الاجتماعية التي ننتمي إليها [2].

ويبدو أن ميد من خلال اتجاهه النفسي قد بني فكرته عن الضبط الاجتماعي في ضوء أفكار سيكولوجية بحيث تبدو تلك الأفكار في سلوك الذات الفردية داخل اطار الجماعات الاجتماعية التي تنمو وتتشكل في اطارها. وتتمثل هذه الافكار السيكولوجية في الاتجاهات الكلية، والاستجابات العامة المتعلقة بها، وكذلك الاحساس العام المتعلق بالملكية. وأن كما نرى في هذا الصدد أن خاصية الضبط الاجتماعي لا تتحقق ولا يكون لها تأثير واضح إلا على تنظيم الذات الموحدة والذى ينمو داخل نطاق تلك الاطارات المرجعية. ومما يؤكد وجهة نظرنا هذه استبعاد ميد للحالات اللاشعورية الفردية، وعدم اشراكها في تشكيل وحدة الذات الموحدة والتي تنمو في اطار الاتجاهات الجماعية. فقد اعتبر أن تلك الحالات لا تؤدى إلا إلى ظاهرة تفكك الشخصية. وتكون سببا في تحطيم الوحدة الكلية للذات، ووقوع الانفصال بين الذات الفردية I والذات الاجتماعية M, I. وبالتالي يمكن القول بأن تلك الحالات اللاشعورية العاطفية تنتقص من خاصية الضبط الاجتماعي السيكولوجي. والتي تمارسها الذات الواعية في اطار تمثلها لاتجاهات الجماعة والاستجابات العامة المتعلقة بها.

---

(1) Mead, C.H.; " Play The Game and Generalized The Other" Op. Cit.; P. 268.

(2) Ibid., P. 268.

ولم يغفل ميد وهو بصدد مناقشة لعناصر تحقيق الضبط الاجتماعي والسيكولوجي في بناء الذات، مشكلة العلاقة بين الذاتية I ، Me، وذلك باعتبار أنهما يمثلان اطارين يحتويان العناصر التي تحقق الضبط الاجتماعي والنفسي في بناء الذات أو الشخصية داخل اطار الجماعة الاجتماعية. وقال ميد في هذا الصدد « يجب ألا ننظر إلى الذات على أنها فوق أو عكس الذات. وذلك باعتبار أن الفرد يملك وظيفته الفردية ويشعر بذاته في اطار المجتمع. وبالرغم من ذلك لا يمكن أن تصبح الذات الفردية I هي الذات الاجتماعية Me، لأن كلاهما يشكل ذاتا أخرى بمعنى أن مشكلة التمييز بينهما من خلال السلوك، تأتي في حدود الذاكرة. فالذات تمثل رد الفعل الفردي للذات Me، والتي تظهر من خلال الأخذ باتجاهات الآخرين، وتلك الاتجاهات الجماعية تشكل مجموعة من الاتفاقات الجمعية. والتي تتحرك في ذات الفرد الشعورية وتكون حاضرة في خبرته الاجتماعية ... ومن ثم فموقف الذات الفردية يمثل استجابة لتلك الاتجاهات الجماعية المكونة للذات Me. كما يكون فهمها في حدود الذاكرة بمعنى أن الفرد يمكن أن يتحدث مع نفسه، ويتذكر ما يقوله من خلال المحتوى العاطفي الذي ذهب إليه» (١).

ومسايرة لموقف الحل العلمي لمشكلة التمييز بين الدافعين ودورهما في تحقيق الضبط الاجتماعي النفسي للشخصية. أوضح ميد أن ما تكون عليه استجابة الذات الفردية في اطار الأنا الفردي I – لتلك الاتجاهات المشكلة للذات الاجتماعية Me – لا تكون محددة ولا أحد يعرف ما سوف تكون عليه كرد فعل للموقف الاجتماعي. وذلك على اعتبار أن هناك اتجاهات متعددة تتطلب استجابات معينة وفقا لتصنيفاتها. وأضاف أن استجابة الذات الفردية تأتي من خلال شعورنا الذاتي،

(1) Mead, G.H., "The I and Me" In W. Edgon, venack & Warman R. Wilson & Gerald N. Merditb., (eds). Demesion of Social Psychology . New York: Scot Press and campany of chicago , 1974, PP. 32 - 34.

وادراكنا لأنفسنا، وللموقف الاجتماعى الذى نكون فيه . أما ما يذهب إليه سلوكنا بالتحديد فيأتى فى اطار التجربة الاجتماعية، والتى تحتوى على الاتجاهات الجماعية وتشكل الذات Me. وانتهى ميد إلى أن الأهمية الكبرى لكل من الذاتين الفردية والجماعية تبدو فى علاقتها الوثيقة فى اطار الموقف الاجتماعى. وأن الانفصال الذى يبدو فى عملياتهما يكون فى مستوى السلوك الفقط، أما هما فينتمى كل منهما إلى الآخر[1]. وحدد ميد تلك العلاقة بقوله «أن الذات I تتطلب الذات me . وهما يشكلان معا الشخصية كما تبدو فى التجربة الاجتماعية. بمعنى أن الذات self تبدو من خلال العمليات الاجتماعية، ويتضح تقدمها المضطرد فى اذار واجهتيها الفردية والجماعية. وإذا لم تكن تملكهما فلن يكون لديه أية مسئولية واعية، ولن يكون هناك شيئا جديدا فى التجربة الاجتماعية[2].

٥- سيكولوجية العقوبة فى الجماعة أو الاطار المرجعى:

يأتى اهتمام ميد بدراسة مفهوم سيكولوجية العقوبة داخل اطار الجماعات الاجتماعية، امتدادا لاهتمامه الرئيسى بدراسة عناصر تحقيق الضبط الاجتماعى والنفسى. والخاص بسلوك الذات أو الشخصية الانسانية داخل نطاق اطارها المرجعى الذى تنتمى إليه، إذ يقول ميد فى هذا الصدد «أن المحتويات العاطفية السيكولوجية التى تصاحب الأفراد، وتشكل الجزء الأكبر من احترام القانون كقانون تتمثل فى مستويين هما : احترام القانون باعتباره وسيلة عامة للدفاع والهجوم عن المجتمع وعلى الخصم. ثم فى احترامه لواجهة العادات والمحرمات والتى تحقق ذواتنا مباشرة فى المجتمع الكلى، كما تستبعد أيضا كل الذين يخترقون

(1) Mead, "The I and Me", Op. Cit., PP. 34 - 35 .
(2) Ibid., P. 35.

متطلباتها[١]. ويتضح من التعريف السابق أن ميد قد منح القانون باعتباره أحد عناصر الضبط الاجتماعى واجهة سيكولوجية، وتتمثل هذه الواجهة فى المحتويات العاطفية النفسية التى تصاحب احترام الأفراد للقانون. وكذلك فى معاداة المجرم الخارج عن قانون الجماعة. وكذلك اشباع القانون لرغبات الأفراد وتحقيقه لذواتهم.

وقد أوضح ميد فى هذا الصدد أن احترام القانون لا يكون راجعا إلى مبدأ الالزام الصارم للقانون كقانون، ورأى أنه يرجع فى فحواة إلى اعتبارين : الأول : أن الاتجاه العاطفى الذى يوجد لدى الشخص الخارج عن المجتمع والقانون، يكون ناتجا عن الاتجاه العدائى الذى يتخذه الآخرون تجاهه. ثانيا - يأتى احترام القانون أيضا من خلال الميول والمشاعر المتعلقة بمدى أهمية القانون لدى الآخرين. وقد سمى ميد تلك المشاعر والميول برد الفعل العاطفى*، والذى يعتبر أساسا جوهريا للايمان بالمحرمات الأخلاقية فى الجماعة. وأنتهى ميد إلى أن عظمة هذا القانون تكمن فى تعبيره عن تلك المحرمات. وأيضا فى سيطرة الجماعة على الأفراد من خلاله . وتتجلى هذه السيطرة فى استبعاد الخارجين على الجماعة وكذلك فى الاعلان عن العقوبات التى تجعل من التمرد غير ممكن[٢].

وأكد ميد من خلال وجهة نظره التى ترى أن احترام القانون ينهض على قواعد سيكولوجية، على أن احترامنا للقانون يمكننا من الوقوف على الدوافع التى تحقق ذواتنا مباشرة مع الاتجاه الكلى السائد للجماعة. وأوضح أن هذا التحقيق لذواتنا يأتى من خلال تحقيق العدالة العقابية. والتى تأتى بدورها فى ضوء الوقوف

---

(1) Mead, "Psychology of Puntive Justic " In Goset and Rosenberg., (eds). Op. Cit. P. 593.

* أوضح ميد أن رد الفعل العاطفى ضد الخارج عن القانون يتمثل فى وصمة العار والاشمئزاز التى تلحق بفاعل الجريمة.

(2) Mead, "Psychology of Puntive Justic " In Goset and Rosenberg., (eds). Op. Cit. PP. 591 - 593.

على الدوافع الخاصة بنظم القانون والعدالة. ثم أضاف ميد بعدا آخر يأتي من احترامنا للقانون، ويتمثل في احترامنا للتنظيم الاجتماعي. وبنى رأيه هذا على اعتبار أن النظم القانونية المختلفة التي تشكل التنظيم الاجتماعي، تنهض أساسا بهدف أشباع الاحتياجات الاجتماعية، وأيضا الدفاع عنها ضد الخارجين. وانتهى إلى أن احترامنا لتلك القوانين وبالتالي احترامنا للتنظيم الاجتماعي، يمكننا من أن نعمق الاتجاهات الاجتماعية، ويمكننا من توجيه اتجاهات الصراع ضد الخارجين عن الجماعة أو القانون (1).

ويتضح لنا مما سبق أن جورج هربرت ميد قد حاول التأكيد على الواجهة السيكولوجية في أحترامنا للقانون بجانب الواجهة الأجتماعية . وما لهما من أثر مهم في تحقيق الوحدة والتضامن الاجتماعية ، وبالتالي الضبط الاجتماعي ، وأوضح ميد أن عناصر تلك الواجهة السيكولوجية للقانون تمثل مصدرا لاحترمنا له ، وتتمثل تلك العناصر في أشباعه للدوافع التي تحقق ذواتنا مع الاتجاه الكلي السائد في المجتمع ضد الخارجين. وأنتهى إلى أن أحترام عدالة العقاب وما يصاحبها من مشاعر سيكولوجية ضرورية مثل : الأحساس بالأمانة وأحترام الحقوق والواجبات ، يصاحبه أحترامنا للتنظيم الأجتماعي الكلي . إذ يتشكل هذا التنظيم من مجموعة من القوانين التي تعمل على إشباع الاحتياجات الاجتماعية . كما تعمل على صهر وتوجيه اتجاهات الصراع ضد السلوك الخارج عن الجماعة .

ويمكن أجمال أتجاه ميد النظري في دراسته لمفهوم سيكولوجية العقوبة . والدور الهام الذي يلعبه في تحقيق الضبط الاجتماعي كما أورده على النحو التالي: أولا - أن المجتمع يعمل في إصار أحترام القانون . والذي يرتكز على قواعد سيكولوجية ، وتبدو في الاتجاه العدائي ضد من يحطم قوانينه ونظمه . وهذا يؤدي في النهاية إلى سيادة أتجاهات العقاب والقمع والأستبعاد ضد كل الخارجين عليه

(1) Mead, "Psychology of Puntive Justic " In Goset and Rosenberg., (eds). Op. Cit. PP. 593 - 594

. ثانيا – أن الأتجاه العدائى النابع من أحترام القانون ضد المخالفين له ، يملك أمتيازا فريدا فى مجال توحيد كل أعضاء المجتمع فى وحدة عاطفية مضادة للاهتمامات الفردية ، إذ تفشل تلك الوحدة الفردية فى إدراك الاهتمامات الكلية وتوحيدها . ثالثا – أن هذا الاتجاه العدائى نحو مخالفة القوانين يكشف عن القيم العامة . والتى تكمن خلف الغايات الفردية وتؤدى إلى أئتلاف أعضاء الجماعة ..... وتكون عبارة أمسك حرامى فى المجتمع الأمريكى ، اطارا موحدا للاتجاهات الجماعية . وتأتى من خلال الاحساس الذى يتملك المجتمع ضد اللص بحيث يقف الكل جنبا الى جنب ضد الاعتداء ومخالة القانون. وتلغى الفردية فى هذا الصدد.[1]

واذا كان ميد قد جعل من الاتجاه العدائى السيكولوجى ضد الخارج عن القانون، واجهة يعبر بها عن مدى احترامنا للقانون كقانون. وذلك باعتبار أن هذا الاحترام يرتكز على قواعد نفسية، فأنه قد أوضح في نفس الوقت ضرورة ألا يسيطر هذا الاتجاه العدائى على طابع التنظيم لعدائى باستمرار. ورأى أن هذا العداء الاجتماعى للخارج عن القانون فى بعده السيكولوجى، يهدف الى الدفاع عن زهداف الجماعة التى تحقق ذواتنا الفردية. ويعبر عنه فى هيئة قوانين سيكولوجية ولكن لا يجب أن يسود هذا الاتجاه العدائى ضد الشخص الخارج، طالما غير من اتجاهه الاجرامى وعاد الى اعتداله[2] . وانتهى ميد الى أن هناك اتجاهين فى ضبط السلوك الخارج عن اتجاه الجماعه هما:«الاجراءات العقابية التى يشملها القانون. ثم الحكم على سلوك الشخص الخارج عن القانون، فى ضوء فهم الحالات الاجتماعية والسيكولوجية المؤدية الى الخروج على القانون»[3] .

---

(1) Mead, "Psychology of Puntive Justic " In Goset and Rosenberg., (eds). Op. Cit. PP. 595 - 596.
(2) Mead, "Psychology of Puntive Justic " Op. Cit. P. 597.
(3) Mead, "Psychology of Puntive Justic " Op. Cit. P. 597.

. ويتضح مما سبق أن ميد لم يتخذ من معاداة المجرم اتجاها مستمرا بحيث يشكل السمة الغالبة للتنظيم بعد توقع العقوبة. وهنا تكمن عدالة القانون كصيغة عقابية ضد السلوك الخارج. بمعنى أن المعاداة قد يكون لها اسبابها الاجتماعية والسيكولوجية لدى الشخص الخارج . ولكنها لا تتفق مع ذاتيات الأفراد الآخرين المشكلين الجماعة الكلية. ويؤكد ذلك تأكيد ميد على ضرورة الاهتمام بالعوامل الاجتماعية والنفسية التى تؤدى بالفرد الى الخروج على القانون، وهذا يدل على رغبته فى الوصول الى الأسباب المؤدية الى السلوك الاجرامى، بغرض العمل على انهائها. وبالتالى عودة الخارج الى حالته الطبيعية فى الجماعة، والالتزام بما تقرره عدالة القانون، ومن ثم يتحقق الضبط الاجتماعى، وتتحقق معه مصلحة الجماعة وذاتيات الافراد واشباع متطلباتهم.

٦- خاتمة الفصل الخامس :

قدم لنا ميد موضوعات كثيرة من خلال اتجاهه النفسى فى علم الاجتماع. وتعتبر بحق اسهاما جوهريا له سواء ما تعلق منها بقضايا علم الاجتماع النظرية أو المنهجية. ففيما يتعلق باسهاماته النظرية فى مجال مفاهيم علم الاجتماع. نجد أن ميد يشارك كولى الاهتمام بدراسة مفهوم الذات الاجتماعية، ويقدم لنا تفسيرا اجتماعيا نفسيا لكيفية ظهورها. ثم لمجال تطورها حتى تصل الى وحدتها الكاملة فى اطار الجماعه الاجتماعية التى تنتمى اليها.

لقد وضح لنا من خلال اهتمامت كل من (كولى)، (وميد) وبدراسة الذات الفردية وكيفية تشكيلها فى إطار الجماعات الأولية ومن خلال العلاقة العضوية السيكولوجية بين الفرد والآخرين، أنهما قد نجحا فى تفسير السلوك الانسانى إهتماما كبيرا فى ضوء العمليات الذاتيه النفسيه لدى الذات الفردية وبالأضافة الى الاطارات المرجعية التى تعد مناخا ملائما لنمو وتشكيل تلك الذات الفردية والذى تزودها بالمبادىء والمثل والأفكار والعواطف والمشاعر الجماعية وقد اعتمدوا فى ذلك على منهجهما العضوى ونظريتهما السكولوجية بصدد دراسة وتفسير تلك الطبيعة الانسانية واذا كنا قد أشرنا الى أن (كولى) كان أقرب الروحيين بصدد تأكيده على أن هناك فترات معينه فى حياة الجماعه يكون تأثيرها غالب على الأفراد، وهو ما يتفق مع اتجاهه الايرتضى الاجتماعى واعطاءة الحياة الأجتماعية الدور الاول فى الأهمية قبل الفرد، ومن ثم يمكن القول فى هذا الصدد أن (ميد) (وكولى) يتفقان مع دوركيم فى اعتمادهم على المنهج العضوى فى دراستهم للذات الفردية وتفسير الظواهر الانسانية، وهذا ما يمكن التعبير عنه بأن الوراثة تقدم الماده الخام ثم تتلقفها البيئة بالتعديل والتشكيل حتى تصل الى مرحلة النصح من خلال المشاركة.

الا ان هذا من يخلق صعوبة فى رؤية واسهام (ميد) فيما يتعلق بتصوره عن «الاطار المرجعى» والذى يأتى ألينا «بالذات» Me، يكون متماثل ما هو لدى

(فرويد) ويطلق عليه بالضمير» أو الذات العليا. وذلك بالمقارنه بالذات» I لدى (ميد) ، «والليبدو» ID لدى «فرويد» [1] وعلى هذا يرى(وودارد) Woodard بأنه في الوقت الذى ذهبت فيه التحليلات النفسية الى مزاعم مختلفه وتفسيرات عديدة خلفت وراءها صعوبات تتعلق بمدى الاتفاق والاختلاف في وجهات النظر، نجد أن (كولى) و(ميد) ربما أعطونا أحسن وصف لظهور الذات» Self بواجهتيها الفردية» I، والاجتماعيه»Me فى اطار السلوك، وأيضا فى أظهار المراحل الأولية فى مشاركاتها فى اطار الجماعات الأولية، أو ما يطلق عليه بالأطر المرجعيه. وحيث يبدو واضحا فى هذا الصدد ان مشكلة العلاقه بين الذات الفردية» ، «والذات الاجتماعيه» Me لدى (ميد) هى نفسها مشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع عند (كولى) والتى تعكس بوضوح نظرية كل منهما العضوية واتجاههم النفسى فى دراسة الواقع الاجتماعى وتفسير السلوك الانسانى.

هذا وقد جاء اهتمام (جورج هربرت ميد) بدراسة المحتوى السيكولوجى للعدالة القانونية، مدعما لاتجاهه النفسى بدراسة الظواهر الاجتماعيه فى ضوء متوياتها السيكولوجية، حيث يشير الى ان احترام القانون لا ينبع من الالزام الصارم له، ويكنه يكمن فى المحتوى العاطف الذى يتمثل فى الميول والأحاسيس المتعلقة بمدى أهميته لدى الأفراد، والى «وصمة العار» التى تصاحب المجرم من خلال الاشمئزازات التى تفصح عن نفسها ضد الجريمة. بالاضافة الى أن إحترامنا للقانون كقانون يمكن أن يتيح لنا فرصة التعرف على الدوافع التى تحقق ذواتنا الفردية مع الاتجاه الكلى السائد فى الجماعه وإشباعه لتلك الدوافع من خلال تحقيقة لعدالة العقاب، التى تقوم على الإحساس الأخلاقى بالأمانه واحترام الحقوق والواجبات. كما يترتب على إحترام القانون أيضا سيادة إتجاه عدائى نحو مخالفة القانون وهو اتجاه فردى يسود بين كل أعضاء المجتمع يؤدى الى توحيد كل أعضاؤه فى وحده عاطفية، كما يكشف عن القيم العامه التى تكمن وتقف خلف البناءات المتشعبه للغايات والأهداف الفردية.

---

(1) Fairs, Robert.; Op. Cit., P. 239.

ثم قدم ميد تفسيرا اجتماعيا نفسيا لتحقيق مفهوم الضبط الاجتماعى، وذلك من خلال تحليله لعناصره الاجتماعية السيكولوجية. والتى تؤدى بالذات أو الشخصية الكلية الى التوافق والانضباط وفقا لقيم واتجاهات الجماعة، وحلل ميد عناصر تحقيق هذا الضبط الاجتماعى والنفسى، وأوضح أنها تشكل بناء الذات بكلا أطاريها الفردى والاجتماعى، وتبدو بوضوح فى سلوك الذات أو الشخصية الانسانية. وننتهى فى هذا الصدد الى أن مشكلة العلاقة بين الذات الفردية والذات الاجتماعيه فى بناء الشخصية . والذى يبدو فى موقف السلوك داخل الجماعه الاجتماعية.

وانتقل ميد الى مستوى آخر فى تفسيره الجتماعى النفسى لمفهوم الضبط الاجتماعى– داخل اطار الجماعه الاجتماعية والذى يبدو جليا فى سلوك الذات الكلية– وقدم تفسيرا سيكولوجيا لمفهوم عدالة العقوبة داخل اطار الجماعه الاجتماعية. ومنح القانون باعتباره أحد عناصر الضبط الاجتماعى واجهة سيكولوجية تتضح فى المشاعر العاطفية المصاحبه لاحترامنا له، والتى تتمثل فى رد الفعل العاطفى الذى يشمل الايمان بالمحرمات الاخلاقية، واشباع الحقوق والملكيات العامة، ثم اشباعه للدوافع التى تحقق ذواتنا مع الاتجاه الكلى السائد فى المجتمع ضد الخارجين عليه. ويقول ميد فى هذا الصدد» ان عظمة القانون تتمثل فى أنه يمثل سيفا موجه ضد العدو المشترك، فقانون الخدمة العسكرية تتمثل عدالته فى أنه قانون موجه ضد العدو العام.، وأيضا فى التحديد المجرد للحقوق والواجبات، والتى تقرر الجزاء المدنى على كل فرد يخرج عن هذه الحدود» [1].

ونتتهى الى أن ميد اتخذ اتجاها نظريا عضويا ذا واجهة سيكولوجية. ويبدو ذلك فى تناوله لقضايا الجماعه والتنظيم الاجتماعى، من خلال اتجاهه النفسى فى علم الاجتماع، وحاول أن يقدم لها تفسيرا نفسيا فى ضوء مفاهيمه السيكولوجية التى قدمها مثل: الذات الاجتماعيه، والضبط الاجتماعى النفسى،

(1) Mead, "Psychology of Puntive Justic " Op. Cit. P. 595.

وسيكولوجية العقوبة أو العدالة العقابية. ويكن لنا اجمال نظرية ميد بصدد التفسير السيكولوجى لكيفية تحقق الضبط الاجتماعى داخل اطار الجماعه الاجتماعيه، وذلك من خلال تفسيره العضوى السيكولوجى لتطور الذات أو الشخصية بكلا اطريها الفردى والاجتماعى داخل الجماعة على النحو التالى:

أولا- أن الذات Me والتى يطلق عليها الأنا الفردى. تشتمل بداخلها على الأفكار العاطفيه النفسية مثل: الفرح والسعادة والحزن، والقبول والرفض، والتوافق

أو الاختلاف. ثانيا- يمكن أن نطلق على الذات Me بأنها تمثل الموقف الاجتماعى المضبوط اجتماعيا. والذى يمكن تفسيره سيكولوجيا فى ضوء اتجاهات الافراد الآخرين فى الجماعه الاجتماعيه، وما يسودها من أفكار وميول واعتقادات. اذ تحتوى الذات على مدى توافق الذات الفردية مع أى من الاتجاهات الاجتماعية. وذلك بالرغم من ادراك الذات لكل تلك الاتجاهات الجماعيه فى خبرتها الشخصية. ويأتى هذا التوافق والانضباط وفقا لما يتفق مع الشعور الذاتى، ويمثل فى نفس الوقت» رد فعل لأحد تلك الاتجاهات ، ثم يأخذ هيئة استجابة سلوكية مضبوطة فى الموقف الاجتماعى. .

ثالثا- يمكن القول أيضا أن مشكلة العلاقة والتمييز بين الذات Self عند ميد، يعكس لنا نظريته العضوية ومنهجة «السيكولوجى فى دراسته لقضية العلاقة بين الفرد والمجتمع والتى تمثل رد فعل الذات الفردية لاتجاهات الآخرين فى الجماعه بحيث تأتى استجابتها لتلك الاتجاهات الكلية السائدة فى اطار اختيارها لما يتفق مع اهتماماتها الذاتيه وينعكس أيضا فى موقف سلوك الذات المنضبط من خلال الموقف الاجتماعى.

كما يبدو لنا اسهام ميد المنهجى فى مجال علم الاجتماع من خلال اتجاهه النفسى فبجانب اعتماده على المنهج العضوى فى فهمه وتفسيره للقضايا النظرية السابقة - والتى انشغل بدراستها فى ضوء نظريته العضوية السيكولوجية - اعتمد

ميد فى مجال منهج علم الاجتماع على «مناهج الفهم التفسيرى والذاتى » وقد اتخذ هذا الفهم التفسيرى والذاتى لدى ميد واجهة رمزة اذ أوضح « أنه من خلال التفاعل الرمزى والمعانى الذاتيه الهامة التى تنطوى عليها الاشارات والتى تشكل اللغة، يمكن للفرد أن يقف على اتجاهات الأفراد الآخرين وعواطفهم وتفسيرها. ومن ثم يتصرف وفقا للمعانى المرتبطة بتلك التفسيرات[1].

وهذا يعنى أن ميد من خلال اتجاهه النفسى فى علم الاجتماع واعتماده على مناهج تفسيرية وذاتيه ذات واجهة رمزية، نظر الى اللغة على أنها ظاهرة عقلية سيكولوجية فبواسطتها تنمو الذات الفردية داخل نطاق الجماعه التى تنتمى اليها. كما تكتسب الذات من خلال اشاراتها والمعانى الرمزية المرتبطة بها خبراتها الاجتماعيه حتى تصل الى وحدتها الكاملة. وبالتالى يمكن فهم سلوك الذات فى المواقف لاجتماعيه. ويأتى هذا الفهم من وجهة نظر الفاعل، وفى ضوء المعانى ذاتية والرموز المرتبطة بأفعاله.

---

(1) Kinloch, Op. Cit.. P. 147.

ميد فى مجال منهج علم الاجتماع على «مناهج الفهم التفسيرى والذاتى» وقد اتخذ هذا الفهم التفسيرى والذاتى لدى ميد واجهة رمزة اذ أوضح «أنه من خلال التفاعل الرمزى والمعانى الذاتيه الهامة التى تنطوى عليها الاشارات والتى تشكل اللغة، يمكن للفرد أن يقف على اتجاهات الأفراد الآخرين وعواطفهم وتفسيرها. ومن ثم يتصرف وفقا للمعانى المرتبطة بتلك التفسيرات[1].

وهذا يعنى أن ميد من خلال اتجاهه النفسى فى علم الاجتماع واعتماده على مناهج تفسيرية وذاتيه ذات واجهة رمزية، نظر الى اللغة على أنها ظاهرة عقلية سيكولوجية فبواسطتها تنمو الذات الفردية داخل نطاق الجماعه التى تنتمى اليها. كما تكتسب الذات من خلال اشاراتها والمعانى الرمزية المرتبطة بها خبراتها الاجتماعيه حتى تصل الى وحدتها الكاملة. وبالتالى يمكن فهم سلوك الذات فى المواقف لاجتماعيه. ويأتى هذا الفهم من وجهة نظر الفاعل، وفى ضوء المعانى ذاتية والرموز المرتبطة بأفعاله.

(1) Kinloch, Op. Cit.. P. 147.

الفصل السادس

السلوكية الاجتماعية فى دراسات هارولد جارفيكل الاجتماعية

١- تعريف النزعة السلوكية الاثنوميثودولوجية عندها هارولد جارفينكل

٢- أبعاد النزعة السلوكية فى دراساته الاثنوميثودولوجية بوجه عام

٣- المداخل المنهجية فى دراساته السلوكية الاجتماعية.

٤- خاتمة.

الفصل السادس

السلوكية الاجتماعية فى دراسات هارولد جارفيكل الاجتماعية

HAROLD GARFINKLE

لقد حققت الاثنوميثودولوجى شهرة واسعة فى اطار المداخل الفينومينولوجية فى علم الاجتماع. وعرف جارفينكل بواجهته القيادية فى هذا الصدد، وبالرغم من تزايد العلماء الذين سايروا الاتجاه الاثنوميثودولوجى فى علم الاجتماع. إلا أن جرفنكل من خلال نشر كتابه دراسات في الاثنوميثودولوجى فى عام ١٩٥٧، يظل دون منافسة الممثل الرئيسى لهذا الاتجاه الاثنوميثودولوجى [1]. وفى تناولنا للاتجاه النفسى لدى جارفينكل من خلال دراساته الاثنوميثودولوجية: بتعريف النزعة النفسية الاثنوميثودولوجية عند جارفينكل. ثم نعرض لاتجاه جارفينكل النفسى فى علم الاجتماع فى محاولة للوقوف على مدى اسهامه فى مجال قضايا علم الاجتماع النظرية من خلال اتجاهه النفسى الاثنوميثودولوجى. وأخيرا نتناول المناهج التى اعتمد عليها جارفينكل فى دراساته النفسية الاثنوميثودولوجية، ومدى ما أضافته الى مناهج علم الاجتماع.[2]

٢- تعريف النزعة السلوكية الاثنوميثودولوجية عند جارفينكل:

لقد حاول جارفينكل من خلال اهتمامه الرئيسى بالاثنوميثودولوجى فى علم الاجتماع، أن يقدم لها تفسيرا سيكولوجيا.« وارتبطت دراساته لها بتصورات أساسية مثل: الدقة فى تناول القواعد الأساسية لها، والبرهنه ، وبدايتها التاريخية،

(1) Wallace, R.A. & Wolf., Op. Cit., PP. 267 - 260 .

(٢) تأتي دراسات هارولد جارفينكل الاثنوميثودولوجية فى اطار مدرسة كاليفورنيا، ومدرسة لوس أنجيلوس منذ عام ١٩٥٤ م، . وقدمت مجموعة من المفكرين إلى مسايرة الاتجاه العام لعلم الاجتماع الامريكى. إذ تابع جارفينكل فى اهتماماته العقلية دراسات كل من : شاتز، وهوسول، وجورج جيرفيتش وغيرهممن علماء الفينومينولوجيا. وكان لشاتز أكثر من أثر فى تفكير جارفينكل.

Meizzer, Bernard & Petras, Hohn, W & Reynol, Larry T., Symbolic Interactions. London and Boston : Rolledge & Regan Paul, 1975. P. 75.

والتفسير ، والمثالية ، وردود الأفعال» (١) - كما قدم جارفينكل بعض التعريفات ذات الواجهة النفسية للاثوميثودولوجي منها» أن الدراسات الاثنوميثودولوجية تحلل الأنشطة اليومية وتتخذ عددا من المناهج لجعل تلك الأنشطة عقلية يمكن تحقيقها في الواقع وترتبط هذه الأنشطة العقلية بالأهداف العملية. اذ تعتبر تنظيمات للأنشطة اليومية، والتى تتخذ ردودا لأفعال تمليها واجهات فردية للأفعال الملية، ومن ثم تشكل تلك الأنشطة العقلية الاحساس العام لتلك الأبنية الاجتماعية(٢) كما تستخدم جارفيكل لفظ الاثنوميثودولوجيا ليشير الى «الخصوصيات العقلية ومدلولاتها والأفعال العملية الأخرى، باعتبارها شرط رئيسى للوصول الى تأسيس تنظيم للمهارات العملية للحياة اليومية(٣).

وقد أرجع جارفينكل هذا الاتجاه الاثنوميثودولوجي الى مؤسس الفينومينولوجيا الحديثة ادموندهوسول» والذى ابتعد من خلال نظريته الفينومينولوجية عن مسايرة الاتجاه الفلسفي. ومطلب دراسة الأشياء في ذاتها فى اطار الظاهرة اللاشعورية. ولم يقل هوسول بأن البناءات الرشيدة للفعل الاجتماعى تكون غير مرتبطة باللغة الواقعية. ثم جاء جارفينكل بعد ذلك وأكد من خلال أتجاهه الاثنوميثودولوجي على أن بناء العمليات اللغوية الواقعية يكون متوافقا مع الاثنوميثودولوجي»(٤)

وبالرغم من أن الفضل الأول فى دراسة الاثنوميثودولوجي يرجع الى علماء الفينومينولوجيا. الا أن جارفينكل أوضح أن هناك إختلاف بينهما. ويتمثل فى أن الاثنوميثودولوجي ينظر الى أن كل حقيقة ما زالت تحت التكوين تكون غير مؤثرة فى الواقع، وذلك ما لم يكن الموقف الاجتماعى متوافقا مع اطارات التفسير الذاتية المعقدة وذلك بالرغم من اتفاق كل من الفينومينولوجيا والاثنوميثودولوجيا بالسعى الى فهم كل من السلوك والظواهر في ضوء المعانى التى تكمن خلفها. واهتمام الاثنوميثودولوجي بالدراسة التحليلية والتفسير للطرق التى تتخذها تلك المعانى والتى تبدو فى التعبيرات التى يتخذها السلوك الانسانى (٥).

---

(1) Meizzer, B. & Petra , John & Raynol, L.T., OP. Cit., P. 75.

(2) Ibid., P. 76.

(3) Ibid., P. 76 .

(4) Mckinney, John. C. & Tiryakian, E. A., Theoretical Sociology . New York : Meadith Corporation 1970. P. 18.

(5) Meizzer, B. & Petra , John & Raynol, L.T., Op. Cit., PP. 78 - 79.

ولم يتفق جارفينكل فى اتجاهه الاثنوميثودولوجي السيكولوجي مع وجهة النظر الدروكيمية. والتى ترى أن الحائق التى تمثل موضوع الدراسة فى علم الاجتماع، وهى التى تملك واقعا موضوعيا فقط. وما عدا ذلك يخرج عن نطاق هذه لحقيقة. وأوضح جارفينكل أن الاثنوميثودولوجي بدلا من ذلك ترى أنه فى أطار المواقف اليومية يدرك الأفراد الحقائق الاجتماعية، وتتخذ تلك الحقائق هيئة مثل أو قيم تفسر معنى الموقف بالنسبة للشخص، وتشكل احساسه بهذا الموقف، ويتم ذلك دون الاعتماد على فروض مسبقة وذلك من خلال ادراك الفرد لمضمون تلك المثل الاجتماعية بحيث يصبح متفهما للواقع الاجتماعي[1].

وأخيرا يشير جارفينكل فى اطار تعريفة النفسى الاثنوميثودولوجي ، الى أن لفظ الاثنوميثودولوجي Ethno يشير الى السلالة الانسانية أو الناس، لفظ Method يشير اليالمنهج أو الطريقة، ولفظ Ology يشير الى الدراسة. وبالتالى فهى تهتم بمناهج دراسة السلالة الانسانية أو الناس . وبتكوين أنماط العواطف. المتعلقة بالعالم الخارجي وحل مشاكله. والتى تكون فى الغالب على درجة كبيرة من اللاعقلية[2]. ويتضح لنا من التعريفات السابقة التى قدمها جارفينكل للاثنوميثودولوجي أنها ذات واجهة سيكولوجية رئيسية اذ جاء فهمه لها فى ضوء محاولته تفسير معنى المواقف الاجتماعيه لدى الأشخاص من خلال القيم والمثل والوافع المتعلقة بتلك المواقف، وبالتالى يستطيع الشخص تشكيل احساسه بالموقف فى اطار الدافع. وهذا يعنى أن الواجهة النفسية للاثنوميثودولوجي لدى جارفينكل تبدو بوضوح فى «اهتمامه بدراسة الطرق التى يتوصل من خلالها الأفراد الى النتائج المتعلقة بدوافع معينه.كالدولفع التى تعود الى أنواع محددة من الانتحار مثل الانتحار الشكى على سبيل المثال»[3].

---

(1) Wallace, R.A. & Wolf., Op. Cit., P. 269.

(2) Couzzort, Ray, P. & King, E.W., 20 Century Social thought, New York : Libary of Holl Rinhart, 1980. PP. 314 - 315.

(3) Couzzort, Ray, P. & King, E.W., Ibid., P. 315 .

٣- الاتجاه السلوكي في دراسات جارفينكل الاثنوميثودولوجية :

لقد جاءت اهتمامات جارفينكل السلوكية من خلال اتجاهه السيكولوجي ، وفي نطاق اهتمامه بدراسة الاثنوميثودولوجي في علم الاجتماع. وأيضا انشغاله بكيفية تشكيل العواطف في الواقع الاجماعي. وعلى وجه التحديد من خلال محادثات لافراد وتفاعلهم- وذلك على اعتبار ان التنظيم الاجتماعي أو النظام الأخلاقي يوجد فقط في اطار هذا التفاعل الاجتماعي- كما يدور هذا الاهتمام السيكولوجي في نطاق قيام الافراد بتفسير الواقع من وجهة نظرهم. وذلك ما يجعل هذا الواقع عقلانيا ويشكل احساسهم به [١].

كما أتخذ الاتجاه النفسي الاثنوميثودولوجي لدى جارفينكل، « واجهة راديكالية تمثلت في اهتمامه بدراسة المشكلة الرئيسية للبناء الاجتماعي. اذ ربط بين بناء الفعل الاجتماعي واللغة الواقعية. وجاء ذلك في اطار تقديمه لنظرية سوسيولوجية عن اللغة والنظر اليها أنها تفاعل اجتماعي، يشمل العلاقات المعقدة بين التفكير والعقل في المحادثة مع الاخرين . إذ أنه من خلال اللغة تتشكل البناءات التي بواسطتها تعبر عن مشاعرنا . ومن خلال اللغة أيضا نقنع الآخرين بما تعنيه ، وأيضا بما لا نستطيع أن نعبر عنه مباشرة ويتمثل في المعاني الذاتية[٢] .

وقد أجمل جراهام كلينوشن مجموعة الفروض التي أقام عليها جارفينكل اتجاهه النفسي الاثنوميثودولوجي ونوجزها فيما يلي :«أولا- يمثل النظام الأخلاقي أو البناء الاجتماعي القيمي المعياري جوهر التنظيم الاجتماعي. كما يعتبر مادة الدراسة الذاتية لعلم الجتماع . ثانيا- أن هذا النظام الاخلاقي يأتي متوافقا مع الواقع الاجتماعي الذى يعيش فيه الفراد . ثالثا- يشير النظام الأخلاقي الى التنظيمات لاجتماعيه المختلفه، ويقدم لنا قواعد التفسير للواقع الاجتماعي. رابعا- تأتي الدوافع الفردية متوافقة مع هذا النظام الأخلاقي في تفسيرها للواقع الاجتماعي. ويشكل الفرد عواطفه التابعه من التفاعل اليومي. ويفسرها في ضوء

(1) Kinloch, G.C. Op. Cit., PP. 268 - 269 .

(2) Mckinney, John & Tiryakian, E., Op. Cit., P. 17 .

هذا النظام الأخلاقي . خامسا- تشمل عمليات التفسير العقلاني كل أنواع السلوك السائد في المواقف الاجتماعية. سادسا- أن تلك العمليات التفسيرية للمواقف الاجتماعية تكون ديناميكية طالما أنها تحدث في إطار التفاعل. سابعا- يفترض هذا الاتجاه النفسي لدى جارفينكل أن تلك العمليات التفسيرية للمواقف الاجتماعية والتي تتخذ تنظيمات أخلاقية عقلانية، هي التي تشكل الواقع الاجتماعي. ثامنا- انتهى جارفينكل الى عدد من العمليات العقلانية، ويعتمد عليها الفرد في الوصول الى العقلانية السيكولوجية ، وتشكل الاحساس في نطاق التفاعل اليومي ، وتتمثل تلك العمليات العقلانية السيكولوجية في التصنيف، والمقارنه وتحليل المتغيرات وتحليل النتائج ثم تحليل التوقعات»[1] .

ولقد ارتبط اتجاه جارفينكل السلوكي لاثنوميثودولوجي في علم الاجتماع بمناقشة قضايا نظرية هامة أثارها علماء الاجتماع في نطاق البحث السوسيولوجي أهمها: أولا- انكار جارفينكل الواضح للغرض الوظيفي الذى يرى أن الوقائع الاجتماعيه تملك واقعا هاما بها يفرض نفسه على الأفراد في الواقع. وضرب مثلا بتفسير الوظيفين للدور المتوقع للمدرس في ضوء المهمات التي يقوم بها. وأوضح أن الاثنوميثودولوجي لم تفسر هذا الدور في ضوء تلك المهمات المفروضة مسبقا في مجال الوظيفة، كما لم تفسرها في ضوء عمليات التفاعل فقط، ومن خلال القيم والمثل كما فعلت التفاعلية الرمزية، ولكن تفسير الاثنوميثودولوجية للدور المتوقع للمدرس لا يأتي مستقلا عن الخبرة الفردية، واتجه اهتمامها الى دراسة القواعد التي يسلكها المدرسون باعتبارهم قائمين بعمل التدريس، ما يأتي هذا التفسير في ضوء بناء أفعال الأفراد في الواقع، ومن خلال التفاعل الذى يشكل الاحساس بالموقف الاجتماعي[2] .

ثانيا- الاهتمام بايضاح الفرق بين التفاعلية الرمزية والاثنوميثودولوجي، وذلك بالرغم من أنهما يمثلان اتجاهات نفسية اجتماعية تهتم بالفرد أكثر من الأدوار

(1) Kinloch, G.C. Op. Cit., PP. 26

(2) Wallace, R.A. & Wolf, A., Op. Cit., P. 270 .

والبناءات الاجتماعيه، الا أن الاثنوميثودولوجي تهتم بأسئلة تجيب على توافق المعاني الذاتيه. وذلك من خلال كيفية تأثير قواعد السلوك في تشكيل احساس الفاعلين. والذى يتشكل داخل اطار البيئة أو الموقف بطريقة متوافقة أجتماعيا. أما التفاعلية الرمزية وكما هي عند كولي في مرآة الذات العاكسة، ففي تفسيرها للموقف الاجتماعي تفترض مسبقا أن المعاني يمكن ان تتوافق كاستنتاج يأتي. وهذا من الناحية النظرية[1].

أما من الناحيه المنهجية فبالرغم من أن المناهج في كلا الاثنين واحدة، الا أنها تستخدم بطرق مختلفة في كلاهما. «فالاثنوميثودولوجي تهتم بالمواقف الواقعية التي يمكن في اطارها تحليل الموضوعات التي تشكل الاحساس بالمواقف، والتي يعتبر المعنى فيها غامضا. ويتضح ذلك في مثال لاعب الباسبال في علاقته بجماعته المرجعية، فنجد الاثنوميثودولوجي تهتم بالطرق أو المناهج التي يستخدمها اللاعبين وتشكل احساسهم بالموقف أو النظام. وذلك كنتيجة لردود أفعالهم واستجابتهم، حينما يتصرف الكابتن أو أي لاعب بطريقة غير متوقعة. أى أن الاثنوميثودولوجي يتناول المعنى باعتباره يمثل موضوعا غامضا- أكثر من اهتمامها بدراسة ما كان موجودا في عقول اللاعبين من معنى سابق. وهو ما يشكل اهتمام التفاعلية الرمزية، حين يهتم ميد بمقدرة اللاعب على الوقوف على المعنى الموجود في عقل كل لاعب من الفريق في اطار التفاعل»[2]

ثالثا- أهتم السوسيولوجين بمشكلة عدم اهتمام جارفينكل بالمحتوى البنائي الذى ينبع من العمليات العقلانية. وأوضحوا أنها صاحبت خطاه الثورية في مجال النظرية السوسيولوجية والتي تمثلت في الاتجاه النفسي، الذى ينهض على الاستنتاج والتحليل الواقعي الديناميكي. ويهتم بدراسة الطرق التي يتوصل بواسطتها الناس الى النتائج المتعلقة بالدوافع التي تقود الى أنواع النشاط اليومي. كما تشكل احساسهم بالمواقف الاجتماعية دون الرجوع الى تصورات مسبقة.

---

(1) Wallace, R.A. Op. Cit., P. 269 .

(2) Wallace, R. A. Op. Cit., P. 280.

وبالتالى اهتم جارفينكل فى اطار اتجاهه النفسى الاثنوميثودولوجى بداسة أنماط السلوك التالية: السلوك لاستشارى، والدفاع القانونى، وسلوك الباحثين. وانتهى الى أن محادثات الافراد توجهها المثل الاجتماعية. اذ يعكس الافراد من خلال المحادثات بعض السمات السيكولوجية للشخصية، ويستجيبون فى بساطة للواقع الاجتماعى ويشكلون احساسهم به(١).

٤- المداخل المنهجية في دراسات جارفينكل السلوكية الاجتماعية:

وسوف نحاول الوقوف على الطرق أو المناهج التى اعتمد عليها جارفينكل فى دراساته النفسية الاجتماعية. وذلك بهدق الوقوف على تلك المناهج أولا، ثم معرفة مدى ما أسهمت به فى مجال مناهج علم الاجتماع بوجه عام، ولقد استخدم جارفينكل فى دراساته النفسية الاجتماعيه الاثنوميثودولوجية المقابلات المفتوحة. واعتبرها تمثل الطريقة المثلى لجمع المادة التى تنقل المعنى الذاتى. ويتمثل هذا الاستخدام فى اعتماده على المقابلات المفتوحه فى دراسته لوظائف والاهتمامات القضائية، اذ أجرى مقابلات شخصية معهم بهدف الوصول الى مصادر المعرفة المختلفة والتى تنقل المعنى الذاتى، وقد وقف جارفينكل على مصادر المعرفة المختلفة التى تحدد سلوكهم كقضاة وحددها فى: الكتب القضائية، والنظم القضائية الخاصة بالمحكمة، والدورات التدريبية، وهيئة المحكمة، ثم خبراتهم المتبادلة تجاه بعضهم البعض(٢).

كما اعتقد جارفينكل على منهج دراسة الحالة . ويمثل ذلك تدوينه للنتائج المتعلقة بالأوضاع الجنسية للشخص الممارس فيه. وكانت غالبية المادة المقدمة مجمعة من خمسة وثلاثون ساعة سجلت فيها نغمات المحادثة بين الشخصين الممارس والممارس فيه. وكانت هناك بنت فى سن التاسعة عشرة نغمة صوتها مرتفعة، حيث تابعت مغامراتها الجنسية مبكرا. ومن ثم تضمنت تجربتها التصرف والسلوك كما لو كانت امرأة(٣). وننتهى من هذا الى أن جارفينكل حاول تفسير

(1) Kinloch, G.C.. Op. Cit., P. 269.

(2) Wallace, R. A. & Wolf. A., Op. Cit., P. 275 .

(3) Ibid., P. 276 .

السلوك الواقعي في ضوء الخبرات الفردية التي يكتسبها الشخص وكذلك المعنى الذاتي يوجد لدية ويرتبط بقيم ومثل معينه . ومعتمدا في ذلك على منهج دراسة الحالة وفي اطار اتجاهه النفسي في علم الاجتماع.

والمجتمع الثالث الذي استخدمه جارفينكل في دراساته السلوكية الاثنوميثودولوجية هو منهج التفسير الاستنتاجي THE DOCUMENTARY METHOD OF INTERPRETA TION والذي يتضمن اعتبار أن البحث عن النماذج المتشابهة من خلال الاختلافات المتباينة والتعلقة بادراك المعنى، يتطلب متابعة تفسير سلوك الافراد تجاه بعضهم البعض. ويكون ذلك في اطار دراسته الأنماط السلوكية السائدة [1] . اذ يقول جارفينكل في هذا الصدد «ان منهج التفسير الاستنتاجي يشير بوضوح الى أن التفسير لا يعتمد فقط أو ينتج من دلالاته الفردية التي يستند اليها. ولكنه يشير أيضا الى أن تلك الركائز الفردية في التفسير تفسر وفقا للتعارف عليها في اطار النمط السائد المحدد»[2] .

أما المنهج الرابع والأخير الذي اتبعه جارفينكل في دراساته النفسية الاثنوميثودولوجية، ويعتبر أضافة الى مجال علم الاجتماع من خلال اتجاهه النفسي. « فهو منهج التجربة لاثنوميثودولوجية، واعتمد عليه في دراسة النشاط اليومي المنظم. ذلك النشاط الذي يشمل العمليات الاجتماعية الواقعية المنظمة. والتي تحدث داخل اطار الموقف أو النظام. ويعمل الأفراد من خلالها على تشكيل احساسهم وعواطفهم[3] . وضرب جارفينكل مثلا بتجربة المدرس مع تلاميذه. حين يدخل الفصل دون جديثة، ويبدأ في ممارسة بعض الأعمال الخالية من المعنى مثل: وضع قطع من الأوراق على الأرض، ورسم رموز على السبورة. فهو يتعمد تحطيم الواقع الاجتماعي المنظم للتلاميذ. في حين يتمثل رد فعل التلاميذ في تجميع مظهر النظام الاجتماعي ، ومحاولة تنظيمة في اطار الموقف، ومحاولة اضفاء

---

(1) Wallacè, R.A. & Wolf, A., Op. Cit., P. 277 .

(2) Ibid., P. 277 .

(3) Ibid., P. 278.

تفسيرات تضفى معنى بالنسبة لهم، وتجعل سلوكه واضحا لهم فى ضوء القواعد والمعايير السائدة المشتركة بينهم عن سلوك المدرس[1].

(1) Wallace, R.A & Wolf, A. Op. Cit., P. 284 .

تتمة الفصل السادس :

ترتبط اسهامات هارولد جارفينكل فى مجال علم الاجتماع من خلال اتجاهه النفسى بدراسة ما أطلق عليه بالاثنوميثودولوجى فى مجال الدراسات الاجتماعية، وقد أصبح مفهوم الاثنوميثولوجى يمثل اسهاما جوهريا لجارفينكل من خلال اتجاهه النفسى. بحيث يمكن القول بأنه يمثل اضافة الى مجال مفاهيم علم الاجتماع. وحاول الاعتماد عليه فى تقديم نظرية سوسيولوجية ذات واجهة نفسية وجاء اهتمامها منصبا على دراسة السلوك والظواهر فى ضوء المعانى الذاتية التى تكمن خلفها. وانشغل جارفينكل بكيفية تشكيل الأحاسيس والعواطف فى الواقع الاجتماعى من خلال الموقف الاجتماعى، وبالتحديد فى ضوء محادثات الأفراد وتفاعلهم . واعتبر جارفينكل أن تلك الأحاسيس والعواطف التى تتكون لدى الأفراد تجعلهم يتفهمون هذا الواقع، ويأتى هذا الفهم فى ضوء ما يوجد فى الواقع من قيم ومثل سائدة.

وتبدو الواجهة السلوكية التى تناول من خلالها جارفينكل نظريته الاثنوميثودولوجية فى علم الاجتماع، فى ربطة بناء الفعل الاجتماعى باللغة، فاللغة تمثل لدية اطارا يحتوى التفاعل الاجتماعى بين الأفراد، كما تشمل العلاقات المعقدة بين التفكير والعقل. ونستطيع أن نعبر من خلالها عواطفنا وأحاسيسنا فى الواقع فى ضوء المعانى الذاتية. ويجمع علماء الاجتماع على أن ما تفرد به جارفينكل فى اتجاهه النفسى الاثنوميثودولوجى يتمثل فى «قناعته أنه يمثل واجهة حقيقية مستمرة لواقع أي تفاعل اجتماعى. ذلك التفاعل الذى يحدث من خلال أفراد لا يستقبلون المعلومات من الآخرين بصورة سلبية ولكنهم ينظمونها ويوفقونها، ويطلق على هذه العملية بتوافق المعانى وهو الشيء الذى يجب أن يربط علاقات الأفراد بما فى تفاعلهم اليومى»[١].

والواقع أن دراسات جارفينكل الاثنوميثودولوجية والتى جاءت فى اطار اتجاهه النفسى فى علم الاجتماع اعتمد فيها على مناهج متعددة منها ما يقع فى اطار

(1) Cuzzort. Ray, P. & King, E.W., Op. Cit.. P. 323.

علم الاجتماع مثل: المقابلات المفتوحة، والملاحظات التى أجراها بهدف جمع المادة التى تحمل المعنى الذاتى. وبالتالى أمكنه بواسطتها تفسير النشاط الواقعى. ومن هذه المناهج ما يقع فى اطار علم النفس الاجماعى. مثل منهج دراسة الحالة، والذى استخدمه فى تفسير الواقعى فى ضوء الخبرات الفردية والمعانى الذاتية. ثم أضاف جارفينكل الى مجال مناهج علم الاجتماع منهجا جديدا، من خلال اتجاهه النفس. وهو منهج التجربة الاثنوميثودولوجية. واعتمد عليه فى تفسير الواقع الاجتماعى. وجاء هذا التفسير من خلال تصورات نفسية مثل: ردود الأفعال، والاستجابات، التى تجعل السلوك واضحا فى ضوء القواعد والمعايير والمثل السائدة.

خاتمة الباب الثانى

وإذا ما حاولنا الوقوف على الانجازات التى حققها علماء الاجتماعى الأمريكيين لهذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع، وذلك من خلال تبنيهم لاتجاه علم النفس الاجتماعي وقوانينه. فتجدر الاشارة إلى ما أورده جومر وروسبنرج من أن كل الكتابات الاجتماعية لدى وليم جيمس W.James قد أوضحت هلى مدى الخمسين سنة الماضية أن علماء السلوكية الاجتماعية الأمريكيين قد اتفقوا جميعا على الاصل الاجتماعي للذات الفردية، وأدركوا أن الذات الفردية تعنى القبول والاستجابة التى يلقاها الفرد من رفقائه (١) .

ويجدر بنا الاشار إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية قد ظهر فيها العديد من الأشخاص الذين أنتجوا قدّموا أهتمامات عظيمة فى مجال العمل الفسيولوجى، وفى نفس الوقت كانت لهم مجهودات سيكولوجية متماثله مع أهداف بناء الولايات، وقد تمثلت تلك المجهودات فى بحث مشكلات معينه فى السلوك الأنسانى، حيث عملوا فى هذا الأهتمام متعاونين مع بعضهم البعض، ومتأثرين بمدارس أجنبية أخرى ، وفى ننفس الوقت متفاوتين فى تصوراتهم ومجهوداتهم التجريبية بأمور خاصة وحالات جوهرية فى الحياة الأمريكية التى يعملون فى إطارها (٢) .

ولقد كانت طبيعة نحو علم النفس العام (متماثله مع المرحلة المبكرة فى تطور علم الأجتماع ، وفى حدود الأستخدامات المحدددة لدى علماء الأجتماع ، بمعنى أن المناهج التى كانت مطبقة على واجهات التفاعلات الإنسانية ولعشرات من السنى هى فى جوهرها مناهج سيكولوجية حيث كان السلوك الإنسانى يدرس ويفسر على أسس مختلفة ومع قليل من البحث الواقعى ، ولقد شكلت الحركات

(1) Mead, "Role taking and Reference group" in Coser and Rosenberg., (eds) Op. Cit., P. 259.

(2) Robert E. L. Fairis.; "American Sociology" En Twenth Century sociology; (ed) Georges. Gurvitch; & Wilbert C. Moore; Philosophical Liberary Inc., New York, 1945, PP. 38 - 39.

البرجماتية فى الفلسفة ، السمة المتطورة لعلم الأجتماع الأمريكى ، والتى أنبثق منها التقليد الخاص بعلم النفس الأجتماعى social psyhology والذى ظل فى كليته الأكثر تأثيرا فى مجال علم الأجتماع . وقد كانت الأسماء أكثر أهمية فى أسهاماتها فى هذا المجال هى : (جون ديوى) john dewey ، (جورج هربرت ميد) George Herbart mead ، (تشارلز هورتون كولى) Charles Horton Cooly ، (الزوروس فبرز) حيث شكل هؤلاء العلماء مجتمعين جسماً من التفكير بتعاونهم مع مجهودات الأخرين وبتطورهم المحاولات المبكرة فى الأهتمام بالسلوك الأنسانى على أسس من التحديات البيلوجية ، ومبتدئين « بالطفل الأنسانى « Human infant حيث أظهروا كيف أن السمات العقلية والشخصية تنهض فى إطار عمليات التفاعل الأجتماعى ، لدرجة أن الأنسان يصبح موجود إجتماعى لأنه يعيش فى الجماعات الأجتماعية . وأن كانت هناك أتجاهات سيكولوجية سائدة فى إطار التفكير المنطقى فى علم الأجتماع الأمريكى مثل : «النزعة السلوكية « Behavirism المتمثلة فى مدرسة الجشطلت السيكولوجية Gestalt Psychology، وأتجاه التكتلات السيكولوجية « في مجال الأختلافات الفرويدية ، ولكن السيكولوجين قد تبنوا نفط وأرتبطوا بقوة مع ذلك التقليد المفيد لعلم الأجتماع ، والذي لبى حاجة علماء الأجتماع بتوافقه ، وهو الأتجاه السيكولوجى السائد فى علم النفس ، ويسمى بعلم« النفس الأجتماعى « socialpsychology .[1]

وفى هذا الأهتمام يرى (جيمس وودارد) James Woodard أن أنجازات علم النفس الأجتماعى المتلائمة مع مجال الشخصية وتطورها ، وأيضا النتائج التى لاتزال تطبق فى أختبار وقياس الشخصية تستحق معالجة متسعة ، ومن ثم يجب أن نهتم فى هذه النقطة بفهم كيفية ظهور الذات فى إطار أعمال (وليهجيمس) (بالدوين) ،(كولى) ،(ميد) تلك التى تعتبر واحدة من الأسهامات الدائمة لهم.[2] ويرى أن تأكيدات (كولى) الرئيسية كانت منصبه على « العلاقات العضوية بين

(1) Rebert E. Ļ. Fairs; "American Sociology" Op. Cit., PP. 554 - 555.

(2) James W. Woodnrd., "Social Psychology " En Twenth Century: Op. Cit.; PP. 237 - 238.

الفرد والمجتمع ، على أنهما أجزاء غير منفصلة لشيء واحد ، وأيضا على أهمية جماعات المواجهة المباشرة الأولية PRimary Face - To Face بأعتبارها مجالا للنمو الفردى والمشاركة الفردية ».[1]

ويتضح لنا إسهام علماء الأجتماع الأمريكيين فى مجال قضايا علم الأجتماع من خلال أعتمادهم على مفاهيم علم النفس الأجتماعى بشكل واضح . ويمكن القول أن أهتمام كل من كولى وميد بفهم وتفسير قضايا علم الأجتماع مثل - العلاقة بين الفرد والمجتمع ، والجماعات الأجتماعية ، وقضايا تفسير السلوك فى أطار التفاعل - قد جاءت فى ضوء أعتمادهم على مفاهيم مثل : الذات الأجتماعية ، والتفاعل الرمزى . وبالتالى كانت أنجازات علم النفس الأجتماعى فى مجال دراسة بناء الشخصية وتطورها متوافقة مع أهتمامها بدراسة الذات الأجتماعية . وقد أوجب ذلك الأهتمام بمعالجة النتائج المطبقة فى أختبارات قياس الشخصية . وأيضاً فيما يعلق بكيفية ظهور الذات فى أعمال كولى وميد ، والتى تعتبر من أهم أنجازاتهم فى مجال أتجاههم النفسى فى علم الأجتماع[2]، وبناء على ذلك أتخذت أعمال كولى وميد أهمية خاصة فيما يتعلق بدراسة نمو الطفل ، والتى تناولتها مداخل مختلفة فى مجتمعات مختلفة ، فى أطار ما يسمى بعلم النفس الأجتماعى التجريبى[3] .

ويلاحظ أن كولى حاول تفسير قضايا الجماعة والسلوك فى الواقع الأجتماعى، وذلك من خلال أتجاهه العضوى النفس ، وأعتمد فى تفسيره هذا على مفاهيم نفسية مثل الذات الأجتماعية والتفاعل الرمزى ، ويمكن القول أن، أهتمام كولى بتطور الذات الأنسانية من خلال التفاعل الأجتماعى فى أطار الواقع جاء على نطاقين : الأولى - يعنى أن تناوله لتطور الذات الفردية فى إطار الواقع

(1) Ibid., PP. 238.

(2) Woodard, G.W., "Social Psychology ", In George , Gurvitch. & Wilbert E. Moore., (eds.) Twentieth century Sociology, New York : Philosophical Library, 1954. PP. 237 - 238.

(3) Woodard, G.W., & Wilbert E. Moore., Op. Cit. P. 236.

الأجتماعي – ومن خلال المشاركة وأكتساب الخبرات الأجتماعية بحيث يمكن أن نطلق عليها صفة الأجتماعية – قد جاء في ضوء فهمه للعلاقة بين الفرد والمجتمع ، على أنهما يمثلان أجزاء مقسمة لشيء واحد . وهذا يعكس لنا نظريته العضوية والسيكولوجية ، والتي تتجلى في فهمه لتطور الذات الانسانية في أطار العلاقة العضوية السيكولوجية بين الفرد والمجتمع .

ويتمثل المستوى الثاني – في فهم كولي وتفسيره للدور الذي تلعبه الجماعات الأولية في تشكيل وتطور الذات الأجتماعية . إذ يأتي ذلك في ضوء علاقات المواجهة المباشرة والتفاعل والمشاركات والمبادىء الأولية . وأكد بالرغم من أن الفرد لا يصبح كائنا إجتماعيا إلا إذا كان يعيش في جماعة إجتماعية . إلا أن هناك فترة في حياة كل شخص تكون فيها الأسبقية للجماعة»[1] . وهذا يعني من وجهة نظرنا أنه في نطاق الجماعات الأولية مثل : الأسرة والجوار والصداقة يمكن أن تنمو الذات الفردية ، وتتطور من خلال علاقات التفاعل والمشاركة الأجتماعية ، إذ تمنحها تلك الجماعات الأولية وحدتها الأجتماعية بواسطة خصائصها النفسية، والتي تتمثل في: المبادىء والمثل والأفكار والعواطف، وتكون مشتركة وعامة في عقول أفراد الجماعة .

ويمكن أن ننتهي بأن الذات الفردية في إطار نظرية كولي العضوية السيكولوجية لا تجد الظروف الملائمة للنمو والتطور إلا في نطاق الواقع الأجتماعي . وأن كان كولي لايتفق في هذا الصدد مع دوركيم في أن الجماعة هي الفيصل الوحيد في تشكيل الطبيعة الأنسانية . إذ يرى كولي أن الشخصية الأنسانية تشتمل علي الصفات الفردية الوراثية البيلوجية ، والتي تتفاعل مع البيئة الأجتماعية الممثلة في واقع الجماعات الأجتماعية . ومن هنا تأتي الحقيقة الأجتماعية للذات . في إطار نظريته للعلاقة العضوية بين الفرد والمجتمع . بل أعتبر أنهما يمثلان أجزاء غير متفصلة لشيء واحد»[2] . وهذا يؤكد لنا نظرية كولي

(1) Fairs, Robert, E.L., Op. Cit., P. 555.

(2) Woodard, G.W. Op. Cit., P. 238.

العضوية السيكولوجية والتى يفسر من خلالها الواقع الأجتماعى . وكذلك أعتماده بجانب المنهج العضوى – والذي أعتمد عليه في معلجته لقضايا العلاقة بين الفرد والمجتمع والجماعة والسلوك – على منهج سيكولوجى أتخذ لديه واجهة الفهم التعاطفى . وأستطاع كولى من خلاله أن يقف على الدوافع التى تكمن خلف السلوك . وتفسر فى الوقت نفسه المعنى الذاتى لسلوك الذات داخل أطار التفاعل الأجماعى .

وإذا ما أنتقلنا إلى مناقشة مدى الأسهام الذى قدمه ميد من خلال أتجاهه النفسى إلى قضايا علم الاجتماع النظرية والمنهجية . نجد أن جيمس وودارد يجعل هذا الأسهام ، بأنه قدم أتجاها نظريا يفسر أرتباط الذات الفردية عضويا بالمجال الثقافى والأجتماعى الذى تنتمى إليه . وأعتبر ميد أن هذا المجال يمثل مصدرا للمعانى والأفكار والقيم التى تعد معانى نفسية . ومن ثم تابع فى ضوء هذا الأتجاه النظرى النفسى الأهتمام بتفسير ظهور الذات ، وفسر ظهورها من خلال السلوك الأجتماعى ، الأعمال الواقعية وأنساق التخيل ، واللعب ، وأعتبر ميد أن تلك الأنساق تمثل دوافع تلقائية لظهور الذات ونموها[1] .

ومما سبق يتضح لنا مشابعة ميد لاتجاه علماء النفس الاجتماعى الأمريكيين فى الأهتمام بتأكيد الأصل الأجتماعى للذات . وتفسيره ظهورها ونموها فى الواقع الأجتماعى، ومن خلال أكتساب الخبرات الأجتماعية داخل نطاق الجماعات الأجتماعية . وهذا يعكس لنا نظريته، العضوية السيكولوجية فى دراسته لظهور الذات ونموها . إذ يتم هذا النمو داخل نطاق أطارات مرجعية مثل : أطارات التخيل ، واللعب ، واللعبة . وتؤدى تلك الأطارات بالفرد إلى أن يتماثل مع الأتجاهات العامة فى الجماعة ، كما تشكل ذاته الأجتماعية ، وبالتالى تأتى أستجابة الفرد لتلك الأتجاهات العامة بواسطة ذاته الفردية . والتى تتشكل فى أطار ذاته الأجتماعية . ثم تدرك الذات بعد ذلك الأتجاهات السائدة فى الجماعة ككل. وتتمثل تلك الأتجاهات في الملكيات العامة ، والأستجابات العامة ، والتى تحتوى تحقيق الذات الفردية فى الوقت نفسه .

---

(1) Ibid., P. 239.

ويمكن القول بأن هناك أتفاقا بين كولي وميد في أعتمادهم على الأتجاه العضوى السيكولوجي . وذلك بصدد تفسيرهم لتكوين الذات الأنسانية ونموها داخل أطار الجماعات الأولية . تلك الجماعات التى تمنح الذات خصائصها الأجتماعية النفسية . كما تهيىء أيضا للذات الفردية البيئة الملائمة للتكوين والنمو وأكتساب الخبرات الأجتماعية . ولقد أوضحت أنتصار يونس في هذا الصدد ، أنه بالرغم من الأتجاه السائد بين العلماء الأمريكيين نحو الأهتمام بدراسة الواقع الأجتماعي الامبريقي . وأعطاء الحياة الأجتماعية الدور الغالب في التأثير على الأفراد . حيث كان هناك أتفاق بين كولي وميد ودوركيم في أتجاه النزعة السلوكية . وقد وضح ذلك بصدد دراستهما لنشأة الذات الفردية ونموها في أطار الحياة الأجتماعية ، ولم يغفلا دور المبادىء والمثل والأفكار والأحاسيس والقيم ، والتى تتمثلها الذات في أطار مشاركتها الاجتماعية مع الآخرين في الواقع الأجتماعي[1] .

كما يمكن القول أن تفسير ميد العضوى السيكولوجي خلال أتجاهه السلوكي في فهم للعلاقة بين الذات الفردية والذات الأجتماعية Me ، يتفق مع تفسير كولي العضوى السيكولوجي لمشكلة العلاقة بين الفرد والمجتمع. إذ يمنح هذا التفسير لكل من العمليات العقلية الشعورية وعمليات المشاركة واكتساب الخبرات، دورا متعادلا في تشكيل الذات ونموها داخل اطار الجماعات الاجتماعية، وحتى تصل إلى مرحلتها الاجتماعية الكلية. كما يتفقان في اعتمادهما على منهج سيكولوجي بجانب المنهج العضوى في دراسة تلك العلاقة العضوية السيكولوجية. وقد اتخذ هذا المنهج السيكولوجي لدى كولي واجهة الفهم التعاطفي. بهدف الوقوف على المعانى الذاتية التى تكمن خلف سلوك الذات. في حين اتخذ منهج الفهم السيكولوجي لدى ميد واجهة رمزية. تهدف إلى الوقوف على المعانى الخاصة بالرموز والاشارات. والتى تمثل محتوى للغة المحادثات بين الأفراد داخل نطاق التفاعل الاجتماعي.

(١) انتصار يونس، السلوك الانسانى، القاهرة : المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر، ١٩٦٦ ، ص : ٢٠٦

كما جاء اهتمام ميد بدراسة الجوانب النفسية للعدالة العقابية المتمثلة في القانون، مدعما لاتجاهه النفسي في دراسة الظواهر الاجتماعية. وتحقيق الضبط الاجتماعي السيكولوجي داخل نطاق الجماعات الاجتماعية. إذ اعتمد في تفسيره لتلك العدالة على مفهوم سيكولوجية العقوبة، ومنهجه للفهم السيكولوجي. واستهدف من ذلك الوقوف على المعاني الذاتية المرتبطة بمواقف التفاعل الرمزي. وأوضح ميد أن احترام القانون لا ينبع من الالتزام الصارم له، ولكنه يكمن في المحتوى العاطفي الذي يتمثل في الميول والأحاسيس المتعلقة بمدى أهميته بالنسبة للأفراد. وأيضا يرجع هذا الاحترام للقانون إلى وصمة العار التي تصاحب الجرم، تبدو في الاشمئزازت، التي تفصح عن نفسها ضد الجريمة. هذا بالاضافة إلى أن احترامنا للقانون كقانون يقوم على الاحساس الأخلاقي بالأمانة واحترام الحقوق والواجبات. كما يتيح لنا فرصة اشباع الدوافع التي تحقق ذواتنا الفردية مع الاتجاه الكلي السائد في الجماعة. وأخيرا يترتب على احترام القانون سيادة اتجاه عدواني عاطفي نحو مخالفة القانون. إذ يوجد هذا الاتجاه العدائي كل أعضاء الجماعة كما يكشف عن القيم العامة التي تكمن خلف البناءات المتشبعة للغايات الفردية.

وفيما يتعلق بمدى الاسهام الذي قدمه جورج هومانز في إطار النزعة السلوكية في علم الاجتماع الأمريكي. وما أضافة من خلال اتجاهه السلوكي إلى موضوع علم الاجتماع، ومنهجه، ونظريته بوجه عام؟. يمكن القول أن هومانز اتخذ اتجاها وظيفيا سيكولوجيا من النظرية السوسيولوجية. ويتكون هذا الاتجاه النظري السيكولوجي لديه من عدد من القضايا. والتي تنهض في تفسيرها وتحليلها للظواهر الاجتماعية، وعناصر السلوك الانساني، والعمليات التفاعلية على التحليل والتفسير الاجتماعي النفسي . وقد أكد هومانز في هذا الصدد على امكانية التفسير الاجتماعي النفسي لعناصر السلوك الانساني. والتي تتمثل في : التفاعل أو الاتصال الاجتماعي، والاحساس، والأنشطة العاطفية المشتركة، ثم أخيرا المعايير. إذ حاول تفسير تلك العناصر أو المفاهيم السابقة في ضوء التصورات المستخدمة في النظريات النفسية السائدة ومن ثم اهتم بالتفسير الاسقاطي في كتابة السلوك

الاجتماعي. والذى اهتم من خلاله بتفسير السلوك وتحليل عناصره السابقة. وجاء هذا التفسير فى ضوء الواجهات السيكولوجية مثل : الدوافع والشعور والقرارات التى تشتمل على تقييم وتوقع المكافآت والاثابات [1].

وبالتالي ذهب هومانز من خلال نظريته الوظيفية السيكولوجية إلى تفسير قضايا السلوك الانسانى، وجاء هذا التفسير على مستويين : «الاول» يتمثل فى تفاعل سلوك الصياد مع البيئة الخارجية أو النسق الخارجى، وعلى ضوء تصورات ومفاهيم نفسية تمثل أهدافا لهذا السلوك الانسانى وهى الاثابات والعقوبات. كما فسر حالات الاشباع والحرمان التى يصل إليها الفرد فى اطار المكافآت والعقوبات. ولم يغفل أيضا هومانز تفسير الحالات الداخلية النفسية للفرد. والتى تصف علاقته بالبيئة وتحتوى على مضمون ذاتى يتمثل فى الدافعية. وما يتبع تلك الدافعية من نشاط مدفوع تجاه: الرضا أو القلق، النجاح أو الفشل، أو الاحباط.

وفى «المستوى الثانى» قدم هومانز تفسيرا سيكولوجيا وظيفيا لقضايا السلوك داخل اطار التفاعل الاجتماعى بين الشخص والآخر. وجاء هذا التفسير معتمدا على مفاهيم نفسيه مثل الدوافع والشعور وتوقع الاثابات من خلال عمليات المشاركة. التى تعتمد على تأثير الآخر فى الشخص باسدائه له النصيحة التى يحتاج إليها فى مجال. العمل على سبيل المثال. وفى المقابل من ذلك يمنحه الشخص التوافق. وفى حالة التوافق هذه يصل الفرد إلى حالة الاشباع، والتى تعكس وراءها قيما متغيرة نظرا لارتباطها بدوافع غريزية لا شعورية. وايضا لاعتمادها على ما يكتسبة الشخص فى الحياة من سمات وأفكار نفسية يحملها خلال عمليات التنشئة الاجتماعية. وفى هذا الصدد يمكن القول أيضا أن هومانز يتفق مع كولى وميد فى تفسيرهما العضوى السيكولوجى لقضايا السلوك داخل اطار التفاعل الاجتماعى باعتماده على مفاهيم نفسيه مثل : الدوافع والمشاركات والاتجاهات

(1) Jones, J.K.C., Op. Cit., P. 152.

وقد سبق الاشارة إلى معالجة هومانز للخمس قضايا السلوكية التى وضعها لمناقشة المحتويات السيكولوجية لعناصر السلوك الانسانى. مع ملاحظة عدم التفرقة فى تطبيقها على نمط التفاعل الانسانى فى اطار البيئة الخارجية – النسق الخارجى – من خلال موقع المكافآت والعقاب . أو فيما يتعلق بنمط التفاعل الانسانى مع الشخص الآخر فى اطار الجماعة.

والعواطف، والتي تقوم على التأثير المتبادل بين الشخص والآخر. وأن كان يختلف عنهما في حصره نطاق التفاعل بين الشخص والآخر فقط.

وتجدر الاشارة إلى أن تحليل العمليات التفاعلية لدى هومانز كانت محاولة أكثر شمولا لفهم وتفسير السلوك الانساني من خلال تأكيده على الواجهات السيكولوجية. وجاء ذلك في بناء من القضايا يبدأ من عدد صغير من القضايا، ويتحرك من خلال التفسير الاسقاطي. إذ يهدف هذا التفسير إلى التنبؤ بسلوك الشخص في مستوياته المختلفة. وقد اشار شادويك جونز إلى أن هذا التفسير قد قدم من خلال ستين دراسة تطبيقية امبريقية. والتي نفذت بواسطة علماء علم النفس الاجتماعي، وجمعت في تقرير يعد من أندر التقارير سيكولوجية..وأدى هذا التقرير إلى ظهور كتاب الجماعة السيكولوجية في السنين الأخيرة. إذ ينطوي هذا الكتاب على أهمية كبرى، فيما يتعلق بمدى اسهاماته للنظرية السيكولوجية الاجتماعية[1].

ويتفق هومانز في تفسيره السيكولوجي لتلك العمليات التفاعلية مع ميد في تحليلة وتفسيره لقضايا السلوك والتفاعل من خلال مفاهيم علم النفس. اذ يرى «أننا نشارك كل بدوره في عمليات التعاون، والصراع، والتوافق. إذ تأخذ تلك العمليات طابع الاستمرار في أي مكان وأي زمان. على عكس البناءات الاجتماعية والتي غالبا ما تختلف من مجتمع لآخر، ومن جماعة إلى أخرى داخل نطاق المجتمع الواحد، وقد أطلق ميد على تلك العمليات الاجتماعية التفاعلية. وأنها تكون أساسية في دراسة المجتمع وبعدها تأتي الواجهات البنائية له»[2]. وقد أوضح د. عاطف غيث بصدد التفسير السيكولوجي لتلك العمليات التفاعلية لدى هومانز، أن موقف التفاعل مع الآخرين يمثل عملية ايجابية تتحدد وفقا لاتجاهات سلوكهم والتفسيرات المتعلقة بها. فقد يحدث أن يقوم الأفراد بتعديل أو تغيير استجاباتهم. أو ينظمون رغباتهم ومشاعرهم بحيث تكون متلائمة

---

(١) د. محمد عاطف غيث ، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر . الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠، ص ١١٦.

(2) Jones, J. K. C., Op. Cit., P. 153.

مع المعايير والقيم التي يعتقدون فيها. ومن ثم يحدث التكيف والتوافق في موقف التفاعل[1]

ويتضح مدى الاسهام الذى قدمه هومانز في مجال منهج علم الاجتماع من خلال الاتجاه السلوكي. إذا ما عرفنا أنه اعتمد على أكثر من طريقة منهجية في فهم ودراسة قضاياه الوظيفية السيكولوجية. والتى وضعها لدراسة قضايا السلوك الانساني، والجماعات الصغيرة، والنسق الاجتماعي. فبجانب المنهج العضوى الذى استخدمه في دراسة قضايا التفاعل بين الشخص والآخر استخدم الملاحظة. هذا بالاضافة إلى استخدامه لمناهج القياس الاجتماعي ومناهج دراسة الحال، والتى يعتبر استخدامها من قبله اضافة الى مجال قضايا علم الاجتماع المنهجية من خلال الاتجاه النفسي.

ويبدو لنا بوضوح أن اتجاه هارولد جارفينكل السلوكي الاثنوميثودولوجي يمثل اسهاما جوهريا له في مجال قضايا علم الاجتماع المعاصر. فهو يتفق مع اتجاه التفاعلية الرمزية لدى العلماء الأمريكيين أمثال: كولى، وميد، وتوماس. اذ حاول من خلال الاتجاه النفسي الاثنوميثودولوجي تقديم اطار نظرى، واستهدف من خلاله فهم وتفسير قضايا السلوك والتفاعل كما هي في الواقع الاجتماعي. واعتمد جارفينكل في ذلك التفسير على مفاهيم وأفكار نفسية مثل: الدوافع المتوافقة مع النظام الأخلاقي، والتى يمكن في ضوءها تفسير المعاني الرمزية الخاصة باللغة وقد أوضح روث ولاس والسون وولف في هذا الصدد أن جارفينكل يختلف مع علماء التفاعلية الرمزية الأمريكيين، في عدم اعتماده مثلهم على التصورات المسبقة. اذ ينظر علماء التفاعلية الرمزية الى المعنى من خلال التصورات. المسبقة باعتبارها استنتاجا ذاتيا. أما جارفينكل من خلال الاتجاه النفسي الاثنوميثودولوجي فيرى أن كل فرد يسعى الى الوقوف على المعنى الموجود في عقول الآخرين من خلال التفاعل في الواقع.

---

(1) Homans , "Fundamental Social Process " Op. Cit.. P. 31.

كما قدم جارفينكل من خلال اتجاهه السلوكي الاثنوميثودولوجي اسهامات منهجية هامة، تعتبر اضافة في مجال قضايا علم الاجتماع المنهجية ، اذ تتضح تلك الاسهامات في استخدامه بجانب الملاحظات والمقابلات المفتوحة، المناهج التفسير الاستنتاجي وأيضا منهج التجربة الاثنوميثودولوجية. وقد ارتبطت تلك المناهج باتجاهه النفسي الاثنوميثودولوجي. كما يمكن للباحث من خلالها دراسة الطرق التي بواسطتها يشكل الأفراد احساسهم بالواقع كما هو.(١)

(2) Ruth A Wallaca & Allson, Wolf., Contemporary Sociological theory. op. cit., p. 279.

الباب الثالث

السلوكية الاجتماعية في قضايا علم الاجتماع الألماني

الباب الثالث

السلوكية الاجتماعية في قضايا علم الاجتماع الألماني

إذا كان أهم ما يميز نمو النظرية السوسيولوجية في الربع الأول من القرن العشرين هو ذلك الاتجاه السيكولوجي، الذى سيطر على علم الاجتماع ونما فى أقطار مختلفة. فقد كانت ألمانيا مجالا خصبا لسيادة هذا الاتجاه في مطلع القرن العشرين. وقد استعرضنا فى «الباب الأول» حقيقة هذا الاتجاه السلوكى الاجتماعى وجذوره فى تاريخ الفكر الاجتماعى. ثم لبدايات تطوره فى علم الاجتماع من خلال اهتمامات رواده الأوائل فى علم الاجتماع ثم فى نطاق المدرستين الأمريكية والألمانية. وذلك فى محاولة للوقوف على الموضوعات التى انشغلوا بها، والمناهج التى اعتمدوا عليها فى تناول تلك الموضوعات. وفى «الباب الثانى» حاولنا تتبع مدى اهتمام علماء الإجتماع الأمريكيين للدراسة فى هذا المجال. والاهتمام بموضوعاته والمناهج التى اعتمدوا عليها. وكان ذلك من خلال الأعمال التى انشغل بها كل من: كولى، وميد، وهومانز، وجارفينكل. وأولينا اهتماما كبيرا فى عرض وجهات النظر إلى مدى الاتفاق والاختلاف بين هؤلاء العلماء. وذلك بغرض الوصول فى النهاية إلى مدى ما أسهمت به السلوكية الاجتماعية فى مجال علم الإجتماع الأمريكى بوجه عام.

أما الأن فسوف نحاول بيان مدى اسهام هذا المدخل السلوكى فى قضايا علم الاجتماع الألمانى. وذلك من خلال الاهتمام بموضوعات شغلت فكر العلماء الألمان فى مجال النظرية السوسيولوجية. على أية حال سوف نحاول أن نقف على بعد هذا الاسهام سواء فى مجال موضوعات علم الاجتماع أو مناهجه أو نظريته. وذلك من خلال اهتمامات ثلاثة من العلماء الألمان كان لهم أثر بالغ فى نمو وتطور هذا الاتجاه السلوكى فى علم الاجتماع الألمانى بوجه خاص. وفى النظرية السوسيولوجية بوجه عام وهم : ماكس فيبر Max Weber ، جسورج زيمل George Simmel، كارل مانهايم Karl Manheim.

ونرى من المفيد في هذه المقدمة أن نلقى ضوءا على المناخ الفكرى الذى ساد المانيا في مطلع القرن العشرين، بحيث يمكن من خلاله فهم الاسهام الذى قدمه هذا الاتجاه النفسى في علم الاجتماع «اذ ساد المانيا في هذا الوقت الفلسفة الكانطية. والتى أكدت على وجود هوة واسعة لا يمكن تجاوزها بين عالم الظواهر المادية وعالم الروح الذى يتمثل قبل كل شئ في القيم. كما سادها الفلسفة المثالية لدى دلتى التى وضعت تمييزا منهجيا محددا بين تلك العلوم الطبيعية والعلوم التى تعالج الفعل الانسانى. ونظرت تلك الفلسفة المثالية إلى الميدان الاجتماعى على أنه ميدان تاريخى وثقافى، لا يصلح للقوانين التعميمية والتى لا توجد إلا في العلوم الطبيعية [١] .

ولقد بدأ علماء الاجتماع النفسى الألمانى في المقابل من هذا الاتجاه النظرى السائد «يؤكدون على أن هناك صلة ضرورية بين كل العلوم طبيعية كانت أو روحية» [٢] وحاولوا تقديم اطارات سوسيولوجية يمكن من خلالها تفسير الظواهر سواء كانت طبيعية أو ظواهر تختص بالفعل الانسانى وما يقف خلفه من دوافع وقيم. وعلى سبيل المثال : اعتقد فيبر أن علم الاجتماع يجب أن يبحث عن تفسير سببى للفعل الانسانى يكون قادرا على معرفة غاياته. كما يجب أن يبرز بعد آخر هو بعد الفهم الذى يقوم على التعاطف مع الآخرين وسبر أغوارهم. وأيضا الاهتمام بدراسة الظواهر الاجتماعية من الداخل، كما هو في دراستنا للسلوك أو الظواهر على أنها أشياء من الخارج. وبالتالى جاء التفكير في تفسير السلوك الانسانى والظواهر الاجتماعية والعمليات التاريخية الكبرى [٣]

وبوجه عام تمتد بدايات هذا الاتجاه السلوكى لدى علماء الاجتماع الألمان إلى فلسفة هوسرل ومنهجه الفينومينولوجى وتلميذه، ماكس شيلر. اذ حاولت تلك

---

(1) Weber, Max, Theory of Social and Economic Organization. Op. Cit., P. 290.

(2) Ibid. "Introduction" by T. Parsons., P.10.

(٣) محمد على محمد، رواد علم الاجتماع «قراءة جديدة للفكر الاجتماعى الغربى» الاسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦، ص ٢٠٩.

الفلسفة فهم الفرد والظواهر في ضوء المعاني التي تكمن خلفها، وأيضا من خلال الاتجاهات السائدة في الظروف المجتمعية. واستخدام ماكس شيلر المنهج الفينومينولوجي ليقدم من خلاله نظرية متطورة في فهم العواطف - وقد تابع جورج زيمل تلك المدرسة الفينومينولوجية من خلال اتجاهه النفسي. ورأى ضرورة فهم العلاقات المجتمعية والظواهر في ضوء المعاني التي تكمن خلفها. واعتبر أن تلك العلاقات المجتمعية تمثل كل بنائي يتكون من العمليات التفاعلية والانسانية، والاتجاهات المتبادلة بين الأفراد [١].

كما وجد هذا الاتجاه السلوكي جذوره في تاريخ الفكر الاجتماعي الألماني، تحت ما عرف باسم سيكولوجية الشعوب، فقد تحدث هيجيل عن الروح الوطنية أي روح الشعب، واهتم في كتابة فلسفة التاريخ بالروح الخاصة بكل الشعب. كما اعتبر هاريات ولازوراس أن علم النفس يعد نوعا من علم حركة الروح. بمعنى أن التصورات الجمعية تمثل مراكز القوى العاملة في اطار هذه الحركة[٢]

(1) Salomon, Albert, "German Sociology" In Georges, Gurvitch & Wilbert E. Moore, (eds) twentieth century Sociology, Op. Cit., P. 609.

(٢) ارمان كوفيليه، مرجع سابق ، ص ٥٢.

الفصل السابع

السلوكية الاجتماعية لدى ماكس فيبر

٢- الاتجاه الذاتي في منهج ماكس فيبر

٣- النموذج المثالي كأداة منهجية لتحقيق الفهم السيكولوجي بين روح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة .

٤ - التفسير السيكولوجي للفعل الاجتماعي عند فيبر .

٥- سيكولوجية نظرية القيمة في علم الاجتماع عند فيبر .

٦- خاتمة .

الفصل السابع

السلوكية الاجتماعية فى دراسات ماكس فيبر الاجتماعية
MAX WEBER

احتل ماكس فيبر مكانة بارزة على مسرح السياسة الألمانى. ولعب دورا بارزا فى الاعداد للمذكرة الخاصة بمجرمى الحرب الألمانية وقدمت إلى مؤتمر السلاح بباريس. كما اشترك فى اللجنة التى قدمت مشروع دستور فايمار. وكانت له اهتمامات عقلية ارتبطت بموجات وتيارات عقلية فى ذلك الوقت. فقد اهتم فيبر بجانب دراسة البعد التاريخى للنظم القانونية والاقتصادية. بامكانية تحقيق الدراسة الامبريقية للأشكال الاقتصادية والاجتماعية. وجاء أول تقدم فى تفكيره من خلال اهتمامه بتكوين الرأسمالية فى المجتمع الغربى وانتهائه بمناقضة الاتجاه الماركسى. وتأكيده على الدور الهام الذى تلعبه الأفكار فى تحقيق الفهم الداخلى للعمليات التاريخية. وقد استند فيبر فى ذلك إلى أن الديانة البروتستانتية تمثل جوهر تكوين الرأسمالية الحديثة. وأصبحت هذه القضية لديه تمثل نقطة بداية للعديد من الدراسات الامبريقية المقارنة بين الحركات الدينية والنظام الاقتصادى. والتى جمعت فى ثلاثة مؤلفات رغم عدم اكتمالها [٢].

وسوف نحاول فيما يلى الوقوف على الاتجاه النفسى لدى ماكس فيبر. وذلك

ولد ماكس فيبر فى عام (١٨٦٤ - ١٩٢٠) وجاء من اكثر الطبقات ثقافة عالية فى ألمانيا، وهى الطبقة العليا، ودرس القانون فى برلين وحصل على وظيفة فى جامعة برلين فى وقت مبكر. ثم عين فى وظيفة أستاذ للاقتصاديات فى جامعة فرايبرج وأنتقل إلى وظيفة مماثلة بجامعة هايد لبرج، وبالرغم من معاناه فيبر للعديد من الأمراض الصحية التى أعفته من أستاذيته وأقعدته عن الانتاج لمدة أربع سنوات. فقد عاش بعد هذه الفترة أخصب أيام حياته كأستاذ متفرغ فى مدينة انفاليذرج بها يد لبرج . وفى الفترة الأخيرة من الحرب العالمية قبل وظيفة غير دائمة للتدريس فى حامعة فينا. ثم وظيفة أستاذ كرسى للاقتصاد بجامعة ميونيخ. وفى عام ١٩١٩م فاجأه المرض ومات بالفومونيا فى نصف العام الدراسى الأخير، وهو فى أوج قوته العقلية.

(1) Parson, Ralcot, His Introduction of the theory of Social and Economic Organization " (by) Max Weber., Op. Cit., PP. 4 - 5 .

(2) Parsons, Talcot, Op. Cit., ;'P. 5 -6.

من خلال تصوره السوسيولوجي الذى يعتبر محاولة منه لتحقيق أكبر قدر من التوافق بين خصائص العلوم الطبيعية والروحية. وقصد من خلاله إلى فهم وتفسير السلوك الانسانى والظواهر الاجتماعية والاقتصادية إذا استهدف فيبر أن ينشئ نسقاً سوسيولوجية يحتفظ بأكبر قدر من العناصر القيمية التى ينطوى عليها عالى المادة والروح. ومن ثم بالرغم من تسليمه منذ البادية بأن العلوم الاجتماعية تختلف عن العلوم الطبيعية نظرا لأن اهتمامات العلوم الطبيعية تتجه نحو الضبط، بينما تتجه اهتمامات العلوم الاجتماعية نحو التقويم. فلقد رأى أن الثقافة بهذا المفهوم تعد قيمة فى ذاتها. كما تصبح الوقائع الامبريقية بالنسبة لنا ثقافة لأننا نربطها بالقيم. وتلك المعرفة تعد موجها لضبط السلوك الواقعى[١]. ومن ثم اشتملت مناقشتنا للسلوكة الاجتماعية فى فى دراسات ماكس فيبر المنهجية والنظرية على ما يلى : أولا استعراض لهذا الاتجاه الذاتى فى المنهج الذى استخدمه. وثانيا – مدى استخدامه للنموذج المثالى كأداة منهجية لتحقيق الفهم السيكولوجى بين كل من روح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة. ثالثاً – نستعرض لاتجاهه السلوكى فى دراسة الفعل الاجتماعى. وكمحاولة لايضاح الفهم السيكولوجى للفعل الاجتماعى فى دراساته الاجتماعية. ثم أخيرا أن نستعرض لسيكولوجية نظرية القيمة فى علم الاجتماع لدى فيبر .

٢– الاتجاه الذاتى فى منهج ماكس فيبر :

قدم ماكس فيبر نسقه السوسيولوجى مرتبطا باطارات منهجية أعتمد عليها فى دراسة العديد من القضايا النظرية. والتى تستند إلى شروط وجهة النظر الذاتية Subjective view . وتتمثل تلك الاطارات المنهجية لدى فيبر فى استخدامه للنموذج المثالى فى معالجة العديد من القضايا، وتحديد العلاقة بين علم الاجتماع وعلم النفس. واعتماده أيضا على تصور منهجى، جديد يتمثل فى محاولة التوفيق بين الواجهة الذاتية المثالية للسلوك الاجتماعى والظواهر السوسيوثقافية وبين الواجهة الموضوعية للعلوم الطبيعية [٢].

---

(١) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ص . ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(2) Parsons , Talcot, his Introduction of the theory of Social and Economic Organization. Op. Cit., P. 10.

وتبدو لنا أهمية هذا الاطار المنهجى الجديد لدى فيبر والذى يتمثل فى منهج الفهم التفسيرى. إذا ما عرفنا أنه يهدف من خلاله إلى فهم وتفسير السلوك أو الأفعال الانسانية والظواهر الاجتماعية والاقتصادية. وأيضا تحقيق أكبر قدر من التوافق بين خصائص العلوم الطبيعية والروحية.

ويرتبط منهج الفهم على مستوى المعنى لدى فيبر لوسيلتين منهجيتين هما : الفهم التفسيرى والذى يهدف من خلال الوقوف على المعنى الواقعى فى سلوك الأفراد والجماعات. ثم يستكمله بمحاولة فهم هذا السلوك فهما داخليا بواسطة الوقوف على المعانى الذاتية المرتبطة بتلك الأفعال من خلال منهج التجربة التخيلية. وأوضح أن الأفكار والدوافع والمعانى دورا مهما فى تكوين منهج الفهم السيكولوجى لديه [1]. وقد أورد فيبر فى هذا الصدد «أن منهج الفهم التفسيرى يحقق أعلى مستوى فى فهم الظواهر الاجتماعية على مستويين : الأول – الفهم السببى الملائم. والثانى – هو الفهم الملائم ذو المعنى»[2].

وإذا كان ماكس فيبر قد سعى جاهدا من خلال منهجه للفهم التفسيرى إلى أن يحقق التوافق بين الجوانب الموضوعية والذاتية فى دراسته للسوك أو الفعل الانسانى والظواهر السوسيوثقافية. فإنه يمكننا القول فى هذا الصدد أن فيبر فى اطار منهجه للفهم النفسى والذى اتخذ لديه واجهة تفسيرية. قد استخدم النماذج المثالية واعتبرها أداة منهجية يمكن من خلالها أن تحقق هذا الفهم التفسيرى النفسى.

وفى هذا الصدد يرى فيبر «أن تلك التصورات التصميمية أو نماذجه المثالية للفعل أو الظواهر تمكننا من معالجة المشكلات المتعلقة بعقلانية أو منطقية الفعل. كما يمكننا تأكيد القضية التى تثبت العلاقة السببية فى أى مجال علمى على النحو التالى : أولا – وصف الظاهرة وتفسيرها فى حدود الأطر التصورية المجردة أو

(1) Kinloch, G.C., Op. Cit. P. 141.

(٢) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

المرجعية، وانتقاء الحقائق ومعالجتها بشكل مرتبط. ثانيا - تصميم أو تجميع تفاصيل الحقائق وشمولها تحت مقولات نظرية معممة، والتى يمكن أن تجعل من المقارنة أمرا ممكنا. ثالثا - وصف وتحليل هذه البيانات بمقارنتها مع واحدة أو أكثر من الحالات الواقعية أو الافتراضية، والتى يشتملها اطار التعميم وكما أن هناك مستويين للمعنى الذى تأخذه الظاهرة فى ضوء دراسته بواسطة النماذج المثالية هما : المعنى الواقعى الذى يخص الفرد الفاعل . والمعنى النظرى الذى يمثل النموذج للمعنى. ويتجه هذا المعنى نحو المتطلبات المنطقية أو العقلية لاثبات الفكرة، ويكون مشتملا على الحقيقة الفردية (١).

كما أوضح جون ريكس John Rex أن استخدام ماكس فيبر للنموذج المثالى كأداة منهجية كان فى مجال المقارنات المتعلقة بالدراسات التاريخية. وأيضا فى تشكيل التصورات المتعلقة بالبناء الاجتماعى، واعطاء بعض من التوافق الاجتماعى والسياسى لعلم الاجتماع فى دراسته للأشكال الاجتماعية. وذلك باعتبار أن البحث من خلالها يكون أكثر اهتماما بالمشكلات العامة والبحث الاجتماعى فى مجال القيم. ومن هنا جاء استخدام فيبر لتلك النماذج المثالية كأدوات منهجية فى دراساته التاريخية المقارنة وفى اطار منهجه للفهم المشتمل على الفهم الموضوعى بجانب التوافق القيمى. إذ لا يكون هناك تعارض فى تحليله للتوافق القيمى مع الفهم الموضوعى للتاريخ من خلال استخدامه للواجهات المنطقية للنماذج المثالية كأدوات منهجية موضوعية (٢).

وفى مجال استخدام فيبر للنماذج المثالية كأداة منهجية فى اطار منهجه للفهم السيكولوجى التفسيرى. كانت هناك مشكلات منهجية ارتبطت باستخدامه للنماذج المثالية الأربعة التى قدمها عن الفعل الاجتماعى. والتى تفتقر إلى

---

(1) Parsons, Taloct, his Introduction of theory of Social and Economic Organization"., Op. Cit., PP. 11-12.

(2) Rex, John., "Topology and objectivity" In Sahay, (ed) Max weber and Modern Sociology. Lodon : Rolledge & Kegan Paul, 1971 . PP. 18 -19.

الترتيب، إذا ما قارناها بالنماذج المثالية الخاصة بالعلاقات الاجتماعي. والتي تميزت ببنائيتها وشموليتها وقربها لنمط التفكير الملائم لتطور نسق النظرية السوسيولوجية. وكانت أول هذه المشكلات هي مشكلة العقلانية المرتبطة بالفعل الاجتماعي. ولقد نظر فيبر إلى الفعل باعتباره يكون عقليا من ناحيتين : الأولى أن يكون متجه إلى هدف واضح مقنن، وإلى تثبيت القيم المقننة ومركبة منطقيا. ثانيا – أن تكون المعاني المختارة للفعل العلمي متوافقة مع ادراك الهدف بمعنى أن هذه الصعوبة المنهجية تمثلت في امكانية الربط بين العقلانية وبين الفردية الانسانية باعتبارها فاعلا. في اطار اهتمام فيبر المنهجي الخاص بأنماط الفعل الاجتماعي[1].

ولقد أوضح بارسونز في هذا الصدد أن عدم استطاعة فيبر تقديم تحليلات وظيفية لأنماطه المثالية الأربعة للفعل الاجتماعي أو السلوك الاجتماعي في ضوء تصميم نسقي، أما يرجع إلى أنه لم يدرك أن نقطة البداية يجب أن تكون من الأصول الذاتية. والتي يمكن أن تطور دائرة النسق الاجتماعي للفعل. وقد تنبه فيبر إلى هذه الملاحظة في اقامة نسقه الاجتماعي الخاص بالنماذج المثالية لنمط العلاقات الاجتماعية. إذ منح الدوافع النفسية الذاتية دورها الرئيسي في التحليلات البنائية الوظيفية للأنساق الاجتماعية. ومن هنا يأتي خصب تحليلات النموذج المثالي على مستوى السلوك النسقي وتغيره، وأيضا شرح الظواهر الاجتماعية في ضوء القوانين النفسية المتعلقة بالغريزة والدوافع[2].

ولقد توصل فيبر عندما حاول انهاء عدد من مشكلاته المنهجية والمتعلقة بادخال الأسس البنائية في تكوين نموذجه المثالي عن الفعل أو السلوك الاجتماعي، إلى أن الفاعل يشكل وحدة أنساق الفعل وواجهته المرجعية على مستوى أنماط الفعل أو البناء الاجتماعي. وبالتالي رأى بعض من الاحساس أن علم النفس يشكل جزءا ضروريا في نظريته عن الفعل الاجتماعي[3]. وقد أورد

(1) Parsons, "his Introduction of the theory of Social and Economic Organization. Op. Cit., PP. 14 - 16.

(2) Parsons . Op. Ibid.: PP. 19 - 24.

(3) Ibid . P. 26

بارسونز في هذا الصدد «أن اخفاق فيبر في الوصول إلى المستوى التنظيمي الخاص بالنماذج المثالية التي قدمها للفعل الاجتماعي، كان يعود إلى مشكلاته المنهجية التي يمكن ارجاعها إلى اثنين من الأمور الشخصية لديه وهي : أولا – اهتماماته الامبريقية التي كانت من القوة بحيث امتدت باتساع الاختلافات التنظيمية، وسيكولوجيته في أمور ذات اهتمام شخصي وعلى قدر كبير من الأهمية. ولكنها لم تكن على مستوى التنظيم البنائي للفعل الاجتماعي. ثانيا– عدم حصوله إلا على مساعدة ضئيلة من علم النفس في وقته، إذ اهتم السيكولوجيون بالذات الفردية. ولكن ليس على المستوى الوظيفي في التحليل[1].

وقد كانت نقطة البادية في اتجاه نظرية فيبر باتساع نحو علم النفس متمثلة في استخدامه للمصادر الحديثة في علم النفس الحديث. بحيث أمكنه القيام بتحليلات كاملة أكثر صلاحية في تحليل الواقع. وقد خفف هذا الاتجاه من حدة مشكلاته المنهجية، بل أصبحت معالجات فيبر للعقلانية في ارتباطها بالأنماط المثالية للفعل متفقة مع اتجاه علم النفس الحديث، وذلك على اعتبار أن تأثير العاطفة كاملة أكثر صلاحية في تحليل الواقع. وقد خفف هذا الاتجاه من حدة مشكلاته المنهجية ، بل أصبحت معالجات فيبر للعقلانية في ارتباطها بالأنماط المثالية للفعل متفقة مع اتجاه علم النفس الحديث، وذلك على اعتبار أن تأثير العاطفة لا يعد سببا في البعد عن القواعد العقلانية. وكانت تلك النقطة حدا في الربط بين تأثير العواطف وبين تحقيق أسس القرابة مع القواعد العقلية للفعل. وقد انعكس ذلك على مستوى تحليل فيبر. وأيضا في عدم تعارض المقولات الذاتية المتعلقة بادراك المقصود من الدافع مع الاتجاهات العقلية داخل اطار أداته المنهجية المتمثلة في النموذج المثالي للفعل (٢).

---

(1) Parsons , Talcot , his Introduction of the theory of Social and Economic Organization," Op. Cit., P. 27.

(2) Ibid., P. 28 .

٣- النموذج المثالى كأداة منهجية لفهم العلاقة السيكولوجية بين الروح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة :

أشار آرون ريموند إلى مكونات الأنماط المثالية لدى فيبر، وإلى استخدامها باعتبارها تنظيمات دقيقة لها علاقات تاريخية متداخلة بالأحداث التى تحيط بها. كما نظر إلى بنائها باعتباره محاولة للتعبير عن كل النظم العلمية التى تتقدم بطريقة عقلانية. وانتهى آرون ريموند إلى أن الصعوبات التى واجهت تكوين الأنماط المثالية لدى فيبر يرجع إلى استخدامه لها كتصورات تعميمية لجميع العلوم الثقافية. هذا بالاضافة إلى استخدامه الخاص لها والذى يمكن تحديده بثلاثة أنواع على النحو التالى : أولا - الأنماط المثالية التى تتميز بالعناصر المجردة للواقع التاريخى وتشمل أنماط : البيروقراطية، والاقطاع، وأنماط السيطرة الثلاث، ثم أنماط الفعل أو السلوك. ثانيا - الأنماط المثالية التى تشتمل على البناءات العقلية الجديدة بصفة خاصة، كما هو فى أنماط السلوك الاقتصادى. ثالثا - الأنماط المثالية ذات الخصوصات التاريخية مثل : الرأسمالية فى المدينة الغربية بحيث يركز فيبر فى هذا النوع من الأنماط على امكانية اعادة بناء جزيئات هذه التصورات من خلال أنواع معينة من السمات التاريخية [1].

وفى اطار هذا النوع الأخير سوف نحاول أن نقدم تحليل سيكولوجى لاستخدام فيبر للنمط المثالى للرأسمالية فى المدينة الغربية كأداة منهجية لتحقيق منهجه فى الفهم السيكولوجى التفسيرى.«فيما يختص بفهم العلاقة بين روح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة فى المجتمعات الغربية فهما سيكولوجيا»[2]. ولقد أوضح جيدنز فى هذا الصدد أن تحليلات فيبر لتلك العلاقة تظهر أهمية النموذج المثالى كتصورات مجردة تماما، وتوضح علاقة الديانة البروتستانتية بالرأسمالية.

---

(1) Raymond, Aron, Maiss Curents in Sociological theory New York : Pelican Books, 1976. P. 206 - 210.

(2) Giddens, A., Capitalism and Modern Sociology. New York : Cambridge University Press, 1971 . P. 171.

وذلك على اعتبار أنه لا يتشكل من فروض. ولكنه مجرد تصورات لمفهومات مجردة تساعد في الوصف والتفسير عند اللجوء إلى التحليل الامبريقي في دراسة أى ظاهرة أو مشكلة اجتماعية(١).

وما يدعم أهمية الدراسة فى اثبات تلك العلاقة ما أورده توينى بتساؤله عما يجعل من الممكن تطوير الحضارة الرأسمالية؟ وكانت اجابته محددة بالظروف السيكولوجية Psychological Conditions. تلك الظروف التى أوضحها فيبر بأن الرأسمالية فى احساس كل الأفراد هي مشروع يشتمل على الضبط لمصادر رأسمال المال الواسعة والانتاج الوفير. بمعنى أنها كنسق اقتصادى تقوم على الكسب المشروع الواسع الحر، واضفاء طابعها على كل واجهة المجتمع. إلا أن ظهور الأشكال الجديدة للمشاريع الاقتصادية فى اطار الرأسمالية – وكنتيجة لازمت التغيرات فى طبيعة البيئة الاقتصادية – قد وجدت مصادرها فى الثورة الدينية فى القرن التاسع عشر(٢).

ويرى توينى أن فيبر فى اجابته السابقة يؤكد على العلاقة بين الثورة الدينية والتقدم الاقتصادى. باعتبارها تتمثل بشكل خاص فى تأثير الديانة الكالفينية على القوى الاقتصادية المختلفة. وذلك من خلال الجزء الذى تلعبه الحركات الدينية فى ظروف أو حالات مفضلة لنموذج أو نمط جديد من الحضارة الاقتصادية(٣). وقد قال فيبر فى هذا الصدد «أن التركيز على الكالفينية ينتج روح الرأسمالية، وكلاهما سوف يكون متعاد لا فى القبول والاستحسان. ويمكن النظر إليهما على اعتبار أن لهما تأثيرات مختلفة على التغيرات فى مجال التنظيم الاقتصادى والبناء الاجتماعى»(٤).

(1) Giddens, A., Capitalism and Modern Sociology, Ibid., PP. 171 - 172.

(2) Tawney , R.H., "his Inroduction to the protestant Ethic and the spirit of Capitalism " by Max Weber., (trans by) T. Pasons., London University books , 1974. PP. B.I.

(3) Ibid . PP. 6 - 7.

(4) Ibid . P. 7.

وفى مجال تحديد السمات السيكولوجية للرأسمالية الحديثة لدى فيبر أورد بارسونز أن مفهوم الرأسمالية لدى ماركس، وسومبارت يعنى «أنها نسق أو نظام للفائدة يجعل مسعى الأفراد مرتبط بعلاقات السوق أو على مستوى الكسب»[1]. كما أوضح أن هذا التصور يختلف عن مفهوم الرأسمالية السائد فى المجتمعات الغربية، ولدى ماكس فيبر الذى يرى أنها لا تعد تعبيرا عن الشراهة والكسب، لأن متابعة الكسب فى هذه المجتمعات يكون من خلال التنظيم العقلانى للعمل الحر، والذى يميز مستقبل العقلية البروجوازية الرأسمالية وأطلق عليها فيبر لفظ البيروقراطية، تلك التى تنتج الاقدام وتشتمل على درجة عالية من التنظيم والصلاحية للكسب المدفوع. كما تختلف تلك البيروقراطية فى الوقت نفسه عن نظام المغامرين الرأسماليين. والذى لا يحمل أى تنظيم عقلانى ولا أى التزام خلقى[2].

ولقد حلل بارسونز تلك السمات السيكولوجية التى تربط بين البروتستانتية والرأسمالية الحديثة فى اتجاه ماكس فيبر النظرى على الوجه التالى : أولا – بعد أن انتهى فيبر من وصفه الهام لظاهرة الرأسمالية الحديثة انتقل للاشارة إلى المشاركة الامبريقية لها فى اطار مجموعة القيم. إذ حاول تشكيل روحها منطقيا ووضعيا على أنها تتشكل من مجموعة من الاتجاهات العقلية المتجهة نحو الأنشطة الاقتصادية. ثانيا– أن العلاقات العميقة بين تلك الاتجاهات العقلية المتجهة نحو الأنشطة الاقتصادية تشكل حقائق متخصصة. وتنبع من اطار الديانات المصاحبة بين الجماعات السكانية فى المانيا. ثالثا – وجد فيبر أن تلك الاتجاهات الموجود فى روح الرأسمالية الغربية الحديثة تؤدى إلى تأسيس علاقة شاملة تتناسب مع مستوى المعنى فى أخلاق البروتستانتية. رابعا– أن فيبر أرسى هذا التآلف السيكولوجى بين الظاهرتين من خلال عمليات النقل التاريخية، وأيضا فى اطار

---

(1) Parsons , Talcot , The Structure of Social action New York : The free press of Glenco, 1961, P. 504.

(2) Parsons , Talcot , Ibid.; PP. 504 - 505 .

وظيفة الديانات المتمثلة فى التأييد الأخلاقى لأنشطة الكسب العادلة. بالاضافة إلى وجود الدافع الخاص بتلك الأنشطة فى اطار الأفكار البروتستانتية، وما ينتج عنها من اهتمام الديانات بالمعتقدات. ولم يعثر فيبر على أى اثبات مباشر يدعم أن الأفكار والاتجاهات الدينية تستنتج من الأدوار المادية[١].

خامسا - انتهى إلى عدم الأخذ بمنهج الموافقة والاختلاف فى بدايات الاستقرائية للكشف عن العلاقات السببية، ولكنه اتجه بدراساته فى طموح إلى الدراسات المقارنة للعلاقة بين الظاهرتين للاجابة على السؤال الذى يعنى : لماذا ظهرت الرأسمالية البرجوازية العقلانية كظاهرة مسيطرة فقط على الغرب الحديث؟ وما هى العوامل التى تؤدى إلى فشلها فى الظهور فى ثقافات أخرى ؟ وقد أرجعت اجابة فيبر ذلك الفشل الى الدراسات المستندة اساسا إلى شروط الماركسية التى تقوم على البواعث المادية. فى حين أن كل ثقافة توجد فيها الأخلاق الاقتصادية النابعة من الديانة التقليدية السائدة تعنى مباشرة تحقيق التطور نحو أشكال الرأسمالية البرجوازية العقلية. ويمثل ذلك حالات فشل الرأسمالية البرجوازية العقلانية فى الأوقات المبكرة والحديثة ، فى الهند والصين حيث لا توجد الأخلاق الاقتصادية النابعة من الديانة[٢]. ويمكن لنا أن نتفق مع بارسونز فى تأكيده العلاقة الوظيفية السيكولوجية بين البروتستانتية والرأسمالية الحديثة لدى فيبر. وأن الظواهر المادية هى التى تخضع لتأثير القوى الدينية وليس العكس. وهذا يعنى أن مواد الاختلاف الرئيسية بين الحالتين تكمن فى مستوى القيم . ويؤكد الدكتور محمد أحمد بيومى فى كتابة علم الاجتماع الدينى أن للحركات الدينية دورا هاما فى بيان عدم التناقض بين ما يؤكده الدين وما يؤكده المذاهب العلمانية الحديثة. وذلك من خلال قيام تلك الحركات الدينية بترجمة الأفكار والقيم الدينية فى سلوك علمى يشكل معظم جوانب الحياة الاجتماعية السياسية

---

(1) Parsons, T., The Structure of Social action. Op. Cit. PP. 511 - 512.

(2) Ibid . PP. 512 - 513 .

والاقتصادية والتشريعية[1]. بل أن الأنشطة التي تنبع من توجيه قيمي ديني قد يؤثر بصورة أقوى في نفوس من يقومون بها، ويحدث نوعا من الرضا الذى يؤدى إلى تحقيق الانجاز والتنمية المنشودة[2].

ولقد أوضح فيبر تلك الروح المتطورة للرأسمالية والمتوافقة مع التطور العقلى للبروتستانتية. والتى تتضح فى اعتبار أن تلك العقلانية الخاصة بالبروتستانتيه تشكل الروح التى عن طريقها تصبح علاقة الرجل بعمله واجب فى ذاته. كما يعتبر أيضا ذلك الواجب أساسا جوهريا فى فهم الرأسمالية ، وذو قيمة كبيرة أيضا فى فهم روحها المتطورة[3]. وفى هذا الصدد أوضح بارسونز أن ما سماه فيبر بروح الرأسمالية ويشتمل على مجموعة الاتجاهات نحو كسب النقود والأنشطة المرتبطة بها- والتى ينظر اليه على أنه شر ضرورى. فهو يمثل هدفا أخلاقيا في ذاته. ويعنى أننا لكى نكسب نقودا فهذا يعتبر التزاما أخلاقيا يتجه بالكسب ليس للحاجة فقط، ولكن نحو الكسب المدفوع تعبر حدود. ويتمشى مع الواجهة العقلانية التى اهتم بها فيبر من خلال ربط الواجب الاخلاقى بذاته[4].

وفى اطار تلك الروح المتطورة للرأسمالية والمتوافقة مع روح البروتستانية لدى فيبر. ويضيف بارسونز أن واجهة الكسب لديه تتخذ واجهة سيكولوجية من خلال الاعتقاد فى قيمة الكسب لذاته، وكواجب أخلاقى ينبع من مصدر دينى أخلاقى. ولا تعبر فى جوهرها عن الغريزة السيكولوجية للكسب. وبالتالى فهذا الكسب الذى يمثل واجب اخلاقى فى ذاته للرأسمالية الحديثة يعتبر واجهة نقدية لهيئتها التقليدية والتى تتمثل فى الاتجاه نحو الكسب الشره الغير منظم ، والذى ينبع من

---

(١) محمد أحمد بيومى ، علم الاجتماع الدينى ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥، ص ص ٤٧٧ - ٤٧٨ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٤٧٨.

(3) Max Weber, The Protestant. Ethic and the Spirit of Capitalism. (trans by) Parsons., London : University Books, 1974 P. 77.

(4) Parsons , Talcot, The Structured of Soccial Action. Op. Cit., PP. 513 - 514.

روح المغامرة وليس العقلانية، ويرى بارسونز أن هذا الاتجاه أن كان سيطر بهذا المعنى في أوقات غالبة وأماكن كثيرة، فلانه يساير الطبيعة الانسانية التى عارضها فيبر في تفسيراته لكل قوة[١].

ولقد أشار ماكس فيبر في تحليلاته المتعددة بصدد التأثير السيكولوجى للأخلاق البيروتستانتية وآثارها المصاحبة فى المجتمع الغربى إلى أن هذا التأثير لم يكن فى الوقت الحاضر فقط . بل كان فى أصول تاريخية منذ كانت الأخلاق البروتستانتية ذات تأثير بارز على تطور الرأسمالية منذ القرن التاسع عشر. وأيضا على أنماط التجارة التقليدية وتقدمها. إذ ظهرت في هذا الصدد الأفكار الكالفينية ذات المعتقدات البروتستانتية على الاقتصاد والعقلانية ككل فى مواجهة سلطان الكنيسة الكاثوليكية وحكمها. وقد أوضح جيدنز فى هذا الاهتمام أن تحليلات فيبر للديانات واهتمامه باظهار تأثير الأخلاق البروتستانتية على روح الرأسمالية كانت تشير إلى اتجاهين : الأول - يهتم بالآثار التاريخية لتأثير الأخلاق فى جميع مجالات الحياة وهذا الجانب العام. والثانى - يشير إلى توضيح النتائج الاجتماعية والنفسية التى تفسر أفعال الأفراد على ضوء مدى تأثير تلك الأخلاق البروتستانتية[٢].

كما أشار جيدنز أيضا فى نطاق التأثير الذى تحدثه أخلاق الديانة البروتستانتية فى نمو و تطور ظاهرة الرأسمالية الحديثة - وذلك من خلال اهتمامات فيبر بالنتائج العقلانية والتوافق القيمى - إلى أن هناك بعض من الصعوبات تتعلق بهذا التأثير الذى تمارسه أخلاق البروتستانتية، نظرا لاشتماله على العديد من العوامل الكثيرة المتداخلة. والتى تلعب دورا مهما فى ابراز هذا التأثير بجانب العوامل التقويمية الذاتية [٣]. وفى هذا الصدد يرى فيبر أن العقلانية مثلا لا توصف بأنها عقلانية بشكل نهائي من ناحية دخول بعض المؤثرات السيكولوجية فقط - والتى

(1) Parsons, T., The Structure of Social Action Op. Cit., P. 516

(2) Giddens , Ibid.; P. 124 .

(3) Giddens . A., Ibid.; P. 183.

تتعلق بعناصر المعتقدات الدينية في العملية العقلانية - بل أنها تعتمد على قوى أخرى تكون غير عقلانية اطلاق تتمثل في العناصر الكاريزمية وقواها الغير عقلانية[١].

وينتهي جيدنز في ايضاحه لفكرة العقلانية السيكولوجية لدى فيبر والمتضمنة في أخلاق البروتستانتية إلى «أن فكرة فيبر عن العقلانية : عملياتها وأسباب ظهورها ونتائجها ليست مجرد ظاهرة تاريخية. ولكنها تعد شكلا من أشكال المعرفة يظهر في اطار ثقافة المجتمع ككل. ثم انتقل بها إلى مستوى المعنى في اطار علاقتها بالمعتقدات الدينية. واعتبر أن تلك العقلانية نمط ثقافي مميز يؤثر في العلاقات والقوى المجتمعية الأخرى. ولذلك كانت تحليلاته للعلاقات الاجتماعية تهتم بربطها في سلسلة متشابكة من الروابط العقلانية من كافة الجوانب. حتى أصبح هذا النمط الثقافي للعقلانية عنصرا موجها مباشرا في تقدم الغرب» [٢].

ومما سبق يمكن القول أن ماكس فيبر إذا كان أقام نماذجه المثالية كأطر تصورية مجردة، واستخدمها كأدوات منهجية لتحقيق الفهم السيكولوجي في دراسة وفهم أنماط الفعل أو السلوك، والعلاقات، والظواهر السوسيوثقافية في اطار ثقافات معينة. وأن هذه الأطر التصورية لم تبدأ من فراغ، ولكنها بدأت من الواقع بهدف استخدامها للدراسة وفهم هذا الواقع الاجتماعي والثقافي. وقد جاء هذا الاستخدام في نطاق «نسقه السوسيولوجي الذي حاول اقامته مستعينا بالامكانيات المادية التي تقدمها العلوم الطبيعية ، وأيضا الامكانيات القيمية التي تقدمها العلوم الروحية[٣].

ويمكن القول أن فيبر في عرضه لقضايا نسقه السوسيولوجي هذا اعتمد على منهج الفهم التفسيري السيكولوجي. وحاول من خلاله أن يحقق أعلى مستوى من الفهم السببي الملائم ثم على مستوى المعنى *. وقد اعتمد فيبر في منهجه هذا الفهم السيكولوجي على أدوات منهجية تصورية مجردة. واستطاع من خلال

(1) Giddens, A., Op. Cit., P. 233.PP. 44 - 48

(2) Ibid ., PP. 233.

(٣) نيقولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص ٢٥٥ .

(*) وسوف نتناول مستويات فهم المعنى في الفقرة القادمة.

تلك النماذج التصورية أن يثبت العلاقة السيكولوجية بين روح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة . وناقش القضية الماركسية فيما ذهبت اليه من أن كل الظواهر الثقافية بما في ذلك الدين تخضع لتأثير القوى الاقتصادية.

٤- الفهم السيكولوجي للفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر :

ترتيبا على استعراض المداخل المنهجية التي اعتمد عليها ماكس فيبر في موضوعات دراسته، يتضح أنه اتجه إلى تحقيق أعلى مستوى في فهم العلاقات والظواهر والأفعال الاجتماعية. وذلك من خلال الاطار السوسيولوجي الذى حاول تقديمه ويجمع بين خصائص العلوم الطبيعية والروحية، ويعتمد في جوهره على مقولة الفهم «والتي رأى فيبر أن دراستها تتطلب تحليلا لثلاث تساؤلات أساسية : الأول – ما هو الفهم السببي الملائم. والثاني – ما هو الفهم الملائم ذو المعنى . والثالث – يعني كيفية ارتباط الاثنين معا فيما بينهما»[١] .

وقد أوضح جراهام كينلوشن أن دراسة فيبر للفعل الاجتماعي ومحاولة فهمه سيكولوجيا تعتبر مثالا أو نموذجا لاتجاه السلوكية الاجتماعية . اهتم فيبر من خلاله بدراسة المعاني المرتبطة بالفعل الاجتماعي على المستوى الفردى والجماعي واعتبر تلك المعاني تشكل أساسا جوهريا ينهض عليها المجتمع[٢]. إذ يرى فيبر أيضا في هذا الصدد «أن الفعل الاجتماعي أما أن يكون ظاهرا أو مستترا يمنحه الفاعل معنى ذاتيا في ضوء المعاني الذاتية المرتبطة لسلوك الآخرين. وبالتالي تكون تلك الأفعال موجهة في طبيعتها» [٣].

ثم أوضح فيبر أن توجيه تلك الأفعال الاجتماعية يتم في اطار العديد من الامور المرتبطة بالمعنى والتي أجملها فيما يلي:

---

(١) نيقولاتيماشيف ، المرجع السابق ، ص ٢٥٥ .

(2) Kinloch, G.C., Op. Cit., P. 144.

(3) Weber, Max., The Theory of Social and Economic Organization. Op. Cit., P. 88.

أولاً – المعنى وقد يكون على مستويين: أولا – المعنى الواقعى ويتمثل فى الظروف الواقعية لدى فاعل معين، أو يتمثل فى المعدل التقريبى للمعنى الواقعى لدى مجموع الفاعلين.

ثانيا –أن لفظ المعنى قد يشير إلى الفهم النظرى للنمط الخالص، أو المعنى الذاتى الموجود فى نمط الفعل السائد لدى الفاعل(١).

ثالثا – يمكن أن يكون الفعل موجه ولكننا لا نستطيع فهمه بالرغم من قدرتنا على ادراكه وفهمه عقليا – ومن ثم نحاول فهمه لأى من الدوافع التقريبية المناسبة(٢).

رابعا –أوضح فيبر أن هناك اهتماما فى كل علوم الفعل الانسانى بأن العمليات والظواهر التى يكون خالية من المعنى الذاتى تكون متوافقة مع فهمنا لحدود استخدام الآلات فى اطار الفعل الاجتماعى. أما المعنى الذا تى للفعل ينتج من العلاقة بين أهدذاف وأغراض مختلفة. بمعنى أن الحالات تكون على مستوى المعنى الذا تى إذا كانت قادرة على الارتباط بأهداف مقصودة للفعل فى مجال معانية وأغراضه(٣).

ويبدو أن فيبر فى تمييزه لبين فهم الفعل فى مستواه العقلى وبين فهمه فى مستواه العاطفى – من خلال كل من أبعاده المنطقية والرياضية التى تضفى عليه الفهم الأمبريقى، ثم أبعاده القيمية والفنية والتى تضفى عليه بالفهم الذاتى أو الفهم على مستوى المعنى الذاتى – كان يقصد التفرقة بين مستوى فهم معنى الفعل على مستوى السبب الامبريقى المنطقى الفعلى وبين الفهم على مستوى المعنى الذاتى الموجه أو المدفوع.(٤).

خامسا– كان ايضاح فيبر «أن هناك نطاقين لفهم الفعل على مستوى المعنى»– يعد محاولة منه للربط بين السببية والمعنى رغم تمييزه السابق بينهما فى

(1) Weber , Max., Op. Cit., P. 89.
(2) Weber, Max., Ibid ., P. 91
(3) Ibid.; P. 92.
(4) Ibid .. P. 93.

مستوى فهم معنى الفعل – وفى النطاق الأول –أورد ثلاثة نماذج للفهم السببى المباشر للمعنى : (أ) يبدو النموذج الأول من الفهم السببى المباشر للمعنى حينما يكون معنى الفعل مرتبطا بألفاظ شفهية مباشرة عندما نسمعها أو نقرؤها مثل القضية ٢ × ٢ = ٤. وتلك هى حالة الفهم العقلى المباشر للأفكار(١). (ب) كما يمكن لنا فهم طريقة فعل قاطع الخشب، أو أى شخص يضع يده على أكره الباب لغلقه، أو تصويب بندقية إلى حيوان، فى اطار الملاحظة المباشرة لفهم معنى تلك الأفعال. (جـ) ويتمثل النموذج الثالث من الفهم السببى المباشر للمعنى فى التعبيرات الحركية غير العقلية، وفى الصراخ كما هو فى ثورة الغضب. وذلك من خلال الملاحظة المباشرة لفهم الاستجابات أو ردود الأفعال غير العقلية للأفعال(٢).

ثم حدد فيبر النطاق الثانى– لفهم معنى الفعل فى محاولته الربط بين السببية والمعنى . بالفهم التفسيرى الذى لا يتحقق إلا فى حدود دافع الفرد وظروفه الخاصة «وأوضح أن هذا هو الفهم التفسيرى أو العقلى للدافع . هو الذى يركز فى ادراكه للفعل على الوضوح بجانب سياق المعنى»(٣). ومن ثم انتهى فيبر فى محاولته التوفيق بين السببية والمعنى فى فهم الفعل. إلى أنه يمكن فهم سلوك قاطع الخشب أو تصويب البندقية فى حدود الدافع الذاتى بالاضافة إلى الملاحظة أو الفهم السببى المباشر بعد ذكره. فقد يكون قطع الخشب من أجل الرزق أو بغرض التزود بالنار أو لزرع النبات من جديد. وبالنسبة لتصويب البندقية فاما أن يكون لاصطياد الطيور، أو حالة عراك مع عدو أو يكون مدفوع للأخذ بالثأر(٤).

سادسا– أوضح بارسونز أن محاولة فيبر فهم وتفسير الفعل فى اطار وجهة النظر الذاتية كان يهدف منها إلى تكوين نظرية عامة عن العوامل الذاتية، معتمدا

(1) Parsons , Talcot, "The Introduction to Weber.. the theory of Social and Economic Organization. Op. Cit., P. 25.

(2)Weber, Max., The theory of Social and Economic Organization.Ibid. P. 59.

(3) Parsons , T., OP. Cit., P. 2 5.

(4) Weber , Max.. Op. Cit., P. 98.

في ذلك على منهجه الشهير للفهم ونماذجه المثالية الكلية. واستهدف فيبر من تلك النظرية فهم وتفسير مواقف وأفعال الأفراد بربطها بدوافعم واحساساتهم السيكولوجية. ويأتى ذلك فى اطار اهتمامه بالمعانى الثقافية المعقدة للأفكار والتى اعتبرها أداة لفهم أفعال الأفراد[1].

سابعا – إستمرارا من قبل فيبر فى توضيح المطابقة بين السببية والمعنى فى فهم الفعل. يرى أن الدافع الذى يبدو للفاعل على أنه الأرضية المناسبة للسلوك مباشرة يكون متضمنا للمعنى الذاتى أيضا بمعنى «أن التفسير الملائم لطبيعة الفعل النموذجى .. يمكن أن يكون ملائما على مستوى المعنى. بحيث يكو هذا التفسير على مستوى المعنى سببا بدرجة ما فى الوقت نفسه»[2].

ثامنا – ثم انتقل فيبر إلى شرح وتفسير الفعل والظواهر فى ضوء المعنى الذاتى وأوضح أن العمليات والظواهر التى تبدو غير مفهومة تمثل ظواهر ذاتية الفهم. ويمكن تناول فهمها من خلال منهج الفهم الذاتى التفسيرى، على اعتبار أنها تعبر عن ظروف وبواعث داخلية للفعل أو الظاهرة[3].

تاسعا – وقد ترتب على ما سبق أن اعتبر فيبر «أن التفسير للفعل فى ضوء المعنى الذاتى يجب أن يأخذ أهمية كحقيقة جوهرية مهمة»[4]. بمعنى أن هذا المعنى الذاتى يستند إلى وجهة نظر الاعتقاد. ويعتمد فى جوهره على الأفعال المدفوعة فى اطار الاعتقاد، وهو ما يشكله المنهج الذى يسمى بالمدرسة العضوية فى علم الاجتماع، وقد فسر أصحاب هذه المدرسة العضوية الفعل أو السلوك بنفس

(1) Parsons, Talcot, his Introduction to Weber, Sociology of Religion. (by) Max., Weber Boston : Becon Press, 1904. PP. XXII-XXIV.

(2) Weber, Max, The theory of Social and Economic Organization. Op. Cit. P. 99.

(3) Ibid. P. 100.

(4) Ibid. P. 102.

الطريقة التى تناوله بها السيكولوجيون، وذلك حين عالجوا دور العضو بالنسبة للجسم وبقائه. وأوضح فيبر أن هذا المنهج العضوى يبنى أيضا نمط التحليلات الوظيفية لعلاقة الأجزاء بالكل فى تفسير الفعل الاجتماعى وكذلك تحديد مقاصده وهو ما يمثل مصدرا لأهميته [١].

عاشرا – انتهى فيبر إلى أن مجال الفهم على مستوى المعنى الذاتى للفعل مهما جدا فى التمييز بين مختلف التعميمات السوسيولوجية. وكما هو فى تعميمات جراهام Greshamslam. وذلك على اعتبار أن تلك التعميمات تكون مفهومة فى اطار الدوافع المثالية الذاتية للفاعلين. والتى أصبحت مهمة فى فهم النوايا الذاتية للفاعلين والمتابعة العقلية للغاية المقصودة [٢].

وهكذا يتضح لنا مدى استخدام فيبر لمقولة الفهم فى تفسير الأفعال الاجتماعية، فى اطار المعانى الذاتية للفاعلين. وهو ما يعكس السيكولوجى لديه فى تفسير وفهم الأفعال فى اطار الدافعية والمقاصد الذاتية. والتى يرى أنها لا تتعارض مع تحقيق الفهم السببى المباشر له. وحاول تحقيق التوافق بينهما بهدف تحقيق أعلى مستوى من الفهم السيكولوجى للفعل الاجتماعى.

٥– سيكولوجية نظرية القيمة فى علم الاجتماع لدى فيبر :

أوردت آلان ديوى Alan Dowe أن ما ترد أن تقوله فى مجال اهتمام علماء الاجتماع بالتوافق مع ما قال فيبر عن دور القيم فى التحليلات السوسيولوجية والبحث، أن نظريته عن القيم تمثل العمل الحقيقى لعلم الاجتماع المعاصر. إذ جاء تأثيره على الوعى السوسيولوجى الحديث Modern Sociological Conscious neso محصور فى نطاق الحجم الهائل الذى قدمه فى مجال القيم[٣]. فقد أكد فيبر فى عمله علم اجتماع المعانى Sociology of Meaning

(1) Weber, Max., Op. Cit., PP. 102-103.

(2) Ibid., PP. 107 - 109.

(3) Dawe, Alan, "The relevance of values" In Sahay., (ed) Max Weber and Modern Sociology. London: Rotledge and Kegan Paul. 1971. P. 36.

على القضية التى ترى أنك إذا أردت تنجز (X) فعليك أن تفعل (Y). إلا أن موافقتنا عليها لا تكون متوقفة على قيمتها بالنسبة لنا فقط ولكن أيضا على الحكم الواقعي. ومن خلال المواتمة العلمية للعلاقة بين الأهداف والمعانى [1].

وتضيف ديوى أن مناقشة فيبر للعلاقة بين أحكام القيمة والمعرفة الامبريقية مكنته من تقدم بناء قوى من المعرفة فى مجال العلوم الاجتماعية. وكذلك مكنته من تقديم نظام تحليلى للواقع الامبريقي الاجتماعى. ومن ثم فنحن نكون مطالبون بالوقوف على المعنى المتضمن فى الحقيقة الصادقة موضوعيا فى مجال العلوم الاجتماعية. وذلك على اعتبار أن فيبر قدم استنتاجاته الجوهرية فى هذا الصدد، والتى أغفلها العلم الحديث بصدد تلك المشكلة التى تمثل العلاقة بين العلوم الاجتماعية والقيمة [2].

وفى اطار سعى فيبر لتحقيق التوافق بين أحكام القيمة والواقع الاجتماعى، بهدف تقديم نظرية اجتماعية نفسية عن القيمة. أوضحت ديوى أن مفهوم الثقافة لديه أتخذ واجهة قيمية. على اعتبار أن الواقع الاجتماعى يأتى الينا منذ القدم بالثقافة التى تتصل بأفكار القيمة، والتى تضفى على هذا الواقع مغزاة وأهميته. وهذا يسبب التوافق القيمى فى مجال العلاقات الاجتماعية المتعلقة بالواقع الثقافى. بمعنى أن هذه الافكار القيمية هى التى تضع الأساس فى اختيار المادة الذاتية والمعرفة على مستوى المعنى الواقعى. وبالتالى لا يمكن أن نصل إلى تحليلات علمية موضوعية للثقافة أو أى ظاهرة تكون معتمدة فقط على جانب واحد وتهمل الآخر [3].

وترتب على ما سبق أن أكد فيبر على تلك المادة الذاتية والمعرفة على مستوى المعنى فى ادراكنا للواقع الامبريقى. ورأى أن المهمة الرئيسية التى يجب أن يضطلع

(1) Dawe, Alan, "The Relevance of Vallues" In Sahay., Op. Cit., PP. 39 - 40.

(2) Ibid. PP. 40 - 41.

(3) Dawe, Alan, Op. Cit., P. 41.

بها علم الاجتماع هى تحقيق الفهم التفسيرى للعلاقات الاجتماعية والفعل الاجتماعى والظواهر الاجتماعية. وهو ما يسمى بالفهم الذاتى لها والذى لا يتحقق فى مجال العلوم الطبيعية، بل ارتبط بفهمه التفسيرى المرتبط بتعميماته فى مجال القيم. والتى اعتبرها فيبر تشكل الأساس فى اختيار تلك المادة الذاتية على مستوى المعنى[١].

وأوضحت ديوى فى هذا الصدد أن أضفاء فيبر لمبدأ القيمة على واجهة العلوم الاجتماعية المهتمة بدراسة الأفعال والعلاقات والظواهر الاجتماعية، أتبعه أن أصبحت مشكلة العلاقة بين الأخلاق وعلم الاجتماع غير صعبة على الفهم على اعتبار أن العالم لديه يتكون من ذاتيات فردية. وأن علم الاجتماع يقوم باختيار موضوعاته من الواقع الاجتماعى والثقافى، ثم يضفى عليها المعنى والمغزى ويفهمها فى اطار علاقاتها التحليلية الوظيفية. ومن ثم كانت الأهمية العليا لتوافق القيم لدى ماكس فيبر تمثل شرطا سابق على كل معرفة تنبع من العالم الاجتماعى الامبريقى. وأصبح الاتجاه القيمى يمثل الخيط الذى يربط الأسس الأخلاقية بالأسس الميثودولوجية فى المجالات الرئيسية لعلم الاجتماع. فإذا كان فيبر اهتم بالتأكيد على المقولات البنائية كذلك إلا أنها لا تزال توصف فى حدود المعنى، ولا يزال الأساس فى التحليلات السوسيولوجية ينسب إلى القيم[٢].

كما أكد ماكس فيبر فى هذا التحليل السيكولوجى لنظرية القيمة ودورها فى علم الاجتماع «على أن المادة الذاتية فى علم الاجتماع منذ القدم ترتبط بالفعل الاجتماعى. وذلك على اعتبار أن المعانى الذاتية لهذا الفعل تأخذ أهمية فى سلوك الآخرين. وتكون موجهة له فى اطار القيم» [٣]. وعلى هذا كان الفعل والعلاقات

---

(1) Weber, Max., The Theory of Social and Economic Organization. Op. Cit. PP. 103 - 104.

(2) Dawe, Alan, Op. Cit., PP. 42 - 43.

(3)Weber, Max., Economy and Society. New York : 1968. P. 4.

الاجتماعية يمثلان النواة الحقيقة لعلم الاجتماع لدى فيبر. اذ حاول تفسيرها فى اطار المعانى المرتبطة بها لدى الفاعلين بالرغم من تعددها. بل حينما ذهب ليعرف تلك الأشكال العديدة لها، جاء ذلك فى ضوء المعانى التى تنهض عليها تلك الأشكال وترتبط بالقيم [1].

وخصلت ديوى بصدد مناقشتها لتحليل فيبر السيكولوجى لدور القيم فى علم الاجتماع، إلى أن عالمه الأخلاقى كان يشكل الأساس الجوهرى فى تصوره عن المعانى الذاتية. وأنه يجب على السوسيولوجى أن يفهم دور القيم فى مجال علم الاجتماع الفيبرى من زاويتين : الأولى أن يحكم على معانيخا فى اطار تفاعلها مع المعانى الموجودة لدى الآخرين. والثانية – ضرورة ادراك أن حكم السوسيولوجى على الفعل أو الظاهرة فى ضوء المعانى الذاتية وفقا لقيمة الخاصة قد يتعارض مع المعانى الأخرى لدى الآخرين. ويترتب على ذلك أنه قد تكون هناك وجهة نظر من جانب واحد فى دراسة الأفعال والظواهر الاجتماعية وتعريفها فى حدود القيمة ومعانيها الذاتية. والتى لا تشير إلى مشاركة التعريفات التى لدى الآخرين المتضمنين فى الموقف، والتى لا يمكن ادراكها مباشرة [2].

وننتهى مما سبق إلى أن نزعة فيبر السيكولوجية تتضح بوضوح فى معالجته وتحليله النفسى للدور الهام الذى تلعبه القيم فى علم الاجتماع، وذلك على المستويين المنهجى والنظرى. فعلى المستوى النظرى يتمشى هذا التحليل مع نسقه السوسيولوجى الذى يجمع بين خصائص العلم الطبيعى والروحى. وحاول أن يطابق بين السببين والمعنى فى فهمه السيكولوجى لها من خلال مبدأ التوافق القيمى مع الواقع الامبريقى. بمعنى أن الفعل يجب أن يكون على مستوى المعنى ومطابقا للواقع الامبريقى، وانتهى فيبر فى هذا الصدد إلى أن مفهوم الثقافة يشكل واجهة قيمية. وقد اعتمد فيبر فى هذا التحليل السيكولوجى لدور القيم فى نسقه

(1) Weber. Max., Economy and Society. Ibid. Op. Cit. P. 44.
(2) Dawe, Alan, Op. Cit., PP. 44- 45.

السوسيولوجي على منهجه الشهير للفهم التفسير والذى اتخذ واجهة تقاطعية. فإن كانت القيم لديه تستمد أصولها من خلال رؤيته الأخلاقية التى تزود الفرد باختياره للمعنى الذاتى. إلا أنه من خلال منهج الفهم حاول التوفيق بين السببين والمعنى من خلال مبدأ التوافق القيمي.

وقد أكد جون ريكس تلك النزعة السيكولوجية الواضحة فى ذاتيتها على المستوى المنهجي حين أشار إلى أن مناقشة فيبر للعلاقة بين السببية والمعنى قد ساوت بين النماذج المثالية والتفسيرات على مستوى المعنى. إلا أنه فى الوقت نفسه نظر إلى تلك المعانى الذاتية على أنها لا تكون مكتملة إلا إذا كانت المعانى المتضمنة فى العلاقة القائمة ذات معنى واقعيا. وتكون هناك امكانية لاثبات ما هو ذاتى وعلى مستوى المعنى فى حدود النماذج المثالية، كما فى اطار الملاحظة الامبريقية للفعل ايضا [1]. وهذه هى نزعة فيبر السيكولوجية الواضحة والتى اتخذت واجهة التوافق القيمى فى اطار نسقه السوسيولوجى الذى يجمع بين خصائص العلوم الطبيعية والروحية، ومعتمدا منه على منهجه للفهم السيكولوجى.

(1) Rex. John, Op. Cit., P. 28.

خاتمة الفصل السابع :

وبعد عرضنا للسلوكية الاجتماعية في دراسات ماكس فيبر المنهجية والنظرية سنحاول الوقوف في هذا الصدد على مدى اسهامه في تقديم مدخلا سيكولوجيا، يهدف من خلاله إلى تحليل السلوك أو الفعل والعلاقات والظواهر الاجتماعية والاقتصادية. كما سنحاول في الوقت نفسه ايضاح التصورات والمفاهيم النفسية التي اعتمد عليها في تحليلاته وتفسيراته مثل : المعاني الذاتية، والدوافع، والتعاطف، أو التقمص الوجداني.

وقد تمثل هذا المدخل السيكولوجي في محاولة فيبر اقامة نسق سوسيولوجي يجمع بين أكبر قدر من خصائص العلوم الطبيعية والروحية، ويعمل على التوفيق بينها معتمدا على مفهومات وتصورات نفسيه، وكانت أولى اهتمامات هذا النسق السوسيولوجي لديه هي التحليل الاجتماعي النفسي للظواهر الاجتماعية والاقتصادية التاريخية. وقد تمثل ذلك في تناوله العلاقة السيكولوجية بين البروتستانتية وروح الرأسمالية الحديثة. واعتمد في تحليله وتفسيره لهذه العلاقة على مناهج نفسية مثل : الدوافع والمعاني، أما الدوافع فهي تقف أو تمكن في جوهر البروتستانتية وخاصة المذهب الكاليفيني، والتي تدفع إلى الانتاج والمنافسة وتحفز على الكسب الحر. والمعاني فتتمثل في المعاني المرتبطة بتلك الدوافع وتشكل حلقة الوصل بين الظاهرتين في اطار العلاقة السيكولوجية بينهما. فواجهة الكسب مثلا تتخذ هيئة سيكولوجية من خلال الاعتقاد في المعنى المرتبط بقيمة الكسب في ذاته، وكواجب أخلاقي ينبع من روح المذهب الكاليفيني ولا يعبر عن الغريزة السيكولوجية للكسب.

وقد اعتمد فيبر في تناوله وتحليله لتلك العلاقة على منهج الفهم التفسيرى السيكولوجي. والذى سعى من خلاله إلى تحقيق التوافق بين الفهم الموضوعى للعلاقة بين البروتستانتية وروح الرأسمالية الحديثة وبين الفهم على مستوى المعنى

لها. وقد اعتمد فيبر في اطار منهجه السيكولوجي هذا للفهم على توصيل تعميمي تمثل في نموذجه المثالي ليشمل اطار تلك العلاقة بينهما. ويمثل أداة منهجية لتحقيق الفهم التفسيري السيكولوجي لتلك العلاقة الوظيفية بين الظاهرتين.

فبينما يتعلق بالاستخدام السيكولوجي لفكرة الانماط المثالية أو العقلانية، كأداة منهجية لدراسة أنماط الفعل أو الظواهر الاجتماعية. ويورد (جون ريكس) أن (فيبر) قد استخدم التوافق القيمي كنقطة بداية في فهم النماذج المثالية كزداة تاريخية منهجية موضوعية، وأن هناك أكثر من سبب يجعل من القيم كنقطة بداية تملك في ذاتها مقدرة موضوعية، وأكثر أهمية في هذا الصدد تأكيده على أن الربط النسبي بين ما هو مرغوب من الأمور وبين ما يمكن أن يحدث وينجز، يمكن أن يكون برهان موضوعي. وهذا يعني أنك إذا قلت أن A تسبب B فإنك تقول : أن B تتبع دائما A في الحالات المدركة، وأن هذا يحدث بالضرورة، ولكن المشكلة الرئيسية في التحليلات النسبية لما كانت تكمن في ما هية طبيعة تلك الضرورة؟ ولما كانت تلك الضرورة تكمن في أن استنتاج B يتبع A ينبع من بعض القضايا العامة التي تقبلها كحقائق وبالتالي يكون فيما بين تلك الشروط السببية سبب غامض يتعلق بتلك القضايا العامة التي تربط بينها. ثم يضيف (ريكس) أن (فيبر) في مجال توافق القيم. واختيارها كنقاط بداية لفهم ميثودولوجيته في دراسة الظواهر والفعل، لم تجعل علم الاجتماع أو التاريخ غير موضوعي، لأن تلك «القيم» كنقاط بداية تقود إلى الفروض السببية Causal - in bestigations، وتلك الفروض السببية في المقابل تقوم على قضايا عامة مخبره. ثم أوضح (ريكس) بعد ذلك أن مقالات فيبر الأولية كان ملاحظ عليها أنها تأخذ على عاتقها تشكيل التصورات الذاتية، سواء فيما يتعلق «بالنماذج المثالية» Ideal-Types، أو (بأي من العلوم الاجتماعية، ولكن هذا قد وضح بعد أن دخل في المناقشة التي فتحها (دلثي) Dilthy فيما يتعلق «عقوله الفهم» Versthen بأعتبارها تمثل المنهج الملائم في العلوم الاجتماعية، وايضا بعد مناقشة للحقائق

الاجتماعية فى اطار طريقة «احداث التغير المزدوج» Two Fold change accurs ، حيث أصبحت النماذج المثالية مرفقا لهذا لاتشير فقط إلى أنها أنماط مثالية أو خالصة للدوافع أو «لاتجاهات الفعل» action-oriantation ولكن أصبح ينظر إليها بإعتبارها قضايا مختبرة فى حدود قوتها التنبؤية، واكثر من مجرد أبعاد قياسية فى مقابل الحقيقة الامبريقية التى يمكن قياسها. حيث رأى (ريكس) فى هذا الصدد أن المشكلة كانت متمثلة فى ضرورة ربط مقالة (فيبر) عن «الموضوعية فى العلوم الاجتماعية» "Wirtschaft und Gessellschaft"، ثم أوضح لنا أن الأفكار الخاصة بالمعنى والسبب كان كلاهما غير واضح فى مقالاته المبكرة، بمعنى أن العلاقات التى أعتبرها فى الغالب على مستوى المعنى - كالعلاقة بين البروتستانتية وروح الرأسمالية - ومحاولته النظر إليها كعلاقات سببية كان لتصور غير واضح للسببية، حيث حاول أن يحدد الفكرتين. السببية والمعنى - والاختلافات بينهما إلا أن محاولته كانت مفتوحة وعامة [1]- على عكس (دلثى) الذى «فرق بين العلم الطبيعى الذى ينظر إلى القوانين والأسباب، وبين الاتجاهات الانسانية التى تنظر إلى العلاقات على مستوى المعنى» [2].

تكون مكتمله الا اذا كانت طبيعه الفعل الذى تشمل عليه معنى واقعيا حيث اصبحت هناك امكانيه فى اثبات ماهو على مستوى المعنى فى حدود نماذجه المثاليه ، وذلك على العكس فعالاته الأوليه ، فانه يمكن القول فى هذا الصدد ان هذا الاتجاه يتمشى مع اتجاهه المنهجى العام فى محاوله التوفيق بين خصائص العلوم الطبيعيه والعلوم الروحيه والوصول الى آخر منهجيه. كما هى تمثلت فى نماذجه المثاليه وذلك بغرض استخدامها فى تحقيقه فهم الافعال والظواهر الاجتماعيه والثقافيه .

وفى اطار الدراسه السيكلوجيه للفعل فى اطار انماطه المثاليه لدى (ماكس

(1) Rex, John., Topology and Objectivity ; Op. Cit., PP. 19 - 20.
(2) Ibid; P. 21.

فيبر)، وفى اطار تركيزة على دراسة الفعلى المنطقى أو المعقول، قد برزت مشكلات منهجية، تمثلت فى مدى أتفاق صفة «العقلانية»، والتى تكونملائمة أساسا لدراسة هيئة الفعل على المستوى الفردى، مع هيئة تصوره التعميمى المثالى فى دراسه انماط الفعل الاجتماعى ، والذى ينتقل فيه من الطبيعه الواقعيه الى طبيعه مثاليه فى اطار تصورى مثالى يعتمد على العقلانيه . فانه يمكن القول بأن اماكس ميز ، قد شايع فى هذا اتجاهه المنهجى فى جمع خصائص الاتجاهه العلمى والروحى فى معالجه انماط الفعل أو السلوك المنطقى وقد برزت التكنلمجيه المنهجيه فى اطار حله لهذه المشكله المنهجيه من خلال التوافق القيمى الذى يتويه القيم كنقاط بدايه أوليه تدخل فى تشكيل أنماطيه المثاليه المنطقيه ومواءمتها لتحقيق الفهم لطبيعه الفعل على مستوى المعنى فى اطار الملاحظه الابريقيه للفعل . أى أنه اصبح هناك امكانيه للحديث بوضوح عن اثبات ماهو على مستوى المعنى فى حدود النماذج المثاليه مع المعنى الواقعى»[١].

وقد بدا هذا الاتجاه السيكولوجى فى منهجيه (فيبر) أيضا من خلال استخدامه للنموذج المثالى كأداه منهجية لفهم العلاقة السيكولوجية بين روح البروتستانتية والرأسمالية الحديثة، وذلك فيما يتعلق باختبار القصة الماركسية الرئيسية التى ترى ان كل الظواهر الثقافية بما فى ذلك «الدين» تخضع لتأثير القوى الاقتصادية، وقد كان ذلك فى اطار استخدامه للنماذج المثالية ذات الخصوصيات التاريخية. ولورد (فيتش) Fisch فى تقديمة لكتاب «سسيولوجية الديانات» فى هذا الصدد أن الدراسات (فيبر) الوفيره عن الديانات التاريخية الكبرى فى العالم قد حظى منها باهتمام بالغ وتحليل قرمز، تأثير النفوذ الدينى على الرأسمالة الحديثة، وأيضا فعلى تأثير هذا النفوذ الدينى على تقييم العقلانية الغربية بوجه عام، حيث كانت هذه الدراسات تمثل بحث هام من منظور سسيولوجى أكثر إنسانية وشمولا من الاهتمام الماركسى المادى، وأيضا من وضعية (كونت) التاريخية، بل ممن عاصره

(1) Rex, Jon, Ibid; P. 23.

فى المانيا وخاصة فى علم الاجتماع النظرى كما هو عند (فرديناند توفير F Tonnies، (جورج زيمل) G.Simmel[1].

وما يدعم هذا ما ذهبا إليه (بارسونز)parsons من أن استخدام (فيبر) للعلاقة التى تربط بين الديانة البروتستانتية والرأسمالية لا تتمثل فى الشكل العام للرأسمالية من حيث أنها تتجه إلى الكاسب المالية، ولكنه أبدى اهتماماً خاصاً إلى نوع خاص منها أطلق عليه بالرأسمالية العقلانية» تلك التى تمثل تنظيما لهم بالانتاج الوفير ولكن إلى جانب ذلك يهتم بالتوجيه فى اطار الدافعية من أجل تحقيق أهداف محددة[2]. وهذا هو الدور الذى تلعبه الديانة البروتستانتية وخاصة المذهب الكالفينى فى تطور نمط الرأسمالية العقلانية الحديثة، وبناءاً عليه توصل (فيبر) إلى خطأ الفرض الماركسى السابق – وهذا هو التأثير السيكولوجى فى تحليل العلاقة بينهما من خلال النمط المثالى ذات الخصوصيات التاريخية. حيث يقول (بارسونز) فى هذا الصدد :

«أنه يتضح لنا من خلال معالجة (فيبر) لعلاقة تطور العالم الغربي الحديث فى نطاق الزهد والأخلاق البروتستانتية – تلك الجوانب النقيحية – فلا يمكن لنا فهم اضطرابات العالم الحديثة على مستوى التنظيمات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية معيداً عن هذا المحتوى التقيمى الكبير»[3].

وإذا ما حاولنا تفسير تلك العلاقة السيكولوجية بين روح الرأسمالية وأخلاق البروتستانتية فى اطار نماذجه المثالية (المنطقية) ذات الخصوصيات التاريخية فى دراسة وتفسير ظواهر اقتصادية وثقافية داخل اطار ثقافات محددة، فيمكن القول

(1) E. Fisch.; Introduction" of the sociology of reliyion. Max Weber; Op. Cit., P. XIII.

(2) Parsons.: Introduction of the sociology of religion; Ibid; P. Lix.

(3) Parsons . Talot; "Introduction" of The Sociology of Religion. Ibid; P. LX.

بأن «الانماط النموذجية» لدى فيبر فى تفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية كانت تعكس تتضح تلك الثقافية فى التفسير. وكما يرى (بارسونز) فى مجال يميز العلاقة بين روح الرأسمالية وأخلاق البروتستانتية، إن العلاقة الوظيفية الشاملة بينهما تكون على درجة عالية من الامكانية، وهذا لا يعنى شيئاً عن الأسبقى السببيةCausal Priority ، وإن كانت الحقيقة المتعلقة بالعلاقات إن نبوية تشير إلى ترجيح الدور السببى لنسق الاتجاهات الدينية، نظراً لأنه يوجد سابقاً على أى من الدرجات المتطورة لروح الرأسمالية، أو أى درجة متطورة فى التنظيمات الاقتصادية الواقعية، ومن ثم لا تستبعد (فيبر) الدور السببى، إلى جانب العلاقات الوظيفية السيكولوجية الشاملة بينهما[1]: بمعنى أن هناك تأثير سيكولوجى بين الافكار القيمية التى تنطوى عليها أخلاق الزهد البروتستانتية، وبين التنظيم العقلانى للرأسمالية الذى لا ينهض فقط على الانتاج الوفير ولكن أيضا فى اطار التوجيه فى اطار الدافعية من أجل تحقيق أهداف محددة.

وإذا كان ماكس (فيبر) على نحو ما قد نظر إلى المجتمع بإعتباره يتركب من العلاقات الانسانية المتبادلة، تلك التى تميز السلوك الذى يتضمن معنى، والذى يصدر عن مجموعة من الفاعلين، حيث يرى أن الوحدة الأساسية للبحث السسيولوجى هى «الفعل الاجتماعى النموذجى» أو «الفرد»، وإذا كان قد نظر إلى هذا الفعل الاجتماعى على أنه فعل «عقلى رشيد» وفى نفس الوقت نظر إليه على أنه يتضمن معنى ذاتياً، مما أدى إلى وجود الغموض الذى يتعلق بمعالجته المتعلقة بالفعل الاجتماعى فى اطار نظريته السسيولوجية[2]. فإنه يمكن القول فى هذا الصدد إن معالجة الفعل الاجتماعى قد أتت فى اطار نظريته السسيولوجية التى حاول تقديمها لتجميع بين خصائص العلم الطبيعى والروحى وفى محاولة لتحقيق

---

(1) Parsons.; The structure of social (action; op. cit., P. 512.

(٢) نيقولاتيماشيف، نظر علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ص ٢٧٤ – ٢٧٥.

الفهم التفسيرى لهذا الفعل الاجتماعى على مستوى المعنى، على أن يكون ملائما أيضا على مستوى السببية والواقع وكان ذلك فى اطار مقولة الفهم التى سبق ان عالجناها - وإذا كانت قد ظهرت بعض الصعوبات المنهجية فيما يتعلق بمعالجة «الفعل الاجتماعى المنطقى» فى اطار نماذجه المثالية، حيث تجنب دراسة الفعل على المستوى الفردى - والذى استخدمه باتساع - فى اطار معاينة الذاتية وذهب من الطبيعة الواقعية إلى الطبيعة المثالية فى اطار تصورى يعتمد على العقلانية. إلا أنه قد حل هذه المشكلة فى ايضاحه أن العملية العقلانية أو الرشيدة الذى يجب أن يكون عليها الفعل The Process of Rationalization تتضمن ما يلى :- أولاً - الوضوح الفكرى التخصصى وتنسيق الأفكار ، ثانيا - التحكم المعيارى والتوافق، ثالثا - تصور حالة الدافعية، بمعنى أن الافكار ولا تحتوى على تفسيرات اجتماعية أو أنماط سلوكية فقط، ولكن تتضمن أيضا أنواع ومستويات من الدوافع والتى تثبت الايمان والاعتقاد فى تلك الأفكار[1]. وعلى هذا يتضح أن (ماكس فيبر) قد حل مشكلة التعارض بين الذاتية المتمثلة فى معانى الفعل الاجتماعى، وبين العقلانية والرشد التى يجب أن يكون عليها الفعل من خلال وجهة نظره المتعلقة بأن الأفكار القيمية والدوافع يمكن أن تكون على قدر كبير من الموضوعية فى إطار نسقه السوسيولوجى المتمثل فى مقولة الفهم الذى يدرس من خلالها الفعل الاجتماعى فى إطار معاينة الذاتية، حيث حاول تكوين نظرية عامة عن العوامل الذاتية فى اطار مقولة الفهم، والتى طابق فيها بين الفهم السببى والفهم على مستوى المعنى الذاتى، على اعتبار أن الدافع الذاتى لدى الشخصى الذى يدفعه إلى مقلة قد يكون سبباً له. بمعنى أن التفسير السببى السليم لطبيعة افعل يكون متحققة من حين يكون الفعل «معلق» والدافع، له مدرك تماماً وتكون العلاقة بينهما مغزاها ومعناها مفهوم. أى أن ملائمة الفعل على مستوى المعنى تكون واضحة وفى نفس الوقت يكون التفسير سببياً بدرجة ملائمة[2].

(1) Parsons.; Introduction of the sociology of religion, Op. Cit., P. XXXII.

(2) Parsons; Introduction of the sociology of religion, Ibid.; P. XXXII.

كما شملت اهتمامات النسق السوسيولوجي الذى حاول تقديمه فيبر ليجمع بين كل من الأصول الموضوعية والذاتية، تحليل وتفسير السلوك أو الفعل الانسانى. إذ استطاع فيبر تحليل وتفسير أنماط الفعل الانسانى. وقد اعتمد فى هذا التفسير على الدوافع التى تكمن وراء الفعل، وكذلك المعانى الذاتية المرتبطة بتلك الدوافع. كما اعتمد فيبر فى دراسته للسلوك أو الافعال الانسانية على منهج الفهم التفسيرى. «والذى استكمله بواجهة المشاركة التعاطفية أو التقمص الوجدانى»[1]. بل واستطاع فيبر فى النهاية أن يرتقى إلى ادراك الأسس البنائية فى تشكيله للنماذج المثالية الخاصة بأنماط الفعل الاجتماعى من خلال اتجاهه النفسى. وانتهى فى هذا الصدد إلى امكانية تحقيق التوافق بين المقولات الذاتية متمثلة فى تأثير العواطف والدوافع وبين الاتجاهات العقلية للفعل. وبالتالى أمكنه أن يقدم تحليلا وظيفيا سيكولوجيا لنسق الفعل الاجتماعى يتشابه مع تفسيره وتحليله مع نسق العلاقات الاجتماعية.

وهذا يعنى أن فيبر من خلال اتجاهه الذاتى والذى يأتى فى اطار السلوكية الاجتماعية، حاول التغلب على المشكلة القائمة فى علم الاجتماع وتتعلق بنوعية المنهج المتبع فى دراسة الأفعال والظواهر الاجتماعية. وقدم فيبر نسقه السوسيولوجى ليجمع بين خصائص العلم الطبيعى والروحى. معتمدا فى تناول تلك الأفعال والظواهر على منهج الفهم التفسيرى السيكولوجى. والذى يجمع فى تناوله بين امكانية تحقيق التوافق بين الأصول الذاتية والموضوعية. فبصدد دراسة الفعل الاجتماعى على سبيل المثال. قدم فيبر نماذجه المثالية لأنماط الفعل المختلفة، واستخدمها كأدوات منهجية سيكولوجية من خلالها «تحقيق المطابقة بين السببية والمعنى بالرغم من تمييزه بينهما. وعلى اعتبار أن الدافع الذاتى للشخص الذى يدفعه إلى فعله يعتبر سببا له. وأن تفسيرنا للفعل يأتى فى اطار ما هو مألوف من أنماط السلوك والتفكير المشكلة لواجهة الثقافة السائدة»[2].

(١) نيقولاتيماشيف، مرجع سابق، ص ٢٦٢.

(2) Rex., John, Op. Cit., P. 109.

وتتضح لنا تلك المطابقة بين السببية والمعنى - والتى تشكل جوهر اتجاه فيبر النفسى الاجتماعى الذى قدمه ليحصل من خلاله مشكلة التعارض بين تحقيق الفهم على مستوى السبب وبين الفهم على مستوى المعنى الذاتى فى تحليل السلوك والعلاقات والظواهر - فى دراسته السيكولوجية القيمة ومحاولته تقديم نظرية اجتماعية نفسية بصددها، وايضاح الدور الذى تلعبه القيم فى علم الاجتماع. ويمكننا القول فى هذا الصدد أن فيبر استطاع تحقيق الهدف السيكولوجى لنسقه السوسيولوجى بتحقيقه لمطابقة بين السببية والمعنى فى فهم دور القيم فى علم الاجتماع من خلال مبدأه للتوافق القيمى وعدم تعارض القيم والأخلاق مع الواقع الاجتماعى. إذ حاول فيبر تحقيق هذا التوافق من خلال منهج الفهم التفسيرى والذى اتخذ واجهة سيكولوجية من خلال التعاطف. وذلك على اعتبار أن المعانى الذاتية المرتبطة بتلك القيم تأخذ أهمية فى سلوك الآخرين وأفعالهم فى الواقع الاجتماعى. ولما كان علم الاجتماع يختار موضوعاته من الواقع الاجتماعى والثقافى. أصبح التوافق القيمى لدى فيبر يمثل شرطا مسبقا لفهم كل معرفة تأتى من العالم الاجتماعى الامبريقى فهما سيكولوجيا.

الفصل الثامن
السلوكية الاجتماعية فى دراسات جورج زيمل

١- الاتجاه الوظيفى السيكولوجى فى دراسة تطور الشخصية الانسانية.

٢- التفسير السيكولوجى للعمليات الاجتماعية عند زيما :

أ- العمليات التفاعلية السيكولوجية.

ب- الصراع كشكل من أشكال المشاركة السيكولوجية.

جـ- سيكولوجية صور العلاقات الرئاسية كشكل من أشكال التفاعل.

٣ - سيكولوجية التغير فى عضوية الجماعات الثنائية.

٤- خاتمة .

الفصل الثامن

السلوكية الاجتماعية فى دراسات جورج زيمل

George Simmel

كان للحرب العالمية الأولى دور هام فى اثاره اهتمامات جورج زيمل العقلية والعاطفية التى أنشغل بها. كما اهتم بتجديد وتعريف المداخل الفلسفية والتاريخية السوسيولوجية. وتناولها بالشرح فى تحليلاته الجوهرية[١]. كما أبدى وجهات نظر متعددة لا تزال تحفز القراء فى الوقت الحاضر. وقد عكس زيمل الاتجاهات العقلية السائدة فى عصره، فكانت منهجيته مشايعة لمبادئ الكانطية مع التعديل. وتأثر فى اتجاهه السوسيولوجية بهيجل، وشوبنهاور، ودلثى، وفى نطاق الابستيمولوجيا تمسك بطريقة كانط العقلية التى ترى أن كل تجربة فى محتواها تتشكل فى المقولات الحسية. وقد أصبحت وجهة النظر هذه أساسا لكل تمييز بين الصورة والمحتوى، كما أصبحت فيما بعد مبدأ ميثودولوجيا فى علم الاجتماع[٢].

وفى استعرضانا للتيار السلوكى فى دراسات جورج زيمل الاجتماعية فى محاولة للوقوف على مدى الاسهام الذى قدمه من خلال اهتماماته السيكولوجية فى مجال علم الاجتماع المعاصر. نتناول فى البداية: سيكولوجية الاتجاه الوظيفى فى دراسته لتطور الشخصية الانسانية من خلال الأشكال أو الصور الاجتماعية . ثانيا – تفسير السيكولوجى فى دراسة العمليات الاجتماعية. مبتدئين بمناقشة

---

(1) Simmel, George., In International Encyclopedia of Social Science, Volume (13- 14), (ed) Gavid, Sills., The maccmilan Company & the free press, N. York : PP. 252.

ولد جورج زيمل فى برلين فى الفترة من (١٨٥٧ – ١٩١٨) . وبينما هو فى المدرسة توفى والده وترك له ثروة ضئيلة لا تفى بالتزامات دراسته. ودرس زيمل التاريخ، وعلم النفس الفولكلورى، وتاريخ الفن والفلسفة فى جامعة برلين. وحصل على الدكتوراه (١٩٠٧) من جامعة برلين فى بحثه عن فلسفة كانط. وحصل على لقب الأستاذية من جامعة ستراسبورج عام (١٩١٤). ثم مات بالسرطان فى عام (١٩١٨).

(2) Ibid., P. 251.

العمليات التفاعلية السيكولوجية ثم معالجة الصراع كشكل من أشكال المشاركة السيكولوجية ثم سيكولوجية أشكال العلاقات الرئاسية كشكل من أشكال التفاعل، ثم تستعرض تفسيره السيكولوجي للتغير في عضوية الجماعات الثنائية.

٢- الاتجاه الوظيفي سيكولوجي في دراسة زيمل لتطور الشخصية الانسانية :

جاء اهتمام زيمل بدراسة تطور الشخصية الانسانية في نطاق السلوكية الاجتماعية ومن خلال تحليله الوظيفي السيكولوجي لها. «وفهمه للمجتمع على أنه يشير إلى الأفراد وهم يمارسون ضروبًا من العلاقات المتبادلة غير المحددة، والتي يتطلب فهمها تحليل التفاعل النفسي»[١] كما جاء هذا الاهتمام في ضوء رؤية زيمل أن أشكال الموافقة الاجتماعية التي يدرسها علم الاجتماع هي نتاج لمحتوى نفسي يوجد لدى الأفراد. وبالتالي كان اهتمامه بدراسة تطور الشخصية الفردية هو الاهتمام الذى ربط فلسفيه بعلم الاجتماع [٢].

فبالرغم من مسايرة زيمل للاتجاهات العقلية السائدة في عصره إلا أنه لم يتقبلها كما هي، ولكنه تمصلها في اطار التعديل الخاص والمتلائم مع وجهات نظره، بحيث شكلت الاتجاهات السيكولوجية جزءا منها. فلم يقبل النظرية الماركسية المادية في تركيزها على الواقع المادى الخارجي. وفسر الاغتراب في اطار التناقض الناجم من الحالة الداخلية للفرد مع الواقع المادى الخارجي. وأوضح زيمل من خلال تطويره لهذا المفهوم أن المجتمع ليس ظاهرة فيزيقية، بل ظاهرة شعورية. وذلك عكس ما ينادى به المبدأ الكانطى الذى يفسر الحاية وينظر إليها من خلال الطبيعة. ومن ثم أولى زيمل اهتماما إلى وجهة النظر الوظيفية السيكولوجية في نظرته إلى الموضوعات التي يجب أن يهتم بها لعم الاجتماع الشكلى الذى يتخذ نمطا مستقر نسبيا غن المضمون أو المحتوى الخاضع للتغير[٣]. وقد شبه زيمل «اهتمام علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية بتحليل الهندسي لظواهر العلوم

---

(١) نيقولاتيماشيف ، مرجع سابق ، ص ١٤٨.

(2) Simmel, George, In International Encyclopedia of Social Science. Op. Cit., Volume (13 - 14) P. 254.

(3) Simme, George, Ibid., PP. 253 - 254

الطبيعية. بمعنى أن الأشكال الهندسية يمكن أن تكون متنوعة المضمون مثل الصور الاجتماعية»[١].

ومن منطلق المهمة التى حددها زيمل لعلم الاجتماع، ونظرته إلى المجتمع. قدم نظريته عن التطور الاجتماعى للشخصية، من خلال الجاهه الوظيفى سيكولوجى. «وجاء ذلك من خلال مدخلين رئيسيين : الأول - يرتبط بوجهة نظره عن الاختلافات الاجتماعية ولاجماعات الممتدة، والتى اعتبرها فى الدرجة الأولى من المؤثرات على الشخصية الفردية. ذلك فى مجال ترشيد الطاقة والعلاقات غير الشخصية. مما ينتج عنه حرية شخصية كبيرة ويصبح للفرد فرصة كبيرة للتأثير والتأثر والنمو الفردى . والثانى : يتمثل فى اعتبار أن عمليات التطور داخل الجماعات الممتدة يمكن أن سنميها عمليات وظيفية. والتى تفسر تطور الأفراد فى اطار عمليات التأثير الكبرى، بالاضافة إلى أن هذا التطور يكون فى اتجاه ترشيد الطاقة كما هو فى تقسيم العمل لدى دوركيم»[٢].

ولقد بذل زيمل الكثير من خلال تلك الاختلافات الاجتماعية والجماعات الممتدة من أجل التوصل إلى المبدأ الذى بواسطته تلك الأشكال الاجتماعية فى هيئة وظيفية سيكولوجية. ويبدو ذلك فى معلجته لبقاء الذات فى الجماعات الاجتماعية فقد ناقش زيمل شروط بقاء الجماعات بالرغم من الفناءات المستمرة للأعداد المكونة لها. وقد حدد زيمل تلك الشروط بالاختلافات الوظيفية. والواجهات المتعلقة بالتخصصات، ومن ثم توجد الاتجاهات الوظيفية السيكولوجية نحو الحفاظ على الجماعات وتدافع عن ميكانيزمات بقائها. كما تخلق تلك الاتجاهات فى الجانب المقابل لدى أعضائها اهتمامات ذاتيه نحو الحفاظ عليها

---

(١) نقولاتيماسيف ، مرجع سابق ، ص ١٤٩.

(2) Simmel , George, Op. Cit., P. 254.

وعلى تضامنها. اذ يعمل ذلك التضامن على تطوير حياتهم الفردية وشخصياتهم، ويقيها من حالات الصراع من خلال الميكانيزمات الاجتماعية النفسية[1].

ثم تناول زيمل تحليل السلوك الفردى تحليلا وظيفيا سيكولوجيا، داخل نطاق تلك الجماعات الممتدة واعتبر أن ذلك السلوك هو نتيجة للدوافع الفردية وردود الأفعال السيكولوجية الوسيطة فى بناء الموقف[2]. ولم يعتبر أن الأشكال الاجتماعية تمثل فى هذا الصدد قيودا خارجية تحدد السلوك الاجتماعى للفرد. وأن كان أولاها اهتماما على المستوى التحليلى الوظيفى والسيكولوجى. وبالتالى جاءت نظرته إلى تلك الجماعات الممتدة على أنها تشكل العنصر الرئيسى للحياة ومحتواها الخاص، ألا أنها تعتبر نتاجا سيكولوجيا وتاريخيا. وفرق زيمل بين «شكل تلك الجماعات وبين البعد التاريخى» لمحتوى «تلك الأشكال الاجتماعية المتمثل فى طبيعتها الوظيفية السيكولوجية[3].

نتتهى مما سبق إلى أن الأهمية التى منحها جورج زيمل لتمييز العلاقة السيكولوجية بين الشكل والمحتوى تأتى فى اطار الاختلافات المتباينة للوظائف التى يقوم بها الأعضاء وتشكل محتوى لشكل أو صورة للجماعة الاجتماعية. وأنه من خلال تلك الاختلافات تتشكل الاتجاهات الكلية التى تدافع عن بقائها. وتوجد لدى الأعضاء الاهتمام الذاتى بتحقيق التضامن الجماعى، من خلال انجاز الوظائف المختلفة داخل اطارها. وتلك هى الميكانيزمات السيكولوجية الوظيفية العضوية التى رأى زيمل أنها تؤدى إلى تطور الشخصية فى الجماعات الممتدة.

٣- التفسير السيكولوجى للعمليات الاجتماعية عند زيمل :

(أ) «التفسير السيكولوجى للتفاعل»

لقد وضح هذا الاهتمام لدى زيمل فى ضوء تأكيده بأن المجتمع ليس مادة،

(1) Simmel , George, Op. Cit., P. 254 - 255.

(2) Ibid., P. 257 .

(3) Ibid., P. 257.

بل يمثل حقيقة سيكولوجية شعورية. ورؤيته أيضا لوحدة المجتمع على أنها تتكون فقط من خلال التفاعلات بين أعضائه – وسوف نبدأ بمناقشة السيكولوجية للتفاعل Interaction – والذى يطلق لتعريف العمليات التى تشكل لب الحياة الاجتماعية والسلوك الانسانى. وقد أوضح كوذروروسنبرج تمييز زيمل للتفاعل الانسانى عن غيره من صور التفاعل ، بأن عملياته تشتمل على أشكال ومراكز وظيفية ومطالب مشتركة تحدث عندما يدخل أثنين أو أكثر من الفاعلين فى علاقات كل مع الآخر[1].

ومما يدعم الواجهة السيكولوجية لعلم الاجتماع الزيملى تحديده لمهمة علم الاجتماع فى دراسة التفاعلات والعلاقات المتبادلة. وجاء ذلك فى اطار علم الاجتماع الشكلى أو الصورى لديه Fermal Sociology . اذ يرى أن أشكال التفاعل تكون مميزة عن محتواها. ومن تحليله لمحتوى أو مضمون هذا التفاعل أوضح أنه محتوى سيكولوجيا، يتضمن الطاقات الدافعية والدوافع الفردية والأغراض والاهتمامات. أما أشكال وصور تلك التفاعلات فلم تكن تشكل لديه كيانات بنائية حقيقية، ولكنها تمثل كيانات أو واجهات مجردة تحليلية للواقع الاجتماعى[2].

وقد كشف كوذر وروسنبرج عن أن زيمل كان مؤسس ما أطلق عليه بالمدرسة الشكلية فى علم الاجتماع. وكان سباقا إلى جمع اهتمام السوسيولوجيون حول أهمية العمليات التفاعلية Interactive Processes وأتسع بامكانية اكتشاف عددا من أشكال وصور التفاعل النمطية. ويتمثل ذلك فى انماط الصراع والتعاونConflict Cooperation والتنافس Compitation فى اطار العلاقات الاجتماعية. وأن تلك الاشكال النمطية للعمليات الاجتماعية التفاعلية

(1) Cosr and Rosenbevg (eds) Sociological theory, Op. Cit., P. 55.
(2) Simmel, George, In International Encyclopedia of Social Science. Op. Cit., P. 255.

تختلف في محتواها السيكولوجي، وفقا للظروف الخاصة بكل موقف اجتماعي[1].

وسوف نحاول فيما يلي ايضاح تفسير زيمل للمحتوى السيكولوجي لتلك الأشكال التفاعلية المجردة. والتي يرى أنها تعتمد في مضمونها ومحتواها على الدوافع الفردية، والطاقات الدافعة، والاهتمامات المختلفة، والأعراض الرئاسية، ودور الغريب، والتغير في عضوية الجماعة من عضوين إلى ثلاثة[2]. ونعرض لها كما يلي :

(ب) «الصراع كشكل من أشكال المشاركة السيكولوجية»

لقد أوضح زيمل أن الصراع واحد من أغلب التفاعلات الواضحة، ويعبر في جوهره عن المشاركة. بل أن العوامل السيكولوجية التي ينهض عليها وتعتبر سببا للتباعد بين الناس وتسبب الصراع تعتبر في ذاتها مطلبا أساسيا لفهم الثنائيات المتأخرة. كما تمثل قوى دافعة للوصول إلى حالة الواحدة التي تتحقق بإبادة أحد العناصر المتصارعة[3].

ويوضح زيمل أن ظاهرة الصراع تحمل الكثير من البساطة. فاذا أردنا على سبيل المثال السلام فيجب أن يعد للحرب If you want prepare for war. بمعنى أن الصراع في ذاته يفسر القابلية للتشدد بين المتضادات، ويكون هدفه واضح في التعبير عن طبيعته المتمثلة في التوحيد والتآلف بين العناصر التي يعمل كل منها ضد الآخر ومن اجل الآخر Against and for one another. أي أن الاختلاف بين العناصر يكون سلبي تماما، وفي المقابل من تلك السلبية

---

(1) Cosr and Rosenbevg (eds) Sociological theory, Op. Cit., P. 55-56.

(2) Simmel, George, In International Encyclopedia of Social Science. Op. Cit., P.199.

(3) Ibid., P. 200.

للاختلاف يحتوى الصراع على بعض من الايجابية. وتبدو لنا الظاهرة الاجتماعية في ضوء جديد حينما ينظر إليها في ضوء تلك الطبيعة السوسيولوجية للصراع. تلك الطبيعة التي تبدو بوضوح أكثر في نطاق العلاقات بين الناس عنها بين الفرد والموضوعات. ومن خلال المادتين الذاتيتين المتمثلتين في : الوحدة الفردية ووحدة الأفراد أو المجتمع[1].

ويتضح لنا مما سبق أن زيمل ينظر إلى التفاعل بين الكائنات الانسانية باعتبارها كيانات ذاتية تحتوى في داخلها على مضامين سيكولوجية. وكذلك باعتباره مميزا عن التفاعل بين الانسانية والبيئة الخارجية أو عالم الموضوعات بحيث يمكن ادراك الصراع في ضوء التعبيرات والدلالات السيكولوجية من حب وكره، وتنافر وتناقض.

ولقد جاءت معالجة زيمل للصراع في نطاق نزعته الوظيفية. ومن خلال اتجاهه السيكولوجي في دراسة العلاقات والتفاعلات الاجتماعية المختلفة بحيث تؤدى وظائفها في اطار الوحة الكلية المجتمعية. اذ أوضح زيمل أن أشكال وصور التفاعلات التي تأخذ هيئة صراع وتعتبر معوقة لوحدة الكل الاجتماعي مثل: علاقات التضاد Contrary والمعارضة Contradication والصراع Conflict، تعمل في اطار تلك الوحدة الكلية. وأوضح زيمل في هذا الصدد أن الاختلافات والتناقضات التي تأخذ اتجاهات سلبية أو إيجابية في أشكال وصور الصراع تشكل في مجموعها الصورة الكلية للمجتمع الذى يعيش فيه وتتطور من خلال. ولا يجب أن تعتبر اتجاهات الخلاف والمنافسة معوقة لوحدة الكل الاجتماعي. وبالتالى يمكن الاشارة إلى أن الوصول إلى التوافق والانسجام وتحقيق الوحدة ينبع من توحيد التفاعلات الفردية ضد النزاعات، إذ يشير تلك الوحدة وهذا التوافق إلى

---

(1) Simmel. George. "Cpnflict Sociation" , Op. Cit., P. 200.

التركيب الجماعي الكلي لاتجاهات الأشخاص في تفاعلاتهم[1].

كما أشار زيمل إلى أننا عادة نهتم بظاهرة الجماعة التي نشعر بوجودها الموحد في اطار محتوياتها الوظيفية ووحدتها الخارجية. ولا نهتم بالابعاد الاخرى المختلفة للوحدة والتعارض. ومن ثم يجب علينا أن ندرك أن التعارض إذا كان يتبعه تحطيم الشخصية لدى أفراد معينين، فقد يكون له كذلك دورا ايجابيا في العديد من صور الصراعات الأخرى[2].

وننتهي من مناقشتنا للتفاعلات الاجتماعية التي تأخذ هيئة صراع في اطار العمليات الاجتماعية لدى زيمل إلى أن اهتمامه بها قد جاء في اطار علم الاجتماع الشكلي أو الصوري. وأن تلك الصور والأشكال المجردة للصراع هي في مضمونها ومحتواها تحمل عناصر سيكولوجية مثل : الاتفاقات، والاختلافات، والاهتمامات، والدوافع الفردية الذاتية، واتجاهات ايجابية وسلبية. ولكن تلك العناصر السيكولوجية المتناقضة في النهاية تعمل في اطار اتجاهه الوظيفي ومنهجه القائم على التمييز بين الشكل والمضمون. وتتجه نحو تحقيق وحدة الصورة أو الشكل الكلي، وتعتبر جوهرية من خلال الدور الذي تؤديه وظيفيا في اطار الشكل الذي تنتمي اليه. وبحيث تؤدي في النهاية إلى تقدمنا وتطورنا في اطار الكل الذي تنتمي إليه سواء كان جماعة أو مجتمع كبيرة.

---

(1) Simmel. George. "Conflict Sociation" , Op. Cit., PP. 200-201.

(٢) ويفسر زيمل تلك الواجهة الوظيفية العضوية السيكولوجية في فهمه للصراع في نطاق علم الاجتماع الشكل أو الصوري، بأن صورة الصراع تحتوي في مضمونها على (قوى ايجابية)، و(قوى سلبية) وأن تلك القوى تعبر عن حالة اجتماعية سيكولوجية للتناقض بين تصورين أكثر عمومية في الحياة ويبدو أن بوجه عام متعارضين. فأحد هذين التصوران يقدم الواجهة الايجابية للحياة، والآخر يقدم الواجهة السلبية. وبالتالي فهما يمثلان العلاقة بين السعادة والمعاناة، والحقيقة وعكسها. والنجاح والفشل. ولكن الواجب علينا أن نعتبر ذلك الاختلاف والتضاد يحدث بين تصورين في حياة واحدة، وأن نسمح للمعنى الكلي لوجودنا أن ينمو في اطار كلا الجانبين.
Simmel, George, Op. Cit., PP. 202 - 203.

(جـ) سيكولوجية صور علاقات السيطرة كشكل من أشكال التفاعل:

لقد درس زيمل أشكال السيطرة Forms of Domination، وجاء اهتمامه بها في اطار اختلاف أشكال التفاعلات والعلاقات الاجتماعية التي ينهض بدراستها علم الاجتماع الشكل لديه. ورأى أن أشكال السيطرة لا تخرج عن كونها حالة من التفاعل توجد الرغبة في أن يفرض الفرد تأثيره التام وفكرة على الآخر، بحيث يكون هذا التأثير بعيدا عنه. وأوضح زيمل أن هذا الشكل من السيطرة يمثل حالة من حالات التفاعل. وعندما نقوم بتحليل مضمونه نجد أن حالات التأثير على الشخص الآخر سلبيا أو ايجابيا تفرض نفسها داخل الشخص المسيط .. وذلك على اعتبار أنها تعد نتاجا لارادته ويكمن مغزاها في احساسه الذاتي بقوته وقدرته على التأثير[1]، كما أضاف زيمل في هذا الصدد «أن الرغبة في السيطرة لا تمثل في بعدها النهائي الأنانية أو حب الذات. وذلك على اعتبار أن السيطرة يكون القصد منها هو القضاء على الميل الداخلي للخضوع. أما الأنانية أو حب الذات فهو عادة يهدف إلى الانتصار على المقارنة الخارجية[2].

ويتضح مما سبق أن زيمل ينظر إلى أشكال السيطرة على أنها علاقات تفاعلية تقوم في جوهرها على المشاركة. وهذا يعني أن السيطرة لا تعني الخضوع التام من أحد الطرفين، طالما أن كلاهما يحمل نفس المعنى لمفهومها. ويجد لديه مقاومة داخلية للخضوع ويعمل على تحطيمها. وهذا يعني كذلك أن زيمل قد فهم التأثير الذي يفرضه الشخص على الآخر يكون من زاوية الاقتناع، كما يكون مصدره نابع من قدرته الذاتية وشعوره بقوته وقدرته. ويدعم هذه النظرة ما أوضحه تيماشيف من أن زيمل يرى لدوافع سيكولوجية ويتطلب فهمها تحليل التفاعل النفسي فيما بينهم[3].

---

(1) Simmel, George, "Forms of Domination " , In Coser and Rosenberge, (eds) Sociological Theory Op. Cit., PP. 124 - 125.
(2) Ibid., P. 125.

(٣) نيقولاتيماشيف ، مرجع سابق، ص ص ١٤٧ – ١٤٨.

ثم قدم زيمل تحليلا سيكولوجيا لمضمون شكل السلطة وعلاقتها بالهيبة أو المكانة فى اطار تحليلاته السيكولوجية لمحتويات صور العمليات الاجتماعية. واوضح أن بناء السلطة وأهميته فى الحياة الاجتماعية يأتى من سبيلين: «الأول يتمثل فى أن الشخص ممثل السلطة قد يكون فى ذاته مركز اهتمام، ومرغوب فيه بطريق مباشر أو غير مباشر من حيث وأن آرائه المستفيضة واخلاصه واقناعه. ومن ثم يكون متمتع بالامتياز والثقة البديهية فى قراراته الذى يتفوق فيها على الأقل من خلال الجزء المتعلق بقيمة الذاتيه. والثانى يعنى أن السلطة يمكن أن تأتى من اتجاه مضاد يتمثل فى القوى فوق الفردية مثال : الدولة State ، أو الكنيسة Charch، أو المدرسة School، أو العائلة Family، أو التنظيمات العسكرية Millatry Organization. وذلك باعتبار أن تلك النظم تضفى على الشخص السمعة الحميدة وقوة فى قراراته التى تنبع بثقة وموضوعية بعيدا عن ذاتيته. بمعنى أن الشخص يرتقى من القيم الشخصية إلى القيم فوق الشخصية التى تمنح شخصيته واجهة السيادة فى السلطة الموضوعية[1].

ثم اشار زيمل بصدد التمييز بين كلا هذين النوعين من السلطة إلى أن النموذج الأول يطلق عليه بالهيبة أو المكانة ويكون مميزاً عن السلطة الموضوعية، لأن السلطة الهيبة تعتمد على الأساس الخاص بالذات العليا. وانتهى زيمل إلى أن الشخص موضع سلطة الهيبة يحتاج فى اثبات شخصيته وتدعيمقيادته إلى القوى الموضوعية، التى تعد جثمان الشعور بجانب القوى الضرورية الداخلية. وبالتالى كانت السلطة الموضوعية. ولذلك كانت سلطة الهيبة أو المكانة تملى علينا فى الغالب الولاء الاختيارى للشخص المفضل. فى حين يكون الاقتناع والقبول تجاه السلطة الموضوعية دافعا إلى حرية أكثر عمقا فى أداء الفعل أكثر مما يحدثه السحر المنبعث من القائد الروحى Spiritual Leader[2].

---

(1) Simmel, George, " Forms of Domination", Op. Cit., 126 -127.

(2) Simmel, Ibid, P. 127.

ومما سبق يتضح لنا أن زيمل قد اتخذ اتجاها سيكولوجيا فى معالجته لمحتوى صور وأشكال السلطة، سواء أكانت سلطة موضوعية أو سلطة المكانة أو الهيبة. وحدد المبادئ السيكولوجية التى تنهض عليها شخصية موضع السلطة فى كلا النوعيم.. ثم قيام كلا نوعى السلطة على علاقات التفاعل والتأثير بين موضع السلطة وتابعيه. وقد أوضح كيرت وولف فى هذا الصدد أن مناقشة زيمل السيكولوجية لمحتوى نوعى السلطة تساير مفهومه الرئيسى الذى وضعه لعلم الاجتماع الشكلى أو الصورى. والذى يوجب على عالم الاجتماع أن يجرد الصور والعلاقات والعمليات عن محتواها الاجتماعى، لأن الصور والأشكال تختلف عن محتوياتها الحسية.. اذ يتضح ذلك فى تمايز الصور اللغوية المجردة عن محتوياتها اللفظية، وكما تنفصل الصور الهندسية عن مبناها المادى الشخصى[١].

ويتدعم هذا المحتوى السيكولوجى لكلا نوعى السلطة من خلال علاقة التأثير والتأثر بين القائد وتابعيه. اذ يشير زيمل فى هذا الصدد إلى أن المحتوى الداخلى لأشكال العلاقات الاجتماعية بين القادة والتابعين تبدو فى : علاقة المتحدث بتابعيه، والمدرس بفصله .. وأوضح أنه فى اطار علاقات التأثير والتأثر المتبادله فان القادة يمكن أن ينقادون إلى تابعيهم فى حالات عديدة. وأشار إلى قول أحد كبار القادة الألمان مشيرا إلى تابعية أنا قائدهم ولهذا يجب أن أتبعهم. كما يظهر ذلك بصورة واضحة فى عمل الصحفى Journalist الذى يبث اتجـــاه الآراء لدى الجمهور فيما يكتبه، وفى نفس الوقت يكون مستيقظ لتحسس ماذا تكون عليه الاتجاهات والميول لدى الجماهير Mass. كما أنه قد يكون وقد يكون واقع تحت التـأثيـر الواسع للرأى العـام فى اطا مـا هو سـائد من آراء عـامـة Public Suggestions[٢].

---

(1) Wolf, Kurt, The Sociology of George Simmel. (ed) and Trans (by) Kurt, Wolf., New York : A free press, 1964, P. 23.

(2) Simmel, George , "Forms of Domination", Op. Cit., PP. 128 - 129.

وهكذا يتضح لنا أن زيمل فى تحليلة لمحتويات التفاعل الخاصة بصور وأشكال علاقات السلطة وأوضح أنها تنهض فى جوهرها على علاقات التأثير المتبادل سيكولوجيا بين القادة وتابعيهم. وهو ما يعكس تحليله السيكولوجى لمحتواها فى اطار المشاركة والتفاعل.

٤- سيكولوجية التغير فى عضوية الجماعات الثنائية :

عالج زيمل ظاهرة الجماعات الثنائية والثلاثية فى هيئة أشكال من العلاقات الاجتماعية المعقدة. وأوضح أنه يمكن تقديم الطبيعة السوسيولوجية النموذجية لشكل ظاهرة العلاقة بين العضوين في الجماعة الثنائية من خلال المشاركة عن طريق حقيقتين : الأولى – تعنى أن التباين والاختلافات أو توحد الدوافع بين الأفراد لا يغير من ماهية هذه الأشكال من العلاقة. والثانية – تعنى أن تلك الأشكال الثنائية من العلاقات قد توجد بين : جماعتين أو تنظيمين أو دولتين، كما هو بالنسبة لوجودها بين الأفراد [1].

وأوضح زيمل أن الاختلاف بين الجماعات الثنائية وغيرها من الجماعات الكبيرة يتمثل فى كونها فى اطار عنصريها تملك علاقات تختلف عما يوجد لدى الجماعات الكبيرة فى اعدادها . بمعنى أن كلا الطرفين يشعر بذاته فى مواجهة الآخر وليس فوقه، ويكون بناء الجماعة مرتكز على الفرد والآخر، وأن الانشقاق من أحد الطرفين سيكون مدمر للآخر. ومن ثم فالجماعة الثنائية لا تجلب الحياه الفردية التى يعتمد فيها الفرد على ذاته. لأن الاعتماد الثنائى بين الطرفين يجعل من التفكير فى وجودها مرتبط بفنائها بصورة دقيقة. وهذا يعنى أن تصور الموت بالرغم من كونه يشكل جزء من الوجود ذاته، ومن تكيف وتوافق

(1) Simmel, George, "The Dayad and the traid", In Coser and Rosenberg, (eds) Sociological theory. Op. Cit., PP. 56 - 57.

الأفراد مع الوجود لأنه يمثل حقيقة تكمن فى الحياة منذ بدايتها. إلا أن حقيقة الموت بالنسبة لأى من طرفى الجماعة الثنائية لا تمثل تراجيديا اجتماعية على المستوى الواقعى فقط، بل تمثل أيضا مشكلة عاطفية كبرى ترتبط بخطورة عدم التعويض. وذلك على عكس الجماعات الكبرى فى اعدادها والتى لا تؤثر حقيقة الموت على استمرارها فى الوجود[1].

ويتضح لنا مما سبق أن زيمل أراد الوصول إلى أن الجماعة الثنائية كشكل اجتماعى إذا ما حللنا مضمونها سوف نجد محتواها سيكولوجيا يعتمد على علاقات المشاركة المباشرة والتأثير المتبادل والمعتمد على كلا الطرفين.. أى أن العلاقة بينهما تكون عضوية سيكولوجية تأتى فى اطار شعور كل واحد منهما لعدم تعويض الآخر وحاجته إليه من أجل استمرار الجماعة وبقائها.

ويشير زيمل فى هذا الصدد إلى امكانية التنسيق بين ثلاثة عناصر اجتماعية بعد دخول عنصر ثالث فى العلاقة. ومن ثم ناقش الوظيفة الاجتماعية التى ترتكز على مبادئ سيكولوجية لهذا العنصر الثالث أو الوسيط. وجاءت هذه المناقشة فى ضوء وجهة النظر التى ترى أن الأعضاء المنفصلين يكونوا متحدين فى اطار علاقاتهم المشتركة بالظاهرة التى تكمن خارجهم. فعلاقة الزوجين مثلا حينما يأتى الطفل كعنصر ثالث- وسيط - فهو يملك وظيفة التمسك بالكل مجتمعا، من خلال حاجته للرعاية والاهتمام لأطول وقت ممكن. والنتيجة أن الطفل يغلق دائرة العلاقة بين الزوجين ويقويها تجاه بعضها البعض. كما يخلق الوحدة العاطفية وبالتالى تتحقق المشاركة الداخلية بين الأعضاء الثلاثة من خلال ارتباطهم فى الواقع وأيضا ارتباط مشاعرهم وعواطفهم الداخلية[2].

---

(1) Simmel, George, "The Dayad and the traid", Op. Cit., PP. 57-58.

(2) Simmel, George, Ibid., Op. Cit., PP. 59 - 60.

كما كشف زيمل عن المغزى الهام للدور الذى يقوم به الوسيط فى تطوير المؤثرات السيكولوجية بين الطرفين. وذلك باعتبار أنه يمثل نموذج مرغوب فيه يؤدى إلى التوافق بينهما، كما يعمل على تجنب حالات الصراع التى تتحول فيها الجوانب الموضوعية إلى جوانب ذاتيه بين العضوين. بحيث تصل تلك العلاقة إلى حالة المشاركة الداخلية بين الأعضاء الثلاثة والاتفاق والتوحد بدلا من الصراع والتنافر[1]. وقال زيمل فى هذا الصدد «أن وجود العضو الثالث يخدم استمرار الجماعة. فهو يكون موجها لادراك وارادة واحساس العضوان الآخران ... ولذلك ينظر إلى علاقتهما ... كثمرة لتلك الوحدة السيكولوجية التى استقرت فى حياة الجماعة من خلاله .. حيث يلطف من غرائز الطرفين، ويكون موجها لكل لحظة فى حياة الجماعة»[2].

وهكذا يتضح لنا أن زيمل قد عالج الانتقال والتغير فى شكل الجماعة الثنائية إلى الشكل الثلاثى فى اطار المحتوى السيكولوجى لها. وأيضا من خلال التغير السيكولوجى الذى يحدثه وجود الوسيط. والذى يجعل علاقة الطرفين أكثر التصاقا وعمقا، ويوجد الوحدة العاطفية بين الطرفين. بحيث يزداد حب الزوج لزوجته وتصل تلك الوحدة السيكولوجية العميقة إلى نوع من الاتفاق والتوحيد بدلا من التنافر. وقد أشار كيرت وولف إلى أن معالجة زيمل لعلاقة التغير فى عضوية الجماعات الثنائية «قد جاءت فى إطار المشكلة الرئيسية التى دار حولها البحث فى الفكر السوسيولوجية وهى التفسير السيكولوجى لأنماط العلاقات الانسانية فى ضوء العمليات الاجتماعية»[3].

(1) Simmel, George, Ibid. PP. 61 - 62.

(2) Ibid. P. 56.

(3) Wolff, Kurt, Sociology of George Simmel, Op. Cit., P. 23.

٥- «خاتمة الفصل الثامن»

بعد عرضنا لاتجاه السلوكية الاجتماعية في دراسات جورج زيمل الاجتماعية. سنحاول الان الوقوف على مدى اسهامه في تقديم اطار نظرى سيكولوجي؟ ومدى استخدامه له في دراسته الاجتماعية؟ والتي شملت تطور الشخصية الانسانية وسلوكها. ثم تفسيره السيكولوجي للعمليات الاجتماعية. وأخيرا تحليله السيكولوجي للتغير في عضوية الجماعات الثنائية. كما سنحاول خلال عرضنا لمدخله السيكولوجي الذى استخدمه في دراساته الاجتماعية أن نوضح المفاهيم والتصورات السيكولوجية التي اعتمد عليها في تحليلاته وتفسيراته المختلفة.

ويمكن الاتفاق مع جراهام كينلوشن في هذا الصدد أن اسهامات زيمل النظرية بوجه عام قد جاءت في اطار السيكولوجية الاجتماعية، واتخذت اتجاها وظيفيا. اذ وضح هذا الاتجاه الوظيفي في عدم نظرته للمجتمع من الناحية العضوية. بل باعتباره مجموعة متفاعلة من الافراد ويعتمد على الوظائف تاالمختلفة للمشاركات والتفاعلات أكثر من اعتماده على الواقع المستقل. وبالتالى فعلم الاجتماع لديه يهتم بدراسة اشكال التفاعل المختلفة والمشاركات [١].

ولذلك يمك القول أن أعمال (جورج زيمل) George Simmel الاجتماعية، قد يقبته على أرضه صلبة وإن (فون فيز) Lepold Von Wiese قد عمل بإتساع من خلال التقليد السيمل» وخصوصا مجهوداته في تصنيف وترتيب الأشكال التحليلة للتفاعل الاجتماعي، وإذا كنا نجد «عميد الاجتماع الألماني» ماكس فيبر قد ذهب بتفكيره فيما يتعلق بالديانه المسيحية البروتستانتية في اتجاهات سيكولوجية مختلفة في علاقتها بالرأسمالية الحديثة، إلا أنها كانت غرض جزء كبير منها على تأكيدات (زيمل) على أهمية العمليات التفاعلية[٢]. تلك التي

---

(1) Kinloch, G.C., Op. Cit., P. 153.

(2) Goser and Rosenbery .: Sociological Theory : Op. Cit., P. 56.

أعتبر أن «محتواها» يتكون من القوى الدافعة، والدوافع الشعورية، والأغراض ، والاهتمامات أما أشكال أو صوراً تلك العمليات التفاعلية فلم يكن يشكل كيانات بنائية حقيقة ولكنها تمثل واجهات تحليلة مجردة للواقع الاجتماعي[1].

وقد بدا هذا الاتجاه السلوكي الاجتماعي في دراسة زيمل للعمليات التفاعلية الاجتماعية في اطار مسايرة للاتجاهات العقلية السائدة في عصرها وتمثله في اطار التعديل المتلائم مع راجهات نظره، والتي شكلت الاتجاهات السيكولوجية جزءا منها، فلم يقبل النظرية «المادية الماركسية» في تركيزها على الواقع المادى الخارجي، وفسر الاغتراب في اطار التناقض الناجم من الحالة الداخلية للفرد مع الواقع المادى الخارجى ، بل أنه في اطار تطويره لهذا التصور وصل الى أن المجتمع لا يمثل حالة فيزيقية بل يمثل ظاهرة «شعورية» ، وكان ذلك على عكس ما يرى «المذهب الكانطي» في تفسيره للحياة ونظرته اليها من خلال الطبيعه . وقد تمضى هذا الاتجاه لدى (زيمل) فى ان رأى المجتمع يميل «بصورة أو الشكل الذى يتحقق فى الحياة الاجتماعية وتتخذ شكلا نمطيا يتميز عن مضمونه أو محتواه الذى يخضع للتغير المستمر «وإن المهمة الرئيسية التى يجب أن يضطلع بها على الاجتماع الصورى أو الشكلى هذا لديه تتمثل فى تحليل تلك المحتويات المجتمعية التى تكون خاضعه للتغيرات وذات محتوى نفسى، وهى تشبه التحليل الهندسى لظواهر العلوم الطبيعية، بمعنى أن الأشكال الهندسية يمكن أن تكون متنوعة «المضمون» والمحتوى كما هو فى الأشكال والصور الاجتماعية»[2].

وإذا كان (ماكس فيبر) قد نبذ فكرة (زيمل) عن العلم «الاجتماعى الصورى» فى مقالته عن «الموضوعية فى علم الاجتماع» حيث قال « عندما نأخذ كلمة اجتماعي بمعناها العام ، فليس هناك وجهة خاصة في تفسيرها ، غير

---

(1) Simmel, George.; "Encyclopedia of Social Science " Op. Cit., P. 255.

(2) Ibid, P. 56.

تلك التى ترى أن مغزاها يوجد فى الأسس الثقافية القابلة للتحليل» [1]. فإنه يمكن القول فى هذا الصدد إن التحليل السيكولوجى فى تفكير (فيبر) كان على مستوى دوافع الفعل حيث يعرف الفعل «بإنه سلوك انسانى، ظاهر أو مستقر يمنحه الفرد الفاعل معنى ذا تيا، فالسلوك الذى يخلو من المعنى الذاتى لا ينتمى إلى الدراسة السوسيولوجية المتعمقة»[2]. أما التحليل السيكولوجى فى محتوى علم الاجتماع الصورى لدى (جورج زيمل) لم يكن على المستوى الداف عى للفعل الفردى الموجه الى سلوك الاخرين، بل كان ينصب على التحليل الو ظيفى العضوى للتطور الاجتماعى للشخصية فى اطار الاختلافات الاجتماعية والعمليات الاجتماعية، والجماعات الممتدة، تلك التى تلعب دورا هاما فى نمو وتطور الشخصية الانسانية. وكان ذلك فى اطار نظرية إلى «وحدة وشكل المجتمع» على أنها تتكون فقط بو اسطة التفاعل الوظيفى العضوى بين أجزاءه، والذى أستاذ معه (أو ثمار أسبمان) Othmar Spman وأطلق عليه بأنه عضوى اجتماعى سيكولوجى[3].

ولقد كان (جورج زيمل) بالاضافة الى كونه مؤسس المدرسة الشكلية فى علم الاجتماع سباقا أيضا فى تجميع إهتمام العلماء السوسيولوجيون على أهمية دراسة العمليات التفاعلية فى اطار اتجاهه الوظيفى العضوى السيكولوجى السابق، ورأى أن هناك امكانية فى اكتشاف الأشكال والصور الخاصة «بالتفاعل» من خلال عناصره النمطية الثابته نسبياً، تلك التى عالجها فى بحوثه المتعددة عن «الصراع» المنافسة، العلاقات الرئاسية، ودور الغريب، التغير فى عضوية الجماعة من عضوين إلى ثلاثة [4]. وتتناول تلك العمليات التفاعلية داخل اطار الجماعات الممتدة، والتى عالجناها فيما يتعلق بالاتجاه النفسى فى دراسات جورج زيمل –

---

(1) Rex, John., Topology and Objectivity; Op. Cit., P. 30.

(٢) نيقولاتياشيف، مرجع سابق، ص ٢٦٠.

(3) Simmel , George; Op. Cit., P. 254.

(4) Ibid; P. 56.

يتضح لنا أن معالجة لتطور الشخصية الانسانية فى اطار العمليات الاجتماعية والجماعات الممتدة ومن منظور وظيفى عضوى ، حيث كانت هذه المعالجة فى اطار نظريته الأساسية التى يتناها فى دراسة الظواهر الاجتماعية والتى تتمثل فى اختلاف «الصورة عن المحتوى» بالاضافة إلى أنها أيضا كانت فى اطار المشكلة الرئيسية التى دار حولها البحث السوسيولوجى الألمانى، وتجلت فى فكرة فى مطلب التفسير السيكولوجى Psychologyical Explanations لأنماط العلاقات الانسانية، فى ضوء تطور العمليات الاجتماعية، ودراستها على أنها أشكال خالصة تمتلئ فى محتواها بالتجربة السيكولوجية، وأنه ى جب دراستها وفهمها فى ضوء مضامينها السيكولوجية وجزيئاتها المتمثلة فى الدوافع الفردية، والقوى الباعثة، والاهتمامات المختلفة، والأغراض الذا تية، وكان ذلك إنطلاقا من تصوره الخاص لعلم الاجتماع الشكلى لديه الذى سيطر إلى المواقف الاجتماعية على أنها نتاج لمحتوى نفسى معين يوجد عند الأفراد فى هذه المواقف. وقد كان (زيمل) واضحا فى مجال تحديده لمجال علم «الاجتماع الصورى لديه» والذى ينظر إلى المجتمع على أنه ظاهرة «شعورية» وليس «فيزيقية » كما هو عند (كانط)، وإن مكوناته التى تشكل «محتواه» هى : التفاعلات والاعتمادات الداخلية التى تشكل حقيقة كافية، بمعنى أن «تصور أو شكل ، المجتمع لديه فى جملته يمثل مادة «للشعور» فى محتوياته المشكلة، حيث نظر «زيمل» إلى تلك التفاعلات الاجتماعية داخل اطار الجماعات الممتدة على أنها تقوم بأدوارها فى اطار الاختلافات المتباينة للوظائف التى يقوم بها الأعضاء فى اطار الاتجاهات نحو الحفاظ على الجماعة ووقايتها، بتلك الاتجاهات التى لا تعتمد على القوى التى توجد داخل الجماعة وتدافع من ميكانيزماتها الكلية، بل أنها تعتمد أيضا على الاهتمامات الذاتية للأعضاء المشكلية لها نحو تحقيق التضامن الجماعى تجاه انجاز الوظائف المختلفة داخل إطارها ، وهو ما يمثل الميكانيزمات السيكولوجية الوظيفية العضوية فى نسقه السوسيولوجى والتى تؤدى إلى تطور الشخصية الانسانية داخل إطار تلك الجماعات الممتدة.

ويمكن القول أن زيمل حاول تقديم مدخلا وظيفيا سيكولوجي يمكن من خلاله دراسة وتحليل اشكال العمليات الاجتماعية . وصور المشاركات المتعددة كما حاول تحديد المهمة التي ينهض بدراستها علم الاجتماع من خلاله، وحددها بالتمييز بين دراسة الشكل والمضمون لأشكال السلوك، والعمليات التفاعلية ، والمشاركات الاجتماعية. ثم دراسة المحتوى السيكولويجي لتلك الأشكال في ضوء المفاهيم والتصورات السيكولوجية. وقد وضح ذلك في تحليله الوظيفي السيكولوجي لتطور الشخصية الانسانية داخل الجماعات الممتدة، من خلال عمليات التأثير والتأثر والتي تؤدى إلى نموها . وحلل زيمل ذلك النمو في اطار الاتجاهات الوظيفية السيكولوجية المتعلقة بالتخصصات المختلفة للافراد . والتي تؤدى إلى تضامنهم وتخلق اتجاهات ذاتيه في حياتهم تقيهم من حالات التفكك والصراع ، وبالتالي تتطور شخصياتهم. كما فسر زيمل السلوك الفردى داخل نطاق تلك الجماعات الممتدة وجاء تفسيره وتحليله في ضوء الدوافع الفردية وردود الافعال السيكولوجية.

كما يبدو هذا الاتجاه الوظيفي السيكولوجي بوضوح في تحليل زيمل للمحتوى السيكولوجي لأشكال وصور العمليات الاجتماعية. وأولها - تحديده السيكولوجي لمضمون أو محتوى أشكال التفاعل بالدوافع الفردية، والطاقات الدافعة، والاهتمامات والاغراض الذاتية. ثم في تحليلة للمحتوى السيكولوجي لشكل الصراع باعتباره يمثل نوعا من أنواع المشاركة. واعتبر أنه ينهض على الاختلافات، والاهتمامات، والدوافع الفردية التي تأخذ هيئة اتجاهات ذاتية أما ايجابية أو سلبية. كما وضح هذا التحليل الوظيفي السيكولوجي. لدى زيمل في تمكين الأشكال المسيطرة والسلطة كشكل من أشكال التفاعل. وجاءت تحليلاته في ضوء المشاركات، والرغبات والميول، والقدرات الذاتيه، والقيم الشخصية والقيم الموضوعية، وأخيرا علاقات التأثير والتأثر

كما يلاحظ كذلك أن معالجة كذلك أن معالجة زيمل للتغير فى شكل الجماعة الثنائية إلى جماعة ثلاثية من خلال الشخص الثالث أو الوسيط هو تغير ذات محتوى سيكولوجى. ولقد جاء هذا التحليل فى اطار نظريته الاساسية التى تبنا ها فى دراسة السلوك، وعلاقات التفاعل، والظواهر الاجتماعية. فلقد انصب اهتمام اتجاهه النظرى على ضرورة التمييز بين المضمون والشكل فى دراسة تلك الموضوعات، وانتهى إلى أن المحتوى فى الغالب يشمل نتاج سيكولوجى. وبالتالى حلل محتوى شكل الجماعة الثلاثية من خلال الدور السيكولوجى الذى يلعبه الطفل فى توثيق العلاقة بين الزوجين. فهو الذى يأتى بالوحدة العاطفية الناجمة، كما يحقق الاتفاق والانسجام فى الحياة الزوجية ويقلل من فر التنافر.

أما عن اسهام زيمل فى مجال منهج علم الاجتماع من خلال اتجاهه الوظيفى السيكولوجى، يمكن القول أنه فى اطار علم الاجتماع الشكلى واهتمامه من خلاله بدراسة أشكال التفاعل والمشاركات الاجتماعية. استخدم زيمل أساليب منهجية متعددة منها «التجريد، والتحليل ، والمقارنة» [1]. ولكن أهم هذه الأساليب المنهجية ويعتبر استخدامه لها اضافة إلى مناهج علم الاجتماع من خلال اتجاهه السيكولوجى، هو «تشجيعه استخدام النماذج الاجتماعية فى التحليل والتى تسهم فى دراسة البناء الاجتماعى. ومن ثم حلل نماذج : الغريب، الوسيط ، والرجل الفقير» [2].

---

(1) Kinloch, G.C., Op. Cit., P. 154.

(2) Ibid., P. 154.

الفصل التاسع
السلوكية الاجتماعية لدى كارل مانهايم

٢ -المحتوى الذاتي لتوافق السلوك أو العقل مع المعنى في اطار العمليات الاجتماعية.

٣-اثر الغرائز في تشكيل العادات كنمط سلوكي.

أ- العلاقة بين الغرائز وأثرها في تكوين العادة.

ب- ميكانيزم صنع العادة.

جـ- التطور في نماذج التقليد.

٤- التفسيرات السوسيوسيكولوجية للشخصية الانسانية .

أ- الكبت أو القمع.

ب- التسامي أو المثالية.

٥- خاتمة الفصل التاسع.

الفصل التاسع

السلوكية الاجتماعية لدى كارل مانهايم
KARL MANHAIM

يرى مانهايم أن علم الاجتماع يهدف إلى التنسيق بين دراسات مجالات العلوم الاجتماعية المختلفة. وأوضح نيقولاتيماشيف أن هذا الرأى يعود بنا إلى سبنسر، ولكن مانهايم يختلف عن سبنسر فى أن تعريفه لعلم الاجتماع يأتى فى اتجاه النظرية العامة فى المجتمع أو العملية الاجتماعية. اذ يتفق مانهايم فى تعريفه لعلم الاجتماع هذا مع تعريف سوروكن الذى يركز على دراسة عمليات الارتباط الاجتماعى اندماج الناس فى جماعات بنائية. ثم دراسة المعانى التى تربط الناس أو تفرق بينهم فى علاقاتهم بالأبنية الاجتماعية [1].

وسوف نحاول أن نلقى ضوءا على الاهتمامات السيكولوجية فى دراسات كارل مانهايم الاجتماعية من خلال معالجتنا لكل من : أولا - المحتوى السيكولوجى لتوافق السلوك أو الفعل فى اطار العمليات الاجتماعية مع المعنى. وثانيا - تؤثر الغرائز فى تشكيل العادات كنمط سلوكى من خلال : (أ) العلاقة

---

(١) نيقولاتيماشيف ، مرجع سابق ، ص ٤٦٧ .

عاش كارل مانهايم فى الفترة من (١٨٩١ - ١٩٤٧) عالما المانيا. وولد عن أب هنجارى وأم المانية، ثم درس فى بودابست، وفرايبورج، وباريس، وهايدلبرج. وكان متأثرا بشكل قوى بالماركسية، كما بالكانطية الحديثة. وتأثر أيضا أكثر من أى عالم آخر بماكس فيبر ويعتبر الوريث العقلى الأول لتقليد فيبر العقلى فى جمهورية فايمار. وقدم مانهايم فى مجال عمليات التطور واحد من الدراسات الهامة من سوسيولوجية المعرفة فى كتابه Ideology and Utobia (١٩٢٩). وبصدد الأحداث السياسية فى عام (١٩٣٣) أجبر مانهايم للذهاب إلى انجلترا وأصبح أستاذا فى جامعة برلين. واتجه باهتماماته إلى تشخيص وحل مشكلات التاريخ الاجتماعى الأوربى وأجمل آرائه فى كتابه الانسان والمجتمع (١٩٤٠).

Martindall, Don, The mature and types of Sociological theory, Op. Cit., P. 44.

بين الغرائز وأثرها فى تكوين العادة (ب) الميكا نيزم النفسى فى تشكيل العادة. (جـ) التطور فى نماذج التقليد. وثالثا - نستعرض التفسيرات السوسيوسيكولوجية للشخصية الانسانية من خلال مناقشتنا لبعض الأفكار الرئيسية فى التحليل بجانب الأنماط السلوكية السابقة. وهى : اللاشعورية أو الكبت أو القمع ، ثم التسامى أو المثالية.

٢- المحتوى الذاتى لتوافق السلوك أو الفعل فى اطار العمليات الاجتماعى مع المعنى :

أورد دون مارتندال أن الاسهامات الجوهرية التى قدمها مانهايم فى مجال نظرية الفعل الاجتماعى تعتبر الانجاز الأكثر أهمية فى دراساته الاجتماعية. والتى جاء اهتمامه بها من خلال واجهته النظرية التى تمثلت سيسيولوجية المعرفة [(١)].

وقد أوضح مانهايم فى كتابه علم الاجتماع Sestematic Sociology - والذى اهتم من خلاله بدراسة العمليات الاجتماعية - أن كل النظم العلمية التى تعالج الانسان وسلوكه لا تعتمد فى الغالب على الطبيعة التى تقف فى مقابل العلوم الاجتماعية. وأن تلك النظم تبنى الثقافات الخاصة بالمجتمعات. وهذا يعنى أن المعرفة التى تساعدنا على الفهم ال جيد لتلك العمليات الاجتماعية والثقافية تمثل نظم تضاف إلى مجال العلوم الاجتماعية. ومن ثم كانت العلوم الثقافية تنتمى إلى مجال العلوم الاجتماعية كما هى فى : الفلسفة، تاريخ الأدب، تاريخ الفن، تاريخ المعرفة، الاقتصاديات، العلوم السياسية، العلوم الأنثروبولوجية. وأصبح علم الاجتماع يمثل الاطار المركزى فى مجال العلوم الاجتماعية، ويحاول بوجه عام توحيد نتائج النظم الفرعية. وفى الجانب المقابل يمثل ايضا نظاما تحليليا لأشكال الحياة الاجتماعية كما هو فى : التفاعلات الاجتماعية، والأبعاد الاجتماعية، والانعزال والفردية، والتعاون، والمنافسة، والتكامل الاجتماعى. وانتهى مانهايم إلى أنه يوجد لدينا قسمين من علم الاجتماع هما : علم الاجتماع العام، وعلم الاجتماع النظامى [(٢)].

---

(1) Martindall. Din, Op. Cit., P. 44.

(2) Manhem, Karl, Systematic Sociology. (edited) by J.S. Eros & W.A.C.Stewart., London:Ratledge& Kegan Paul, 1957. PP.1-3.

وفي اطار علم الاجتماع النظامي يرى مانهايم أنه يجب على السوسيولوجي حتى يكون قادر على فحص الحقائق والعمليات الاجتماعية التي تمثل عناصر التحليل السوسيولوجي المتطلب أن يضع في اعتباره بعض العناصر السيكولوجية والتي تتمثل في : أولا - تحليل الحاجات السيكولوجية للانسان في علاقتها بفهم الحقائق الاجتماعية بجانب ما تبدو عليه في الواقع الاجتماعي. ويبدو ذلك في ادراك علاقة الغرائز بالعادات، التحول في العواطف، فهم الليبيدو، وطبيعة الاهتمامات والاتجاهات. ثانياً - أن دراسة العمليات الاجتماعية Social Processes في المجتمع مثل : التفاعلات Contacts، والانعزال Isolation، والتنفس Competition والتعاون Cooperation ، ومكونات الشخصية، تؤدى إلى الامتثال Conformity مع القواعد والمعايير الاجتماعية أو مع الفردية Individualism ثالثا - أن تلك الأدوار السيكولوجية والاجتماعية يجب أن ترتبط بطبيعة التحليل الاجتماعي المتكامل . بحيث تتمثل تلك الواجهات التحليلية الجمعية في : الحشد Crowd، والجماعة Group، والمجتمعات الاجتماعية Social Classes [١].

ولقد تأثر هذا الاتجاه النفسي في دراسة الفعل والعمليات الاجتماعية لدى مانهايم - في مجال سوسيولوجية المعرفة - بالموقف الفينومينولوجي الذى اتخذه ماكس شيلر في مجال علم اجتماع المعرفة. وأراد مانهايم في متابعته لهذا الاتجاه الفينومينولوجي ألا يأخذ باتجاه النزعة الظاهرية لدى كانط وهيجل، والتي لم تعترف بوجود شئ يكمن خلف الوجود الواقعي للظواهر والمواقف الانسانية. وبالتالى اتجه إلى ضرورة عدم فصل أى مرحلة من مراحل العملية الاجتماعية عن المعاني Meaning، التي تعد انعكاسا للعنصر الذاتي فيها [٢]. وقد أكد مانهايم في هذا الصدد - كما يقول تيماشيف - «أن المعاني الذاتية ذات الأهمية الاجتماعية

(1) Manheim , Karl, Systematic Sociology, Op. Cit., P. 4.

(2) Manheim, Kart, Essays on Sociology of knowldge. London. Rotedge and kegan paul, 1952. P. 7.

تلعب دورا هاما فى تحليل العمليات الاجتماعية المتمثلة فى المواقف التعاونية. وأن كانت هناك معان متضاربة قد تنشأ فى اطار تغيير الناس لأدوارهم مما يؤدى إلى الصراع بين المثل الاجتماعية المختلفة. ومن ثم يجب الاهتمام بالمعنى الذاتى السيكولوجى فى تصور البناء الاجتماعى. والذى يمثل تتابع اختبارات محددة ويحظى فيه الواقع الشخصى بدور هام»[١].

ولفهم هذا الاتجاه النفسى لدى مانهايم فى اطار الواجهة الفينومينولوجية، والتى تولى اهتمام إلى المعانى الذاتية التى تكمن خلف السلوك الانسانى. وسواء أكان هذا السلوك فى واجهته الفردية أو البنائية ومن خلال العمليات الاجتماعية التى تمثل عناصر السلوك الا نسانى، أوضح مانهايم أننا كى نحصل على ورة سليمة لتلك المتطلبات السيكولوجية يجب أن نعمل من خلال المعانى الذاتية. والتى ترتبط ببعض الأفكار الرئيسية مثل : السلوك Behaviour والموقف Situatio والتوافق Adjustment ، والعلاقة بين العادات ومشكلة الغرائز، ثم التفسيرات السوسيوسيكولوجية للشخصية الانسانية[٢].

وبصدد توافق السيكولوجى للفعل أو السلوك فى اطار العمليات الاجتماعية مع المعنى ، ضرب مانهايم مثلا مؤداه : أنك إذا دخلت فى علاقة جديدة وكان أعضاء الجماعة أما أعلى أو أدنى فى المستوى الاجتماعى فستكون أكثر ميلا للنفور وغير متأكد من تصرفك. ويحد هذا عندما تذهب إلى أحد الأقطار الأجنبية حيث تكون عاداتك غير مألوفة، ويكون النفور دلالة على الحاجة إلى التوافق مع الموقف الجديد.

وحتى تتحاشى هذا الارتباك فاما أن تتجه إلى نوع من السلوك يناسب الموقف الجديد، وأما تسأل أى شخص عن كيفية التصرف[٣]. وقد أوضح مانهايم فى هذا

---

(١) نيقولاتيماشيف ، مرجع سابق ، ص ٤٦٨.

(2) Maheim , Kart, Systemtic Sociology, Op. Cit., P. 7.

(3) Ibid., P. 8.

الصدد «أن نمط السلوك السائد في الموقف السابق هو الذى يحدد العلاقة بين الدوافع، والاستجابات التى تؤدى بالكائن الى التصرف بطريقة ذاتية، حينما تتوافر لديه دوافعه الشخصية. وأن نمط السلوك السائد هذا أما أن يكون موروث أو مكتسب – أى متعود عليه – ويحتوى على أغلب العمليات الأولية التى تشكل جوهر التوافق في سلوكنا» (1).

وتسأل مانهايم في هذا الصدد عن الاختلاف بين التوافق الذى يبديه سلوك الحيوان عن توافقنا في المجتمع ؟ .. وأجاب بأن الاختلاف الرئيسى يكمن فى أن الحيوانات تكيف نفسها مع المواقف وفقا لأنماط السلوك المتوارث الذى يسمى بالغرائز أما الانسان فبالاضافة إلى غرائز الثابته فهو يكون في حاجة إلى أنماط جديدة في حياته . ومن خلال تلك الأنماط الجديدة يمكنه التوافق مع البيئة وأيضا مع الانماط الأخرى السائدة في المجالات النفسية الاجتماعية النظامية. وهذا هو المجال الذى يميز حياتنا الاجتماعية والثقافية ولا يمكن وصفه بالغريزة البيولوجية. وبالتالى نظر مانهايم الى الثقافة على أنها تكون مكتسبة في حياة الأفراد – عكس ما تراه النظريات السلالية من أنها موروثة – وذلك لأنها تعتمد على وسائل اللغة والتقليد من جيل إلى آخر . كما أن الثقافة ليس لها نظم ولكن لها أشكال من التوافق تتقرر في أطار العرف وتتخذ واقعها من خلال نسق الأشكال المادية (2).

وهكذا يتضح لنا إذا ما نظ‌ ‌إلى الاهتمام الذى أبداه كارل مانهايم إلى دراسة مدى التوافق الذى يبديه السلوك أو الفعل – في اطار العمليات الاجتماعية– مع المعانى الذاتية التى توجد لدى الأفراد في المواقف الاجتماعية. نجد أن تلك المعانى الذاتية هى جوهر الاختلاف بين التوافق الانسانى الذى يبديه الأفراد مع البيئة وفى اطار التفاعل مع الآخرين، وبين التوافق الغريزى الذى تبديه

(1) Maheim , Kart, Systemtic Sociology, Op. Cit., P. 8.
(2) Ibid., P. 10.

الحيوانات في سلوكها مع البيئة وينبع من ورائه سلوكها. كما يتضح أيضا أنه اهتم بدراسة المعانى الذاتية ومدى الدور الذى تلعبه فى تشكيل نمط السلوك الانسانى. بجانب التوافق أيضا الذى يبديه الأفراد فى اطار تحديد تلك المعانى للعلاقة بين الدوافع التى توجد لديهم وبين الاستجابات التى يبديها هؤلاء الأفراد من خلال المواقف أو الجماعات التى ينتمون إليها.

٣- أثر الغرائز فى تشكيل العادات كنمط سلوكى

وبعد أن أنتهى مانهايم إلى أننا نكون غير قادرين على فهم الحقائق الاجتماعية التى تمثل عناصر التحليل السوسيولوجى المتطلب أو الحاجات السيكولوجية للانسان. وأن حصولنا على صورة سليمة لتلك المتطلبات يملى علينا أن نحلل علاقة الغرائز بالعادات ومدى تأثيرها فى احداث التوافق فى السلوك الانسانى. نرى من الملائم تناول هذه العلاقة فى هذا الصدد من خلال ثلاثة عناصر : العلاقة بين العادة والغرائز، ثم الحديث عن ميكانيزم صنع العادة، وأخيرا معالجة تطور نماذج التقليد. وذلك بهدف اظهار الدور الذى تلعبه العادات فى توافق السلوك الانسانى:

(أ) العلاقة بين الغرائز وأثرها فى تكوين العادة :

عرف مانهايم العادات «بأنها نماذج السلوك التى لا تعتبر نتاجا للوراثة ولكنها تنتج من الخبرة»[١]. وأوضح أن العادات التى تشكل فى الواقع أنماط سلوكية مكتسبة يكون مغلوط فى فهمها على أنها غرائز Instincts. والسبب يرجع إلى أن العادات تصبح بالممارسة ولطول الوقت أتوماتيكية. كما يكون هناك بالفعل العديد من العادا الرئيسية المكتسبة في مرحلة الطفولة المبكرة، ولذلك نجد بعض السيكولوجيون والسوسيولوجيون يتحدثون عن غريزة بقاء الذات، أو غريزة التقليد. وذلك بالرغم من أن هناك العديد من العادات التى يمكن وصفها بأنها تكون

(1) Manheim , Kart, Systematic Sociology , Op. Cit., P. 10.

اتجاها نحو بقاء الذات أو نحو التقليد. وتلك الاتجاهات ندركها كعادات تؤدى بنا إلى التوافق [١].

ويعتقد مانهايم فى هذا الصدد أن المواقف المتغيرة فى عالم اليوم تتطلب توافقات جديدة وأنماط سلوكية جديدة . وأننا يمكن أن نميز علاقة العادات بمشكلة الغرائز فى ضوء الثلاث مراحل الرئيسية فى تطور علم النفس لحديث على النحو التالى : المرحلة الأولى – وتسمى بمرحلة تثقيف العقل أو العقلانية Intellecivalism . والتى كتب جيمس خلالها عام (١٨٩٠) بأنه لم يكن هناك شئ أكثر عمومية بين السيكولوجيون أكثر من تأكيدهم على أن الحياة الانسانية تكون محكومة Governed بواسطة العقل Reason فى حين تكون الحيوانات الدنيا مضبوطة Controlled بواسطة الغرائز [٢].

المرحلة الثانية – بدأت بعد عشرين عاما حينما تعرف السيكولوجيون على العديد من الغرائز فى الانسان. ولكن المشكلة كانت تتمثل فيما تكون عليه تلك الدوافع والبواعث. ثم حلت المشكلة بواسطة السيكولوجيون الاجتماعيون أمثال ديوى ، وزنانيكى ، ووليامز ، وديوى ، والذين أوضحوا أن الغرائز لا تضع القوانين ولا تشكل النظم، وأن الثقافة لا توجد لا فى الدم ولا فى جرثومة البلازما، كما أن السلالة لا تعنى شيئا بالنسبة للخبرة الاجتماعية وأنشطة الجماعة. وأوضح هؤلاء العلماء وفقا لذلك أن هناك اتجاهات أساسية فى حياة الناس ، كما هو فى حياة الفلاحين الأمريكيين والتى تكون ناتجة من التجارب والخبرة الاجتماعية لجماعات الفلاحين [٣].

وفى المرحلة الثالثة – يرى مانهايم أننا لكى نتخلص من اعتبار أن الحياة الانسانية تكون محكومة بالسبب أو مضبوطة بالغريزة يجب علينا الاهتمام

(1) Maheim, Kart, Systematic Socioloy , Op. Cit., PP. 10-11.
(2) Ibid., P. 11.
(3) Ibid., P. 11 -12.

بالاتجاهات Tendencies. والتى تميل إلى الثبات فى اطار واجباتها المتخصصة من خلال المواقف المختلفة. وأن هذا يمثل التصور الديناميكى للغريزة، ولا يستبعد فى اطاره امكانية تأثير الواجهات اللاشعورية فى الخبرة الاجتماعية [1].

ونخلص مما سبق الى أن مانهايم أراد أن يوضح دور الغرائز - باعتبارها قوى ثابته موروثة فى حياة الأفراد - فى تشكيل السلوك الانسانى والتأثير عليه. ولكن مع وجوب الا نمنحها الدور الرئيسى الذى يكمن فى جوانب الخبرات والتجارب الاجتماعية. وذلك باعتبار أن الفرد ينمو ويتطور ويكتسب خبرات جديدة تأخذ طابع التواتر الى أن تصبح عادة متعود عليها. بل أن المواقف الجديدة التى يدخل فيها الفرد تفرض عليه أنماط سلوكية جديدة ليبدى التوافق مع الآخرين. ولذلك يجب أن ننظر إلى علاقة الغرائز بالعادات التى يأخذ بها الفرد فى انماطه السلوكية على تلك الغرائز توجد لدى الفرد اتجاهات نوعية . والتى تتنوع الخبرات الاجتماعية والموقف الاجتماعية والواجبات المفروضة عليه ليبدى التوافق مع الآخرين.

(ب) ميكانيزم صنع العادة

وأوضح مانهايم أن مدخل اهتمامنا بالمشكلة المتعلقة بمكيانيزم صنع العادة يأتى فى اطار أن أنماط السلوك التى تقودنا إلى التوافق الجيد تصبح أكثر أهمية للانسانية لأنها توفر الوقت والجهد. وبالتالى يجب أن تكون عاداتنا متوافقة مع الحالات الجديدة والمواقف المتغيرة بسرعة فى المجتمع الحديث. ويصبح الاهتمام بميكانيزم صنع الأنماط السلوكية أكثر أهمية فى خلق أشكال أو أنماط سلوكية جديدة تتلائم مع توقعاتنا. وأوضح زيمل أن بداية تشكيل العادة أو نمط السلوك يترتبط بالاستجابات الخاصة بالدوافع، وذلك باعتبار أن الدوافع الأولية تستوجب استجابات أتوماتيكية فى السلوك مباشرة. ويمثل ذلك حالة الطفل الجائع الذى

(1) Manheim . Op. Cit., 12.

يقبل على الرضاعة كنمط سلوكى غريزيا، وتأتى الاستجابة متوافقة بيولوجيا مع الدافع [1].

وأوضح مانهايم فى هذا الصدد أن الانماط السلوكية أو العادة إذا كانت ترتبط فى البداية بالاستجابات الخاصة بالدوافع. إلا أن للمجتمع الحديث أنماطه السلوكية والتى لا تتكون فقط من خلال الاستجابة للدافع الغريزى. وأن هناك ميكانيزمات أولية تمكن من تشكيل استجابات لا تعتمد على دوافع بيولوجية خالصة. بل تكون هذه الاستجابات مشروطة بانعكاسات مكتسبة. فاذا كان بافلوف Pavlov رأى أن الكلاب الجائعة تستجيب أساسا لتقديم الوجبة الخام التى تمثل الدافع البيولوجى الملائم لحفز الاستجابات الغريزية ب تدفق اللعاب. إلا أنه رأى أيضا أن دق الجرس وربطه بتقديم الوجبة، ثم دق الجرس وحده مع عدم تقديم الوجبة يؤدى نفس النتيجة بسيلان لعاب الكلاب الجائعة، وهذا يدل على أن العمليات الأولية التى تشكل أنماط السلوك الاجتماعية ليست بصورة مطلقة عمليات استجابية للدوافع الغريزية . وعلى سبيل المثال: هناك الاستجابات المشروطة عاطفيا مثل : تعلم حب الأطعمة التى يحبها الوالدين ،. والآراء السياسية التى يوافقون عليها، وتعلم الديانة والتى لا تكون مرتبطة بالدوافع الغريزية البيولوجية[2].

ويتضح لنا مما سبق أن الاتجاه السيكولوجى لدى مانهايم بصدد ميكانيزم صنع العادة قد تمثل فى نظرته إلى أنماط السلوك الانسانى- والتى يبدى من خلالها الفرد توافقه فى اطار الحياة الاجتماعية - على أنها لا ترجع فقط إلى الدوافع الغريزية. ولا تمثل استجابات بيولوجية ثابته وجامدة لتلك الدوافع . لأن الحياة الاجتماعية لا تتكون فقط فى اطار هذا النوع من الاستجابات . بل أن هناك استجابات شرطية منعكسة أو مكتسبة تأتى من خلال المشاركات الاجتماعية ، وتقوم بدورها فى تشكيل أنماط السلوك الانسانى المتوافق.

---

(1) Manheim, Kart, Systematic Sociology. Op. Cit., P. 12.

(2) Manheim , Kart, Op. Cit., PP. 13 - 14.

(جـ) التطور فى نماذج التقليد

وبصدد تطور الأنماط السلوكية المكتسبة التى تقود الطفل إلى التوافق فى حياته الاجتماعية، أوضح مانهايم أنها تتطور من الأنماط السلوكية الأكثر تحديد وثباتا إلى الأنماط الأكثر تجريدا وانفتاحا . ومن الشخصيات القريبة إلى الشخصيات البعيدة فى اطار عمليات التقليد . بمعنى أن الطفل يبدأ بتقليد والدته ومربيته، ثم والده واخوته ، ثم رفقائه فى اللعب والمدرسة حتى يصل إلى التقليد الأنماط السلوكية لمواطنيه كرجل البريد مثلا وأعضاء جماعته . وضرب مانهايم مثالا لتقليد الأنماط السلوكية الأكثر تجريدا ومثالة : بتقليد الأطفال للشخصيات الموصوفة فى القصص التى تقدم لهم كموجودات قيمية ، وحالها من عمليات تأثير وردود أفعال مرتبطة بها . وأوضح أن هناك خطر فى تقليد تلك الموديلات يكمن فى أن الاحساس بالواقع يكون غير موجود. ومن هنا يأتى عدم توافق الرجل الحديث بوجه عام مع ما يقدم من معلومات تصل اليه عن طريق الجرائد، والكتب والسينما. والتى قد يكون ما تقدمه من أفكار وأنماط سلوكية غير متفق مع سمات الشخصية وقدراتها ونشاطها العقلى فى الواقع. كما قد يكون متعارض كذلك مع المستوى البسيط من التجارب والخبرات التى يأخذ بها الطفل أثناء تقليده لمجالات محددة وموجودات قريبة منه [1]. وقد انتهى مانهايم فى هذا الصدد إلى «أن مكمن الخطر بالنسبة للعديد من الأنماط العقلية المقلدة يكمن فى أن تفكير الاشخاص وتصرفاتهم ربما يكون مختلف تماما مع الواقع دون ادراكهم شعوريا بهذا الاختلاف [2].

وهكذا نخلص من معالجة مانهايم للعلاقة بين العادات ومشكلة الغرائز إلى أن الأنماط السلوكية فى حياة الأفراد لا تعتمد فى تشكيلها على الاستجابات للدوافع

(1) Manheim, Kart, Systematic Sociology. Op. Cit., PP. 14 - 15.
(2) Ibid.., P. 15.

الغريزية البسيطة فقط- تلك التى لا يستبعد دورها فى تشكيل تلك الأنماط السلوكية - وذلك لأن هناك أيضا الميكانيزم الاجتماعى النفسى الآخر، والذى يلعب دوره فى تشكيل تلك الأنماط السلوكية بحيث نجد هذا النموذج من الأنماط السلوكية يبدى التوافق المستمر مع حياة الأفراد فى نطاق المشاركة، ويعتمد على شكل التقليد الذى يبدأ من الأشكال الأكثر قربا وبساطة إلى الأشكال الأكثر اتساعا ومثالية .

٤- التفسيرات السوسيوسيكولوجية للشخصية الانسانية :

وبصدد معالجة التفسيرات السوسيوسيكولوجية للشخصية الانسانية يرى مانهايم أننا حينما نهتم بردود الأفعال المشروطة Conditioned REflexes فاننا نثير السؤال الخاص بالعلاقة بين مصادر ردود الأفعال تلك والمجتمع ؟ ثم يجيب «بان تجارب الانسان فى المجتمع هى تضافر لكل من التركيب الداخلى والضغوط الخارجية . كما أن ردود فعله عليها تشتمل على كلا جانبيها الفردى والمغزى الاجتماعى»[1] .

وأوضح مانهايم فى هذا الصدد أننا ما وصفنا المجتمع دون تحليل سابق لمحتويات السيكولوجية Psychic Equipment والقوى العقلية للانسان، نكون كمن يصف الموتور الكهربائى دون أن تكون له دراسة ومعرفة بطبيعة عمل الطاقة الكهربية. وبالمثل اذا منحنا الأهمية لطبيعة القوى النفسية للفرد نكون كمن يشرح طبيعة القوى الكهربائية دون أن يعطى الوصف الدقيق للآلة التى يقودها. وأراد مانهايم أن يضمن تحليلاته أغلب الأفكار الهامة لدى المدخل السلوكى فى علم النفس. وكذلك رغبته للاهتمام ببعض المبادئ الهامة فى علم النفس الفردى. ومن ثم اختار بعض الآراء التى تعد ضرورية من كلا الاتجاهين للتفسير الكافى والعمل فى المجتمع. وأكد أنه ليس سلوكيا ولا فرويديا ولا ماركسيا، وهدفه

---

(1) Manheim , Kart, Systematic Sociology , Op. Cit., PP. 15 - 16.

الرئيسى هو تقديم نسق كلى يعتمد على نتائج الثلاث مدارس الجزئية بغرض الوصول الى صورة أكثر توافقا للعمل فى المجتمع[١].

وقد أشار مانهايم بصدد تفسيراته للمدخل الفرويدى والمدخل السلوكى للشخصية الانسانية، أن هناك ثمة اختلاف بينهما. «وذلك على اعتبار أن المدخل السلوكى يكون اهتمامه خارجيا فى كليته، ويهتم بالسلوك الجهرىovert. أما المدخل الفرويدى فإنه يكون ميتافيزيقى فى اهتمامه بالملاحظة الداخلية أو الفهم التعاطفى، للحقائق الشعورية التى تعد فى المستوى الأدنى بالنسبة لحقائق السلوك العلنى»[٢].

ومما سبق يرى مانهام أن التفسير السوسيوسيكولوجى للشخصية الانسانية لا يتم فقط فى حدود المدخل السلوكى بما يحمله من أنماط سلوكية وعادات وتوافقات وتقليدات أو من استجابات متجددة للعمليات الشرطية المكتسبة.. بل يجب أن نأخذ إلى جانب المدخل السلوكى بعض الأفكار التحليلية النفسية لدى السيكولوجيين مثل : اللاشعورية أو القمع، والتسامى أو التعالى. ولكن دون العودة فقط بأى منهما[٣]. وهو ما سوف نتناوله لدى مانهايم فيما يلى :

أ- الكبت Repression

فقد فسر مانهايم توافق الانسان مع تصديق له فى الحياة اليومية فى اطار التوافق بين القوى التى تسمى دوافع - كما هى فى الحاجات الأولية العضوية مثل الانجاب وبقاء النوع - وبين الموقف الاجتماعى الذى تنجز من خلاله تلك الدوافع والرغبات. وأوضح أن كل توافق بهذا المعنى يكون مرتبط ببعض الجوانب السلبية المتمثلة فى كبت بعض من تلك الطاقات الغريزية السيكولوجية اللاشعورية.

---

(1) Manheim, Kart, Systematic Sociology , P. 16.

(٢) ويقصد مانهايم بالحدس أو الفهم التعاطفى Sympathetic Inuition الملاحظة الداخلية ذو البداهة الحدسية العاطفية فى الادراك.

(3) Ibid., PP. 16 - 17.

ومن هنا جاء فرويد بما أسماه بالرقيب فى تكوين الشخصية، وأصبح الكبت أو القمع واحد من تلك الدفاعات التكنيكية التى يقوم بها الرقيب لحماية الحياة الشعورية Conscious Life من الرغبات والدوافع اللاشعورية. والتى تؤدى إلى الصراعات المؤلمة، وفى نفس الوقت لا يمكن أن تصل إلى أهدافها فى واقع الحياة الاجتماعية[1].

وفى ضوء تأكيدات المدرسة الفرويدية على ضرورة وأهمية العمليات المكبوتة، يرى مانهايم ضرورة فهمهما للعمل على تفادى آثارها وضررها على السلوك الفرد فى الحياة الاجتماعية. ولذلك يجب التعرف على نماذج التعبيرات النمطية السلوكية التى تتخذها الدوافع فى الوقع. وفرق بين نوعين من الكبت الأول يكون كبت أو قمع كلى للدوافع وهذا النوع ليس له أية خطورة فى سلوك الشخص. أما الكبت الجزئى للدافع والذى يحاول أن يجد له تبيرا غير مباشر فى سلوكنا، وبصورة غير متوافقة مع الواقع فهو مكمن الخطورة[2].

وحاول مانهايم تحديد بعض التعبيرات النمطية السلوكية للرغبات والدوافع غير المكبوته كلية وخروجها فى هيئة أنماط سلوكية غير متوافقة مع الواقع على النحو التالى : أولا – نمط سلوكى يطلق عليه بالعصاب Neurvosis، ويسود بين الجنود فى وقت الحرب من خلال الصراع الدائم أما من الخوف أو القلق أو الموت، أو من التشوه المخيف أثناء المعركة. وقد يأتى السلوك العصابى كذلك من خوف الجنود أن يلصق بهم الآخرون تهمة الجبن إذا لم يقدموا على المعركة بشجاعة. وتتطور تلك الصراعات المؤلمة بطريقة لا شعورية، وتتخذ أعراض مرضية عصابية: كالعمى Blinclness أو الشلل Paralysis . وتعتبر تلك الأمراض جوهرية وذات مغزى سيكولوجى خالص ويمكن معالجتها بالتحليلات السيكولوجية والتنويم المغناطيسى»[1]. ثانيا : «هناك أنماط سلوكية للكبت تتمثل

(1) Manheim, Kart, Systematic Sociology , Op. Cit., PP. 17 - 18.
(2) Ibid .; PP. 18 - 19.

فى المكابرة أو تصنع الوقار. والذى لا يمثل شيئا أكثر من كونه اهتمام بالمواد الجنسية، ويتخذ صورة العداء للمشكلات الجنسية لدى الآخرين لابعاد الاهتمام بالرغبات الجنسية الخفية المكبوته. ثالثا - النمط السلوكى الاسقاطى للكبت Projection . ويشتمل على المكبوتات غير المتلائمة فى تحقيقها مع الواقع الاجتماعى والأخلاقى. ونجد من خلاله الدوافع المكبوته لدينا - باعتبارها نتائج اسقاطية لحبنا لشخص ما. وقد يتخذ الاسقاط أيضا هيئة تعبيرات نمطية خاصة بالكراهية[٢] .

ب- التسامى أو التعالى كعمليات سيكولوجية ذات مغزى اجتماعى Sublimation

وبصدد رؤية مانهايم أن فهم المحتويات السوسيوسيكولوجية للشخصية الانسانية لا تتم فقط من خلال اهتمامات المدخل السلوكى الاجتماعى . بل يجب أن نتناولها كذلك من خلال بعض الأفكار السيكولوجية مثل : الكبت اللاشعورى، والتسامى أو المثالية: وبعد أن تناولنا المحتويات السيكولوجية للقمع لدى مانهايم ومدى تأثيرها فى تكوين الشخصية وعلاقتها بالواقع الاجتماعى . نتناول فى هذا الصدد التسامى أو المثالية كعمليات نفسية ذات مغزى اجتماعى لدى مانهايم فى فهم الشخصية الانسانية .

ويرى مانهايم فى هذا الصدد «أن هناك تشابها كبيرا بين أحلام اليقظة والعمليات المتعلقة بالتسامى . وأن الاختلاف الرئيسى فى الأخير يكمن فى أن القوى العاطفية الخاصة بالليبدو لاتؤدى الى خلق عالم أو واقع جديد. ولكنها تؤدى إلى اضفاء الطابع النفسى الروحى على عناصر الكائنات المحيطة . وكمثال :

---

(1) Manheim , Karl, Systematic Sociology . " Neurosis, Reaction formations and Projection", Op. Cit., P. 19.

(2) Ibid, PP. 19 -20.

فالقوى العاطفية الخاصة بالاعجاب يمكن أن تستخدم بعد تحويلها عن مصادرها الجنسية فى اضفاء الطابع الروحى المثالى على الاشخاص والموضوعات المختلفة التى تحيط بنا، ويحدث هذا ايضا بالنسبة لحب شخصية الملك، والملكة ، والسياسى، ورجل الدين، أو شخصية القائد. بمعنى أن التسامى أو المثالية يمثل العمليات التى تهتم باعادة توجيه الدافع فى اتجاه التسامى بالقوى العاطفية الخاصة بالليبدو. وعلى وجه التحديد فيما يتعلق بحب الذات المبكر، والانتقال بها من مجال الذات Ego إلى نطاق الذات العليا Ego Ideal [١].

ويتضح لنا مما سبق إلى أن اتجاه مانهايم فى دراسة الشخصية الانسانية يمثل اتجاه علماء الاجتماع النفسى الألمان فى دراسة الشخصية الانسانية. فى ضرورة دراستها دون معزل عن الحياة الاجتماعية التى نعيش فيها. وضرورة تفاعل تلك الحياة الاجتماعية مع المحتويات السيكولوجية العاطفية المتمثلة فى نطاق التحليل النفسى مثل : الكبت، والتسامى أو المثالية. ولكن دون عودة إلى السيكولوجية الفردية كما هى عند فرويد. «ويعكس ذلك ثنائية توجد فى تفكير مانهايم فيما يتعلق بدراساته الاجتماعية، اذ يستكمل التحليل العلى بالتحليل الوظيفى. ويأتى ذلك فى ضوء اعتقاده بأن يفسر عليا يجب أن يفهم وظيفته فى الحفاظ على توازن النسق»[٢].

وننتهى مما سبق إلى أن مانهايم نظر إلى الشخصية الانسانية على أنها وحدة وظيفية سيكولوجية تشتمل على كل من المحتويات النفسية (الشعورية واللاشعورية) ، وأيضاً الخبرات الاجتماعية التى تكتسبها الشخصية من البيئة الاجتماعية. وقد دعم مانهايم تلك الوحدة الوظيفية السيكولوجية للشخصية الانسانية على مستوى البناء أو النسق بقوله «أن المواقف الاجتماعية المتجددة إذا

(1) Manheim, Systematic Sociology " Sublimation and idealism and their social significance", op. cit., pp. 24 - 25.

(٢) نيقولا تيماشيف ، مرجع سابق ، ص ٤٦٨.

كانت لا تقدم في أوقات ما دوافعا ملائمة لتوافق ئالكائنات الانسانية مع تلك المواقف، إلا أن ذلك لا يمنع من أن هناك اتجاهات تكون متوافقة على مستوى النسق الاجتماعي. وتأتي في اطار التغير المستمر للتفكير والارادة (١).

(1) Manheim, Karl, Man and Society, London : Rotledge & Keganpaul, T. (by) Edward, Shils., 1940. P. 195.

٥- خاتمة الفصل التاسع :

بعد أن عرضنا للموضوعات التي تناولها مانهايم بالدراسة من خلال اتجاهه السلوكي في دراسته الاجتماعية. نحاول الان الوقوف على مدى تقديمه لمنظور جديد في علم الاجتماع ؟ ومدى اعتماده على المدخل السيكولوجي في اقامة المنظور الاجتماعي؟ وايضا مدى اسهام هذا المنظور في دراسة ومعالجة موضوعات ومشاكل علم الاجتماع؟..

فلقد كان لمانهايم اهتمامات سوسيولوجية متعددة. ولكن اسهاماته في مجال علم الاجتماع النفسي جاءت في اطار السلوكية الاجتماعية، ومن خلال دراسته لعلم الاجتماع النظامي على وجه التحديد. اذ حاول مانهايم تقديم اطار نظرى يهدف من خلاله دراسة الحقائق الاجتماعية، والفعل الاجتماعي والعمليات الاجتماعية المختلفة، وكذلك تحليل الشخصية وتفسير السلوك الانساني بوجه عام. وربط مانهايم تحقيق الفائدة من هذا الاطار النظرى بضرورة الاعتماد على عدد من المفاهيم والتصورات السيكولوجية : مثل : الغرائز، والعادات ، والاتجاهات، والليبدو، والعواطف. ثم اخيرا لرتقى بفهمه لتلك الحقائق والعمليات والسلوك الانساني في ضوء التصورات السيلوكية في ضوء المعنى الذاتي - على المستوى البنائي لتلك العمليات السابقة يجب أن يتم داخل نطاق الجماعات والحشود والطبقات الاجتماعية .

وإذا ما أنتقلنا إلى مناقشة والتعقيب على الاسهامات التي قدمها (كارل مانهايم) في جمال قضايا علم الاجتماع المعاصر، من خلال الموضوعات التي أهتم بدراساتها ضمن اهتماماته السيكولوجية بدراسات الفعل في اطار العمليات الاجتماعية. حيث يقع هذا الاهتمام ويتضح من خلال معالجته لنظرية الفعل الاجتماعي وفي اطار علم الاجتماع/التحليلي لديه الذى يدخل في نطاق سسيولوجية المعرفة تلك التي يفسر من خلالها مختلفة النظريات والأنكار بالرجوع إلى المواقف الكلية التي صدرت عنها وحاول أن يفهم نشأة الفكر ومدى ارتباطه

بالتجمعات الكلية، ورأى أنه يجب أن ندرس الفكر في علاقته بالوجود الاجتماعي، حتى تتضح لنا الإرتباطات الداخلية التي تربط بين المعرفة وبين الثقافة والتاريخ [١].

ولقد تمثل هذا الاتجاه النفسي في دراسة الفعل داخل اطار العمليات الاجتماعية لدى (مانهايم) وعكس بصورة واضحة تأثره «بالموقف الفينومينولوجي»، حيث ذهب في هذا الصدد إلى أنه لا يمكن فصل أي مرحلة من مراحل العمليات الاجتماعية عن المعاني التي تعتبر انعكاسا للعنصر الذاتي، وذلك على عكس ما تؤكد عليه «النزعة الظاهرية» في الموقف الفينومينولوجي والتي ترى إليه الادعاء بوجود أي معنى يكمن خلف الوجود الواقعي للظواهر والمواقف الانسانية ليس الابدعه لا أساس لها[٢]. ومن ثم رأى أنه يجب على السوسيولوجي لكي يكون قادر على فهم الحقائق الاجتماعية والتي تمثل عناصر التحليل السوسيولوجي المطلوب أن يضع في اعتباره ثلاثة أمور : الأول – هو تحليل المتطلبات السيكولوجية للانسان من خلال إدراك علاقة الغرائز بالعادات، والتحول من العواطف، وطبيعة الاهتمامات، الاتجاهات، بحيث يمكننا أن ندرس الحقائق الاجتماعية ليس على ما تبدو عليه في الواقع ولكن في اطار المعاني الذاتية لدى الفاعلين والتي تكمن خلف الظواهر. ثانيا – أن الدراسة في مجتمع كما رآها (مانهايم) يجب أن تعتبر أن أغلب عناصر العمليات الاجتماعية : مثل التفاعلات، الانعزالات، والزعامات الدينية، والتنافس، والتعاون، وتكوينات الشخصية، كل تلك العمليات تؤدى بنا إلى فهم أكثر الفردية وإلى التوافق. وثالثا – أن كل تلك الأدوار السيكولوجية الاجتماعية، يجب أن تكون مرتبطة بطبيعة الفهم والتحليل الاجتماعي المتكامل والمحصص لتلك الواجهات الحمصنية مثل : «الحشد» «الجماعة»، الطبقات الاجتماعية[٣].

---

(1)Manheim.,Ideology and Utopia; Kegan Paul,London, 1940,P.12.

(2) Manheim ., Essays on Sociology of Knowledge; Op. Cit., P. 7.

(3) Manheim., Sestematic Sociology; Op. Cit., P. 4.

وترتيباً على ما سبق يتضح لنا أن (مانهايم) فى دراسته لحقائق الحياة الاجتماعية من كان يركز على فهم وتحليل العمليات السيكولوجية التى تكمن خلف الأفعال الانسانية مثل علاقة الغرائز بالعادات، وطبيعة الاهتمامات والاتجاهات، والتحول فى العواطف وذلك بغرض الوصول إلى فهم أعمق لسلوك الأفراد فى ضوء المعانى الذاتية التى تكمن خلفه، وأنه يمكن فهم هذا السلوك فى محتوياته السيكولوجية تلك فى اطار العمليات التفاعلية وكما هو فى التعاون، التنافس، الدعامات الدينية، وأخيراً يرى ضرورة فهم وتحليل تلك العمليات الاجتماعية السيكولوجية فى اطار التحليل الاجتماعى للواجهات الجمعية مثل الجماعات، والحشود، والطبقات الاجتماعية. وهذا ما يعكس لنا أيضا تكمن خلفها، وهذا الموقف الفينومينولوجى الذى أتخذه (مانهايم) قد جعله لا يجاز إلى احدى الاتجاهين النفسين فى دراسة الحياة الاجتماعية وهى الاتجاه التقليدى والاتجاه السلوكى، بمعنى أنه قد ركز على دراسة المتطلبات السيكولوجية للشخصية الانسانية وضرورة فهما فى اطار العمليات الاجتماعية التى تحدث وتم داخل نطاق الجماعات والحشود الاجتماعية وتبدو واضحة فى تأثيرها على سلوك الافراد داخل نطاق الجماعات، وهذا أيضا ما يعكس لنا اتجاهه الوظيفى فى دراسة الحياة الاجتماعية ممثلا فى بناء الجماعة أو النسق الكلى لها.

وما يدعم تلك الواجهة السيكولوجية الوظيفية لدى (كارل مانهايم). ما ذهب إليه (تيقولاتيماشيف) من أن هناك دراسة ثنائية للظواهر الاجتماعية لدى (مانهايم) شأنه شأن (ماكس فيبر) فإذا كان فيبر يستكمل التحليل العلى بالدراسة التفسيرية على المستوى الدافعى، فإننا نجد مانهايم يستكمل التحليل العلى بالتحليل الوظيفى، بمعنى أن ما يفسر علياً يجب أن يفهم فى ضوء المعنى الذى يقوم به ويؤديه كوظيفة فى الحفاظ على توازن النسق الكلى للجماعة ككل[1]. وإذا كان يتماشيف فى هذا الصدد يرى أن (مانهايم) كان يقصد المعنى

(١) نيقولاتيماشيف، نظرية علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٤٦٨.

الموضوعي الذي يوجد لدى الجماعة ككل، وهو ما يؤكد الاتجاه أو النزعة الوظيفية السيكولوجية السلوكية لديه، واكده أيضا (دون مارتندال)Don Murtindal في مقالته الانتقادية عن (مانهايم) حين قال : «أن نبذه لكل ما هو عضوي، والتجديدات الشكلية للواقع الاجتماعي، كان سببياً في وصفه في قائمة السلوكية الاجتماعية»[1] إلا أنه يمكن القول في هذا الصدد أن (مانهايم) كان لجميع بين الاتجاهين: السلوكي، والنفسي التحليلي في دراسته للعمليات النفسية للشخصية الانسانية وضرورة فهمها في اطار العمليات الاجتماعية التي تحدث داخل نطاق الجماعات الانسانية والحشود الاجتماعية، وما يؤدي هذا الرأي ما قاله مارتندال أيضا:

من «أنه بالرغم من ذلك قد عمل مع فيبر من خلال التصور بين القطبين : «للتقليدية» ، و «العقلانية» في التحليلات المتعلقة بالأفعال الفردية الداخلية»[2].

وترتيباً على ما سبق أنتهى (كارل مانهايم) إلى ضرورة بين الاتجاه الوظيفي السيكولوجي حينما أراد دراسة تطور الشخصية الانسانية في اطار العمليات الاجتماعية داخل نطاق الجماعات الاجتماعي، وإن هذا الفهم لا يتحقق الا من خلال إدراك المتطلبات السيكولوجية للشخصية الانسانية تلك التي تمثل «الاتجاه التقليدي» في التحليلات النفسية، بجانب ضرورة فهم تلك الشخصية الانسانية باعتبارها «شخصية اجتماعية» يجب دراستها أيضا من وجهة نظر «النزعة السلوكية» التي تهتم بدراسة الأنماط السلوكية، والعادات والتوافقات، والتقليدات، الايديولوجيات، وهذا يعني أن تطور الشخصية الانسانية لدى (مانهايم) لم يكن يتشكل فقط في حدود الاستجابات السلوكية للعمليات الشرطية النعكسة، بل كان يتم أيضا في حدود بعض من أفكار التحليل النفسي الذي يأخذ به

(1) Martindal, Don., Thenature and Ty-pes of Sociologyical Theory; "Karl Manheim", Op. Cit., P. 44.

(2) Ibid ; P. 44.

السيكولوجيون: فى نطاقات «اللاشعور» و «القمع» و «السمو أو المثالية»، وجدير بالذكر فى هذا الصدد أن (مانهايم) لم يأخذ تماماً بتلك «الأفكار الفرويدية». والتى تقتصر على التحليلات النفسية القاصرة على نطاق الذات الفردية فى علاقتها بالدوافع والغرائز البيولوجية "Id" بمعنى أنه قد ربط الذات الفردية والعمليات التى تؤدى إلى تطورها، بتلك المرحلة الخاصة فى تكوينها والتى يطلق عليها «بالذات العليا» Super.ego والتى تظهر فيها سلطة الرقيب الأخلاقى على تلك الدوافع والرغبات الفيزية الفجة، والتى لا يمكن أن يكون اشباعها بصورة كاملة متوافقة مع الهيئة الأخلاقية المجتمعة[1]. ولهذا يتفق (مانهايم) مع (فرويد) من «أن العمليات القمعية تعتبر عمليات عادية، تصاحب أى نوع من الاستجابة بالنسبة للدافع الموجود، نظراً لأن كل رغباتنا الفيزيقية، وما يترتب عليها، لا يمكن أن يكون مشبعه بصورة كاملة وحيدة»[2].

كما يتضح أيضا أن هناك أتفاق بين كل من (جورج زيمل)، (وكارل مانهايم) بصدد تحليلها لتطور الشخصية الانسانية داخل اطار الجماعات الاجتماعية وعلى المستوى البنائى الوظيفى السيكولوجى من خلال العمليات التفاعلية المختلفة. فإذا كان (زيمل) قد حلل السلوك الفردى داخل الجماعة على أنه نتيجة للدوافع الفردية وردود الأفعال السيكولوجية الوسيطة فى بناء الموقف، كما أنه لم ينكر أن «الأشكال أو الصور الاجتماعية» تلعب دوراً فى تحديد السلوك الاجتماعى الفردى، وأن كان قد أولاها اهتماماً بسيطاً على هذا المستوى التحليلى فربما كان ذلك راجع إلى اهتمامه السيكولوجى «بالمحتوى» النفسى لتلك الصور والأشكال المجتمعية التى نظر إليها على أنها تمثل واجهات نمطية ثابته نسبياً ولا تخضع للتغير المستمر[3].

---

(1) Manheim ., Sestematic Sociology; Op. Cit., P. 17.

(2) Ibid., P. 18.

(3) Simmel, George., International Encyelopedia of Social Science "Karl Manheim " Op. Cit., P. 257.

والذى يمكن تفسيره وتحليله فى اطار محتوياتها، فهذا ما يعكس لنا وظيفته السيكولوجية العضوية التى تقوم على الاختلافات المتباينة للوظائف التى يقوم بها الأعضاء فى ضوء اتجاهاتهم نحو الحفاظ على الجماعة ووقايتها داخل اطار العمليات الاجتماعية، ولما كانت تلك الاتجاهات تنبع من اهتماما ذاتى لدى الأفراد فى الحفاظ على الجماعة واستمرارها فإنه يمكن وصف تلك الوظيفية السيكولوقية لدى (زيمل) بأنها عضوية ، وبالتالى توجد الامكانية فى تطور الشخصية الانسانية داخل اطارها.

وعلى نفس المستوى قد عالج (مانهايم) تطور الشخصية الانسانية فى اطار المعانى الذاتية النابعة من الحياة الشعورية واللاشعورية للفرد، بالاضافة إلى المعانى الموضوعية التى تتعلق بالجماعات أو الأنساق الاجتماعية الكلية وهذا هو الاتجاه الوظيفى العضوى السيكولوجى، والذى عالجناه فى دراسة الأفكار المتعلقة : بالسلوك والموقف والتوافق، ثم العلاقة بين العادات ومشكلة الغرائز، وأخيراً التفسيرات الخاصة بالتحليلات السيكوسيولوجية للشخصية الانسانية، ذلك الاتجاه الذى يكشف لنا بوضوح عن مدى اتفاقه مع (جورج زيمل) فيما يتعلق بينه «النزعة السلوكية» بجانب النزعة «التقليدية التحليلية» فى معالجة تطور السلوك الانسانى فى اطار العمليات الاجتماعية.

كما يمكن أن نتنهى فى هذا الصدد إلى أنه إذا كانت هناك ثنائية فى تفكير علماء المدرسة الألمانية هذه متمثلة فى استكمال التحليل العلمى للفعل أو السلوك فى اطار العمليات الاجتماعية، والذى يتخذ اتجاه «النزعة السلوكية» بالدراسة التفسيرية على مستوى «المعنى» متمدة اتجاه «النزعة التقليدية» إلا أن هذه الثنائية فى تفكير (فيبر) يستكمل التحليل العلمى بالتفسير والفهم للفعل على مستوى الدافعى، بينما يستكمل كل من جورج (زيمل) (ومانهايم) هذا التحليل العلمى فى فهم فعل أو سلوك الشخصية الانسانية وتطورها فى اطار العمليات الاجتماعية داخل نطاق الجماعات الاجتماعية، بالتحليل الوظيفى العضوى السيكولوجى على

مستوى البناء أو النسق. حيث تستبدلان المعنى الذاتي للفعل أو العملية عند فيبر بمعناه الموضوعي بالنسبة للجماعة ككل ، ذلك المعنى الذى ينتج من اهتمام واتجاهات الأفراد الذاتية نحو الحفاظ على الجماعة واستمرارها.

وقد اتضح هذا المنظور السيكولوجي لدى مانهايم في تناوله وفهمه الفعل الاجتماعي والعمليات الاجتماعية في ضوء المعاني الذاتية ذات الاهمية الاجتماعي - متأثرا فى ذلك بالاتجاه الفينومينولوجي الذى يربط فهم الأفعال والظواهر بالمعانى الذاتية التى تكمن خلفها - وقد ساوى مانهايم فى فهمه وتحليله لها سواء على المستوى الفردى أو البنائي. وأوقف هذا التحليل على الدوافع والمعانى الذاتية المرتبط بها والتى تبدو في سلوك الأفراد في اطار العمليات الاجتماعية. كما أوقف كذلك هذا التحليل على التوافق التى يبديه الأفراد فى استجاباتهم السلوكية لتلك الدوافع فى المواقف الاجتماعية المختلفة.

وبهدف اظهار الدور الذى تلعبه العادات كتصور سيكولوجي فى فهم السلوك الانسانى باعتباره أحد القضايا التى شغلت اهتمام مانهايم. وبالتالى جعل هذا السلوك متوافقا داخل العمليات الاجتماعيسة. ربط مانهايم ادراك هذا الدور الذى تقوم به العادات بفهمنا لأثر الغرائز فى تشكيل العادات. ولم يطلق العنان للغرائز فى تشكيل الأنماط السلوكية للأفراد . وأعطى للخبرات الاجتماعية من خلال التفاعل دورها فى تشكيل اتجاهات ذات محتوى عاطفى مكتسب. اذ تلعب دورها فى تشكيل العادات بجانب الاستجابات الغريزية البسيطة.

كما يلاحظ أن مانهايم ربط فهم الدور الذى تلعبه العادات فى تفسير السلوك الانسانى والعمليات الاجتماعية، بفهمنا لميكانيزم صنع العادة. وأوضح أنه بجانب الاستجابات السلوكية التى تعتمد على الدوافع الغريزية هناك أنماط سلوكية تمثل استجابات أولية لا تعتمد على دوافع بيولوجية. بل تعتمد على استجابات شرطية مكتسبة فى حياة الانسان. وأخيرا ربط مانهايم فهم هذا الدور

السيكولوجي الذى تلعبه العادات فى هذا التحليل للسلوك والعمليات الاجتماعية، بفهم كيفية تطور تلك الأنماط السلوكية التى تمثل عادة أو تقليد. ورأى ضرورة ادراك أن تقليد العادة كنمط سلوكي يبدأ من الأنماط السلوكية الأكثر ثباتا وقربا وبساطة. ثم يتطور إلى الأنماط السلوكية الأكثر اتساعا وبعدا ومثالية.

ويبدو لنا واضحا كذلك أن مفهوم الشخصية شكل أحد التصورات السيكولوجية الرئيسية التى شغلت اهتمام مانهايم. فاعتمد عليه فى تقديمه لنسقه الاجتماعي السيكولوجي، وحاول من خلاله تحليل وتفسير السلوك الانسانى سواء فى واجهته الفردية أو البنائية. ولذلك اعتمد فى تحليله للشخصية الانسانية على كلا من :: المدخل السلوكي الاجتماعي بما يحتويه من أنماط سلوكية وعادات وتوافقات وتقليدات، وكذلك المدخل النفسي التحليلى الذى يعتمد فى تحليله للشخصية على الأفكار الداخلية مثل : الكبت أو اللاشعور، والتسامى أو المثالية. ثم أوضح مانهايم الدور الذى تلعبه هذه الأفكار النفسية من فهم سلوك الشخصية وبالتالى تحقيق التوافق الاجتماعى. وهذا يعنى أنه نظر إلى الشخصية على أنها تمثل وحدة وظيفية اجتماعية نفسية. ويتطلب فهمها تحليل كلا من المحتويات السيكولوجية الشعورية واللاشعورية. وهذا يمثل اسهاما جوهريا لمانهايم فيما يتعلق بدراسة الشخصية من خلال الاتجاه النفسى فى علم الاجتماع.

أما عن اسهام مانهايم المنهجي من خلال الاتجاه النفسى فى علم الاجتماع فيمكن القول أنه اتبع منهجا تحليليا سيكولوجيا فى دراساته الاجتماعية النفسية. اذ امتد نطاق هذا التحليل ليشتمل على اهتمامات كلا من : مدخل السلوكية الاجتماعية، والمدخل السيكولوجي أو التحليل النفسي . فقد «جذب اهتمامه التحليلات السيكولوجية لدى فرويد وتابعية من الأوربيين والأمريكيين»[1] . كما أوضح تيماشيف بوجه عام أن مانهايم استخدم التحليل العلمى ثم استكمله بالتحليلي الوظيفي، فى ضوء نظرته البنائية التى ترى أن ما يفسر عليا يجب أن يفهم فى ضوء وظيفته فى الحفاظ على النسق[2] .

---

(1) Coser, L.A., Masters of Sociological thought. Op. Cit., P. 456.

(٢) نيقولا تيماشيف، مرجع سابق، ص ٤٦٨.

مراجـع البحـث العربيـة

أولا: الكتب والمقالات:

١- د. أحمد الخشاب، التفكير الاجتماعي: دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية - القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.

٢- د. أحمد الخشاب، علم الاجتماعي ومدارسه. القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي - ١٩٦٠.

٣- ارمان كوفيليه، مقدمة في علم الاجتماع. ترجمة السيد محمد بدوى، عباس الشربيني، الاسكندرية: دار المعارف، ١٩٨٠.

٤- اميل دوركيم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة محمود قاسم، مراجعة السيد محمد بدوى، القاهرة مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤.

٥- د. انتصار يونس، السلوك الانساني. القاهرة: المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر، ١٩٦٦.

٦- د. حسن سعفان، تاريخ الفكر الاجتماعي، القاهرة: مطبعة دار المعارف، ١٩٦٦.

٧- د. حسن سعفان، أسس علم الاجتماعي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣.

٨- د. عاطف غيث، الموقف النظرى في علم الاجتماع المعاصر. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٠.

٩- د. على جلبى، قضايا علم الاجتماع المعاصره ، الاسكندرية: دار المعارف ، ١٩٧٩.

١٠- د. على جلبى، النظرية واتجاهات تطورها في علم الاجتماع المعاصر مقالة في كتاب دراسات في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، لمجموعة من أساتذة علم الاجتماع، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥.

١١- د. عبد الباسط عبد المعطى، اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع. الكويت: عالم المعرفة، ١٩٨١.

١٢- د. غريب سيد أحمد، الجماعات الاجتماعية، الاسكندرية: دار الكتب الجامعية، ١٩٧٣.

١٣- د. محمد أحمد بيومى، علم الاجتماع الدينى. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٩٨ .

١٤- د. محمد سعيد فرح، «نظرية فى مدى اثراء علم النفس للنظرية الاجتماعية مقال فى كتاب دراسات فى علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، القاهرة، دار المعارف بمصر، ١٩٧٥.

١٥- د. محمد على محمد، رواد علم الاجتماع المعاصر، قراءة معاصرة للفكر الغربى المعاصر. الاسكندرية: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦.

١٦- نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع: «طبيعتها وتطورها»، ترجمة محمد عودة، محمد على محمد، محمد الجوهرى، محمد الحسينى، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٧٢.

١٧- هنرى تيرى، الجماعات هل هى قوى فعالة. ترجمة رشدى كامل صالح، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٨.

ثانيا: قواميس ودوائر المعارف:

١- د. محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩.

٢- د. عبد الهادى الجوهرى، معجم علم الاجتماع. القاهرة: مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، ١٩٨٠.

1-Bierstedt, R., Emile Durkheim New York: Mc-Graw- Hill, 1977.

2- Bocock, Robert, **Freud and Modern Society**. London: Toms Nelson and Sons., 1976.

3- Coser, Lewis, A., **Masters of Sociological Thought** New York: Harcourt Brace Jovanovich INC, 1977.

4- Cuizort, R.P. & King, E.W., (eds) **20 th Century Social Though.** New York: Holt Rinehart and Winston, 1980.

5- Coser and Rosenberg, **Sociological Theory**. New York: Macmillan Cmapany, 1957.

6- Cooly, C.H., **Human Nature and Social Order**, New York: Schoken Books, 1967.

7- -----------, **Soical Organization**. New York: schaken Books, 1909.

8- -----------, "Primaru Group", In Coser and Rosenberg, (eds) **Sociological Theory**.op.cit. 1957.

9- Dawe, Alan, "The Relevance of Values" In Sahay (ed) Max Weber and Modern Sociology. London: Rotledge and Kegan Paul, 1971.

10- Friedrichs, R.W., **Socielogy of Sociology**. New York: Free Press, 1975.

11- Fairs, Euswarth, "The Primary Groups" In Coser and Rosenberg., (eds) **Sociological Theory**. op. cit., 1975.

12- Gerald, H.B., "Social Psychology" In **Encyclopidia of Social Science**. Valume (13 -14) New York: Macmillan Company & The Free Press, 1948.

13- Green, Arnold, W., **Sociology**. New York: Mc-Grow- Hill Books Company, 1960.

14- Giddens, A., **Capitalism and Modern Sociology** New York: Cambridge University Press, 1971.

15- Homans, G.C., **The Human Group**. London: Rotledge & Kegan-paul, 1959.

16- ------------, **Soical Behaviour**, London: Rotledge & Kegan Paul., 1961.

17- ------------, Fundamental Social Processes "In Nei 7 Smilser., (ed) Sociology. New York: John Wiley & Sons, 1967.

18- Inkles, Alex, "Soaiological Theory in Relation to Psychology", In John C. Mekinney and Edward A. Tiryakian., (eds) **Theoretical** Sociology. New York: Merdith Corporation, 1970.

19- Jones, J.K. Chadwick., **Social Exchange Theory**. New York: Academic Press, 1967.

20- Klark, T.N., "Gabriltard", In Davids, Sills., (ed) **Encyclopidia of Social Seience**, Volume (15), New York: The Macmillan Company & The Free Press, 1948.

21- Kinloch, Graham, C., **Sociological Theory**. New York: Mac-Graw- Hill, 1977.

22- Kenkel,W.F., **Society in Action**. New York: Harper & Row Bublishers, 1980.

23- Lomis, C.Char'.. & Loomes, Tonak. **Modern Social Psychology**

New York: Selected American Writers, Company INC., 1963.

24- Mead, G.H., "Role Taking and Reference Group" In Coser and Rosenberg., (eds) Sociological op.cit., 1975.

25- ----------, "The Self," In Perer, Worsely., (ed) Modern Sociology. New York: Penguin Eduction, 1970.

26- ----------, "Play The Came and The Generalized Other," In Coser and Rosenberg., (eds) Sociological Theory. Op.cit., 1975.

27- ----------, "The I and The Me", In W. Edger, Venack & W.R.Wilson & N. Merdith., (eds) Demension of Social Psychology. New York Scot Pressand Company of Chicago, 1974.

28- ----------, "Psychology of Puntive Jastic", In Coser and Rosenberg., (eds) Sociological Theory .New York: Mac- Graw, 1975.

29- Melzzer, Bethnard & Petra, John & Raynal, Larry, (eds). Symbolic Interaction. London and Boston: Rotledge and Kegan Paul, 1975.

30- Mckinney, John.C & Tirykian, E.A. (eds). Theoretical Sociology. New York: Merdith Corporation, 1970.

31- Maheim, Karl, Systeematic Sociology. (edited) by J.S.Eros & W.A.C. Stewart, London: Rotledge and Kegan Paul, 1975.

32- ----------, Essays on Sociology of Knowledge. London: Rotledge and Kegan Paul, 1952.

33- ----------, Man and Society. London: Rotledge and Kegan Paul, 1940.

34-Martindule, Done, The Nature and Types of Sociological Theory. London: Rotledge and Kegan Paul, 1961.

35- Parson, Taloct, Social Structure and Personality. New York: The Free Press., 1970.

36- ----------, The Structure of Social Action. New York; The Free Press of Glenco, 1961.

37- ----------, "Introduction" to Weberis The Theory of Social and Economic Organiaztion. New York Exford University, 1974.

38- ----------,"Introduction" to Weberis of Religion Baston: Becom Press, 1904.

39- Rex, John, "Topology and objectivity", In Sahay (ed) Max Weber and Modern Society. London: Rotledge and Kegan Paul, 1971.

40- Romon, Aron, Main Curents in Sociology. New York: Pelican Books, 1976.

41-Salmon, Albert, "German Sociology", In Georges, Guvitch & Wilberte Moore., (eds.) Twentieth Century Sociology. New York: The Philosophical Library, 1945.

42- Simmel, George, "Conflict Sociation", In Coser and Rosenberg., (eds) Sociological Theory.op. cit., 1975.

43- ------------, "Forms of Donination", In Coser and Rosenberg., (eds.) Sociologyical Theory. op.cit., 1975.

44- ------------, "The Dayed and The Traid", In Coser and Rosenberg., (eds.) **Sociological Theory**.op.cit. 1975.

45- Taweny, R.h., **Capitalism and Modern Sociology**. New York: Cambridge University Press, 1971.

46- Wolf, Kurt, (ed.) **Sociology of George Simmel**. New York: A Free Press, 1964.

47- Weber, Max Economy and Society, Idiled By G. Roth and C. Wilch., New York. 1948.

48- ------------, **The Theory of Social and Economic Organization**. (Thrans) by T. Parsons., New York: Copright Exoford University Press, 1947.

49- Wallace, R. & Wolf, A., **Contemporary Sociological Theory**. New York: Prentic-Hill, 1980.

50- Wilkins, E.J., **An Introduction to Society**. London: Danald & Evans, LTD., 1970.

51- Woodard, G.W., "Social Psychology" In George, Gurvitch & Wilberte. Moore., (eds) **Twentieth Century Sociology**. New York: The Philosophical Library, 1945.

المحتويات

الباب الأول

الباب الثاني

الفصل السادس

الباب الثالث

السلوكية الاجتماعية في قضايا

الفصل السابع

الفصل الثامن

الفصل التاسع


دار المعرفة الجامعية
طبع نشر توزيع